الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة محمد بوضياف –المسيلة–
منشورات كلية الآداب واللغات

المؤلف: د/ صورية دحمـــاني
بإشراف: أ.د/ سليمان بوراس

التَّعقيبُ في الخِطابِ القرآنيّ

– مقاربةٌ تداوليّة –

سنة النّشر: 2023
ISBN :978–9931–251–18–7

العنوان: التّعقيــب في الخطـاب القرآني –مقاربة تداولية –

المؤلف: د. صورية دحماني

بإشراف: أ.د/ سليمان بوراس

سنة النشر: 2023

ISBN: 978-9931-251-18-7

عدد الصفحات: 356 صفحة

الحجم: 17×24 سم

منشورات كلية الآداب واللغات/ جامعة محمد بوضياف –المسيلة–

الموقع الالكتروني: https://www.univ-msila.dz

جميع الحقوق محفوظة

© 2023 جامعة محمد بوضياف –المسيلة–

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الوالدين الكريمين -حفظهما الله-

إلى سندي في الحياة إخوتي وأخواتي

إلى كلّ الأحبة والأصدقاء.

مقدّمـة

مما لا ريب فيه أن القرآن الكريم معجزةٌ خالدة أعجزت جهابذة البلاغة وأساطين البيان الذين وقفوا منبهرين عاجزين أمام نظمه البديع وأساليبه المنفردة، وجمال إيقاعه وتأثيره العجيب في النفوس. يقول تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء 88، هذا ما يبرز خصوصية الخطاب القرآني المتعالي على كل الخطابات والمعجز على مر الدهور، والذي سيظل آية الله للعالمين، فلا تنقضي أسرارهُ وعجائبه، ما جعله محل اهتمام الدارسين قديما وحديثا، تواردت عليه الأجيال جيلا بعد جيل، كل جيل يروم الكشف عن خبايا هذا الخطاب المعجز في كل مناحيه: اللغوية والبلاغية والجمالية والعلمية (أو ما يعرف بالإعجاز العلمي).

من الدراسات الحديثة للخطاب القرآني والجديرة بالتنويه والبحث **التعقيب القرآني**، هذا الأسلوب المنفرد بسمات أسلوبية ولغوية وبلاغية، يكشف عن بعض وجوه الإعجاز اللغوي والبلاغي لكتاب الله، حيث يبرز من خلاله جمال اللفظ وجلال المعنى، وروعة التراكيب المنسجمة في سياقاتها.

ويقصد بالتعقيب القرآني ذلك النمط التعبيري الذي يتضمن الحكم الإلهي عن قضية من قضايا السورة القرآنية، يرتبط بشكل تفاعلي معها، ويكتسي طابع التعدد من تعددها. على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (البقرة 7/6)، فالتعقيب:﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ حكم صادر من الله، يُبَيّن

عاقبة الكافرين. ونشير في هذا السياق إلى البعد الجمالي للتعقيب القرآني، مثل التعقيب المتكرر في سورة الرحمن، يقول تعالى:﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾، وهو تعقيب واحد متكرر، يتفاعل مع قضايا مختلفة بانسجام بديع وانسياب صوتي جميل، وهذا قطعا من أسرار الإعجاز القرآني.

ولعل أهم سمة يتميز بها التعقيب أنه من أوفر الأساليب القرآنية عددا، حيث يتسم بالتنوع تبعا للسياقات التي يرد فيها، لأن اختلاف القضايا القرآنية المُعَقَّب عليها يستدعي حتما اختلاف التعقيبات، حيث ترصّع خاتمة القضية القرآنية بتعقيب منسجم معها أتم الانسجام، فلا يجد القارئ كلامَ الله أي تنافر لا في المعاني ولا في الإيقاع الصوتي، هذا ما يكشف عن بعد تداولي للخطاب القرآني الذي يراعي مقامات التخاطب واختلاف المُخاطَبين. وبعبارة موجزة: يمتلك التعقيب أبعادا سياقية تداولية تستحق الدراسة.

وما تجدر الإشارة إليه، أن السياق يحتل مكانا جوهريا في الدرس التداولي، لدوره الفعال في إنتاج الخطاب وتأويله وانسجامه؛ إذ يعدُ الحل الأمثل للكثير من الإشكاليات التخاطبية، خاصة ما يتعلق بالمقاصد الضمنية التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الاستعانة بالسياق وعناصره، لأن البنية السطحية للخطاب لا تقدم معطيات كافية تعين المرسل إليه في الوصول إلى ما يريد إبلاغه المرسل، الأمر الذي يدفع المتخاطِبين إلى الاستعانة بالسياق، والذي يؤدي في هذه الحالة دورا حاسما في ضبط دلالات الخطاب وترجيحها.

هذا الدور المهم الذي تحتله التداولية في مجال تحليل الخطاب والكشف عن مقاصده، يمكن استثماره في فهم الخطاب القرآني باعتباره خطابا تواصليا بامتياز، فهو رسالة سامية موجهة للبشرية جمعاء، صالحة لكل زمان ومكان، جاءت بشرائع وأحكام تسهل حياة البشر وتضبط علاقاتهم، كما أنه يهدف إلى التأثير في نفوسهم وهدايتهم.

انطلاقا مما سلف ذكره، تم اختيار التداولية مقاربة للتعقيب القرآني، فجاءت الأطروحة موسومة **بالتعقيب في الخطاب القرآني مقاربة تداولية،** ويستمد البحث أهميته في كونه دراسة تبحث في أسرار هذا التركيب الذي لم يحظ بالقدر الكافي من البحث، وتروم الوقوف على أبعاده التداولية.

ولقد انطلق البحث من إشكالية مفادها: **ما الأبعاد التداولية للتعقيب في الخطاب القرآني؟** وقد تفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات نجمل أهمها في النقاط الآتية:

- ✓ لماذا لم يلزم التعقيب في القرآن الكريم تركيبا لغويا واحدا؟ وكيف نفسر ذلك تداوليا؟
- ✓ كيف يُساهم التفاعل السياقي بين التعقيب والقضية القرآنية في فهم مقاصد التعقيب؟
- ✓ ما أنواع التعقيب؟ وما مقاصده في الخطاب القرآني؟

أما عن الأسباب الداعية لاختيار هذا الموضوع، فقد كانت متفرعة بين الذاتي والموضوعي، تضافرت وشكلت حافزا قويا للبحث، ويمكن صياغتها على النحو الآتي:

أولا: الدوافع الذاتية:

-اهتمامي بالدراسات القرآنية، دفعني لدراسة كتاب الله بغية الاستفادة من هذا النبع الشريف، والإفادة ولو بالشيء اليسير.

-إعجابي الشديد بموضوع البحث(التعقيب القرآني)، فمنذ أن وقع كتاب (**أسلوب التعقيب في القرآن الكريم**) لمحمد كريم الكواز بين يدي لأول مرة أثار فضولي العلمي؛ إذْ لفت انتباهي لأسلوب قرآني منفرد يتكرر كثيرا وبجمالية بديعة في سور القرآن الكريم، ويتناسق مع السياقات التي يرد فيها بلا تنافر في المعاني والإيقاع، ولهذا اخترت التعقيب القرآني موضوعا لمذكرتي في مرحلة الليسانس، حيث جاءت موسومة بأسلوب التعقيب في القرآن الكريم، السور: الرحمن والواقعة والصافات أنموذجا، تطرقت فيها إلى التعقيب بصفة عامة، بدون مقاربته تداوليا أو بأي مقاربة أخرى؛ إذْ كان هدفي الكشف عن ماهية التعقيب وتركيبه وخصائصه وأنواعه، وتم اختيار ثلاث سور للجانب التطبيقي. وكوني من المهتمين بالمنهج التداولي ارتأيت أن أعالج هذا الموضوع مرة أخرى من منظور تداولي.

ثانيا: الدوافع الموضوعية:

-جدة الموضوع (التعقيب من منظور تداولي) كانت أهم حافز للبحث، وسببا ملهما في اختياره موضوعا للأطروحة، فتداولية التعقيب من المواضيع الجديدة -**في** حدود اطلاعي -فلم أعثر على بحث مستقل يقارب التعقيب القرآني مقاربة تداولية.

–حاجة المكتبة العربية لمثل هذه البحوث التي تتخذ من الخطاب القرآني محورا لها، تقاربه بمناهج بحثية جديدة، والتي حتما تستفيد مما سبق من الدراسات القرآنية التراثية، كما تسعى لتقديم قراءات جدية وجديدة تثري المكتبة العربية والإسلامية.

وفي حدود البحث لم أعثر على دراسات مفصّلة للتعقيب عند الباحثين القدامى، من حيث المصطلح والتأسيس له ومن حيث المفهوم وحدوده وأبعاده اللغوية والبلاغية والأسلوبية، فكانت دراساتهم إشارات بلا توسع مبثوثة في ثنايا التفاسير، أو الإشارة إليه بمسميات قريبة منه كمصطلح التذييل أوالفاصلة القرآنية، وماتحسن الإشارة إليه أن تراثنا الثري (لاسيما علم التفسير) بمعارفه ضمَّ شروحا قيمة للتعقيبات وقضاياها، استند عليها البحث، وإن غاب المصطلح وحدوده المفهومية.

أما في المنجز اللساني الحديث، فَيُعد محمد كريم الكواز من الباحثين الأوائل الذين تطرقوا لهذا الموضوع بالتفصيل والتوسع، حيث أسس لمصطلح التعقيب القرآني، وحدَّد تراكيبه وأنواعه، ومن الدراسات التي أثارت موضوع التعقيب أيضا، كتاب التناسب البياني في القرآن الكريم لأحمد أبو زيد؛ والذي خصص للتعقيب القرآني فصلا عنونه: **(بالتناسب المعنوي في التعقيبات القرآني)**، وهو لم يخصص له كتابا كما فعل محمد كريم الكواز الذي فَصَّل في الموضوع وأسس للمصطلح. ومن الدراسات المهمة في هذا المضمار كتاب **(أسلوب التعقيب القرآني مقاربة جمالية)**

لأسامة عبد العزيز جاب الله، وكتاب (**التعقيبات القرآنية المفهوم والأشكال والأغراض**) لمراد العرابي وهو دراسة حديثة مفصلة للتعقيب.

هذه الدراسات لم تقارب التعقيب القرآني مقاربة تداولية، في حدود ما تحصلت عليه من مراجع، لكنها كانت بمثابة أرضية انطلقنا منها للبحث؛ حيث اهتمت بالتأسيس لمصطلح التعقيب، وتحديد ماهيته وخصائصه وتركيبه وأنواعه، وهي معطيات غاية في الأهمية، لابد من الإلمام بها قبل مقاربة التعقيب تداوليا.

وكأيّ بحث علمي لابد له من **مصادر ومراجع** تضيء معالمه وتثري جوانبه، لذلك تم الاعتماد على مراجع متنوعة، حيث اقتضت رحابة البحث في الخطاب القرآني الاستعانة بكتب تبحث في علوم القرآن وفي قضايا الإعجاز، كما اعتمدنا على جملة من التفاسير مثل: (نظم الدرر في تناسب الآيات) والسور لبرهان الدين البقاعي، و(تفسير التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن عاشور، و(تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن) لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي، و(إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم) لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، إضافة إلى مراجع متنوعة تخص تحليل الخطاب والتداولية من قبيل: (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية) لعبد الهادي بن ظافر الشهري، وكتاب (مسرد التداولية) لمجيد الماشطة وأمجد الركابي، وكتاب (التداولية) لجورج يول، فضلا عن مراجع تؤسس للتعقيب القرآني، قد سلف ذكرها.

إن أهداف البحث جوهره، لهذا تم تحديدها بوضوح في النقاط الآتية:

-تَحديدُ التفاعل السّياقي بين التعقيب والقضايا القرآنية، والوصول إلى مقاصد الخطاب في ظل التعقيب.

-الكشف عن الأبعاد التداولية الأكثر تمظهرا في التعقيب القرآني.

-الكشف عن الأبعاد الجمالية للتعقيب وأثره في المتلقي.

-تقديم دراسة جديدة للتعقيب القرآني من منظور تداولي، نأمل من خلالها إيجاد مكانا لبحثنا في مكتبة الدراسات القرآنية، فنسهم في إثراءها ولو بالشيء اليسير.

لقد فرضت طبيعة الموضوع المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم تناول التعقيب القرآني في الشق النظري بالشرح من خلال الوقوف على مفهومه وأنواعه وخصائصه، كما اعتمدنا التحليل في الشق التطبيقي، حيث تم الوقوف على الأبعاد التداولية للتعقيب وصفا وتحليلا.

أما الخطة التي تبناها البحث، فقد حددناها في هيكلة تنظيمية تتكون من خمسة فصول تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة.

الفصل الأول: التداولية وتحليل الخطاب القرآني، ضم ثلاثة مباحث: المبحث الأول: بالتداولية النشأة والجهاز المفاهيمي. والمبحث الثاني جاء موسوما بالحقل المفهومي للخطاب/ تحليل الخطاب. والمبحث الثالث فقد خصصناه لمفهوم الخطاب القرآني وخصائصه وأنواعه وتداوليته.

الفصل الثاني: ماهية التعقيب القرآني والبنى اللغوية وخصائصه وأنواعه، وقد ضم ثلاثة مباحث: المبحث الأول: مفهوم التعقيب القرآني وحدوده

الفاصلة. والمبحث الثاني: البنى اللغوية المُشَكلة للتعقيب القرآني. والمبحث الثالث: خصائص التعقيب القرآني وأنواعه.

الفصل الثالث: دور السياق في الوصول إلى مقاصد التعقيب القرآني، والذي ضم ثلاثة مباحث: المبحث الأول: السياق في الدرس التداولي. المبحث الثاني: في مقاصد التعقيب القرآني. المبحث الثالث: الدور الفعال للسياق في الوصول إلى مقاصد التعقيب القرآني.

الفصل الرابع: تداولية الأفعال الكلامية في التعقيب القرآني، وقد ضم ثلاثة مباحث: المبحث الأول: نشأة الأفعال الكلامية. المبحث الثاني: مقاصد الإخباريات والتوجيهيات في التعقيب القرآني. المبحث الثالث: المعبرات والوعديات والإعلانيات.

الفصل الخامس: تداولية الإشاريات في التعقيب القرآني، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: الإشاريات في الدرس التداولي. المبحث الثاني: أنواع الإشاريات وإرهاصاتها في التراث اللساني. المبحث الثالث: الإشاريات في التعقيب القرآني.

وأنهينا البحث **بخاتمة** ضمت نتائج البحث وتوصياته.

لا يخلو البحث العلمي من صعوبات تعترض سبيل الباحث، كان أبرزها: قلة الدراسات التي تناولت التعقيب القرآني بطريقة مفصلة، هذا ما جعل عملية البحث عما يخدم الموضوع تتسم بالصعوبة؛ لتشعب مراجع البحث بين دراسات تراثية من تفسير وعلوم القرآن، وبين دراسات حديثة تخص لسانيات النص القرآني وتحليل الخطاب والتداولية، فضلا عن الزخم

المصطلحي والمفاهيمي الذي شهدته الدراسات التداولية (مجال البحث) بوصفها منهجا حديثا غربي النشأة.

وفي الختام، لابد من تقديم الشكر الجزيل والامتنان العظيم للمشرف على هذا العمل، الاستاذ القدير **سليمان بوراس**، لما قدمه لي من توجيه سديد ونصح صادق جاد. حفظه الله وأدامه لطلبة العلم معينا ومرشدا.

كما اتقدم بوافر الشكر وعميق التقدير للجنة المناقشة على قراءة العمل وتوجيهه توجيها دقيقا كان له الدور الفعال في تقويمه وتقديمه على هذا الوجه.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأوّل:

التّداوليـةُ وتحليـل الخطاب القـرآني.

توطئة:

القرآن الكريم خاتمة الكتب السماوية خصَّه الله بالحفظ من كل أشكال التزييف والتحريف، انكبَّ عليه الباحثون القدامى تفسيرا وتأويلا واستنباطا لأحكامه، فَأثمرَ ذلك تراثا ضخما، ضمَّ الكثير من علوم العربية والدراسات القرآنية كالنحو والبلاغة وأصول الفقه...إلخ، ويمكن اعتبار هذه الدراسات إرهاصات لتحليل الخطاب القرآني (بمفهومه الحديث) وإن اختلفت الآليات والمناهج البحثية.

وما زال القرآن الكريم مناط اهتمام الباحثين، يحاول كل واحد منهم تقديم اجتهاد أو رؤية تدور في فلك مقاصده الشريفة. وسيبقى هذا الكتاب آية الله الخالدة، خطابا مرنا يقبل البحث والتدبر في دقائقه ولطائفه الفريدة مادامت لا تخرج عن إطار مقاصده الجليلة.

والتداولية من المناهج الحديثة التي يمكن استثمار آلياتها في مقاربة الخطاب القرآني، ونشير هنا إلى أنها جاءت في سياق الرد على الانغلاق البنيوي، حيث لا يرتكز بحثها على البنى النصية في حد ذاتها، وإنَّما تشتغل على اللغة في سياق معين. ولهذا كان لزاما التعرف على خلفيات المصطلح وترجماته للعربية، وكل ما يتعلق بالمرجعيات التي أسهمت في ظهور التداولية، والتعرف على مجالاتها وأهدافها.

المبحث الأول: التداولية النشأة والجهاز المفاهيمي:

1. في مصطلح التداولية:

مصطلح التداولية هو أحد الترجمات العربية للمصطلح الغربي

pragmatics باللغة الانجليزية أو pragmatique باللغة الفرنسية، هذا المصطلح عَرَفَ كغيره من المصطلحات الوافدة من الغرب ترجمات متعددة منها : التداولية، والنفعية، والبراغماتية، وعلم المقاصد...إلخ وهي ترجمات " تختلف من حقل علمي إلى إلى آخر، فالمصطلحان نفعية أو ذرائعية نشآ في حقل فلسفي، ومصطلح تداولية وبراغماتية نشآ في حقل العلوم اللسانية ومصطلح علم المقاصد نشأ في تحليل الخطاب". فضلا عن وجود مقابلات عربية أخرى يرى أصحابها أنها المقابل الأمثل للمصطلح الغربي، نذكر بعضها استدلالا لا حصرا.

يرى طه عبد الرحمن في مؤلفه (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام) أن المقابل المناسب لمصطلح pragmatics هو مصطلح **التداوليات**، فيقول: " وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقا، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال والتفاعل معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"[1].

كما ذهب إلى أن التداوليات أحد أقسام اللسانيات، من خلال تقديمه لتقسيم ثلاثي لها: " وتنقسم اللسانيات التقسيم الثلاثي التالي: **أ. الداليات**: نقصد بها الدراسات التي تختص بوصف – وإن أمكن بتفسير–الدال الطبيعي في نطقه وصوره وعلاقاته؛ وبهذا تكون الداليات عندنا شاملة

[1] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص: 28

للأقسام الثلاثة المشهورة: الصوتيات والصرفيات والتركيبيات. **ب. الدلاليات:** هي الدراسات التي تختص بوصف – وإن أمكن بتفسير– العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج **ج. التداوليات:** هي الدراسات التي تختص بوصف – وإن أمكن بتفسير–العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها وبين الدالين بها"[1]. وبهذا يرى طه عبد الرحمن أن الترجمة المناسبة لمصطلح pragmatics هي التداوليات باعتبار هذا المصطلح يجمع بين التفاعل والاستعمال في الآن نفسه، من خلال العلاقات التفاعلية التي تربط بين الدوال ومدلولاتها والدالين عليها.

ومن منظور آخر، اختار محمد محمد يونس علي مصطلح **علم التخاطب**، يقول في مؤلفه (مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب): " علم التخاطب pragmatics الذي يترجمه بعض اللسانين العرب بالذرائعية حينا، وبالتداولية، أو النفعية حينا آخر، وهي تراجم غير موفقة، لأن هذا المصطلح (وهو إغريقي الأصل) يفسره الغربيون بأنه علم الاستعمال the science of use)[...]، وتسمية pragmatics بعلم الاستعمال قد تكون أفضل من غيرها مما ذكر، وإن كنت أفضل ترجمته **بعلم التخاطب**، وهي ترجمة تراعي ما صدق اللفظ لا مفهومه بالمعنى المنطقي للمصطلحين، حيث يقصد بمباحث الاستعمال ما يدخل في إطار المباحث التخاطبية تماما"[2].

---

[1] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 28.

[2] محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004، ص:1

وبهذا فإن محمد محمد يونس علي يرى أن المقابل الذي يصلح ل pragmatics هو **علم الاستعمال** لكونه يتوافق مع أصله الإغريقي، ومع ذلك يفضل مصطلح **علم التخاطب** لأن الاستعمال يدخل في المباحث التخاطبية.

ويذهب محمود عكاشة إلى أن المقابل العربي لمصطلح pragmatics هو **البراجماتية**، فيقول: "وأرى أن استخدامه بلفظه الدخيل(البراجماتية) أدق تعبيرا عن مفهومه؛ لأنه يحمل دلالته في ثقافته الأصلية، ولا مقابلا عربيا يحمل دلالته الفلسفية الغربية التي تعني تحصيل كل وجوه المنافع، والقرينة الوصفية linguistic للتفرقة بينه وبين المصطلح الفلسفي pragmatism وهي دلالة دخيلة على الثقافة العربية، وأرى أن أقرب الترجمات العربية إليه بمفهومه الغربي الذي يقوم على الغرض من الخطاب والمصلحة "النفعية" أو "علم الغاية"، وهو أقرب إلى تحصيل الغرض الحسي الذي يرتبط بمفهومه الفلسفي، والذرائع لا تحمل هذا المعنى بل تعني الوسيلة والطريق إلى الشيء"[1]. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن محمود عكاشة اختار مصطلح **البراجماتية اللسانية**، وحافظ على المصطلح الغربي.

وعلل اختياره لهذا المصطلح بقوله " وأرى أن تبقى على مفهومها الغربي الخالص، وليس له مقابل دقيق يعبر عنه في الدراسات العربية، وهذا معمول به في نظير اللفظ من المصطلحات التي تحمل مفاهيم غربية مثل الرادكالية Radicalism والفاشية Fascism وغيرهما من المصطلحات التي

[1] محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 2013، ص: 15

ترتبط بثقافتنا غير العربية أو المكيافيلية والماركسية، ومن التعسف أن نطوع لها بديلا عربيا وأن نفرضه على ثقافتنا، ولن يضر هذا بعربيتنا، بل هذا علامة نبو هذه المفاهيم عن قيمنا وتراثنا، وأرى أن الذين استبقوا على تسميتها الأصلية البراجماتية مصيبون وكذلك الذين ترجموها بالنفعية العملية، وهو أصل معناها"[1]، وعليه اختار محمود عكاشة مصطلح البراجماتية بإبقائها على الأصل الغربي لها، فحسب رأيه لا يوجد مقابل عربي دقيق لها، كما يرفض مقابل التداولية فيقول: " وقد انتشرت التداولية لشيوعها في الترجمات والبحوث والمؤلفات؛ ولا سبيل لي في ردها بعد شيوعها، وهذا لا يغير عدم اقتناعي بهذه الترجمات"[2].

ومن المفيد الإشارة إلى أن مصطلح التداولية (الذي وقع عليه الاختيار في هذا البحث) عرف رواجا عند الكثير من الباحثين والدارسين، نذكر بعضا منهم من باب الاستدلال لا الحصر: كتاب **(المقاربة التداولية)** فرانسواز أرمنيكو والذي ترجمه سعيد علوش، وكتاب مسعود صحراوي، **(التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)**، وكتاب آن روبول وجاك موشلر، **(التداولية اليوم، علم جديد في التواصل)**، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، وكتاب جورج يول، **(التداولية)**، ترجمة: قصي العتابي، وغير هذه المؤلفات كثير.

[1] محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص: 6

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2. المرجعيات المعرفية للتداولية:

تعود نشأة التداولية إلى مرجعيات متنوعة تراكمت وتضافرت حتى استوى هذا العلم ناضجا له مفاهيمه وأهدافه وأدواته الإجرائية، وهي مرجعيات تعكس خلفيات الباحثين"، فمنهم من يؤرخ لها منذ القدم، إذ كانت تستعمل كلمة pragmaticus اللاتينية وكلمة pragmaticas الإغريقية بمعنى عملي"[1] ومنهم من ركز على الخلفية الفلسفية ، فيرى بأن التداولية نشأت في مناخ فلسفي حيث " يرجع تأسيسها إلى الفلسفة التحليلية للفيلسوف غوتلوب فريجة ثم فنتجنشتاين والفلسفة التحليلية مطلع القرن العشرين، هذه الفلسفة التي أكدت أهمية وضع اللغة موضع الدراسة والتحليل فمن أي منهج فلسفي، إذ أكد الألماني فنتجنشتاين أن المعنى لا يتسم بالثبوت واللاتحديد مادامت ظروف التخاطب في تغير دائم، وتبعه في ذلك الفلاسفة الذين تأثروا به أهمهم أوستين وسيرل واضعا نظرية أفعال الكلام"[2]

ولعل نظرة الفلسفة التحليلية للمعنى من منظور الاستعمال، تجعلها من الحقول المعرفية التي انبثقت من رحمها التداولية، فالمعنى وفق الفلاسفة التحليلين غير ثابت لتغير الأحوال التخاطبية، فقد" أوضحت الفلسفة التحليلية أن اللغة لا تقتصر على وصف عالمنا الذي نحيا فيه، بل هناك استخدام لغوي يندرج ضمن ما أطلق عليه فيجنتشتاين بألعاب اللغة التي تتحكم إلى ضربين من ضروب ألعاب اللغة يحظى باهتمام خاص؛ لأن

[1] بشرى البستاني، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، مؤسسة السياب للطباعة، لندن، ط1، 2012، ص: 12

[2] المرجع نفسه، ص:12.

الاستعمال هو الذي يحدد المعنى وفق مقولته: لا تسأل عن المعنى، واسأل عن الاستعمال"[1]. وبهذا تشترك التداولية مع الفلسفة التحليلية في قضية المعنى والاستعمال.

فكانت هذه الاهتمامات الفلسفية بالمعنى بمثابة إرهاصات أولى لظهور التداولية خاصة نظرية أفعال الكلام التي ترجع إلى الفيلسوفين أوسيتين(Austin) وسيرل(Searle)، كما أن" لهذا الإرث الفلسفي دور فعال في التطور السريع الذي ستعرفه التداولية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، خصوصا مع الاتجاه المعرفي لدى سبيربر وويلسن اللذين اعتبروا أن العمليات التداولية هي قطعا ليست من خصائص اللغة، بل هي من خصائص النظام المركزي، فتأويل الأقوال بالنسبة إليهما يوافق نوعين مختلفين من العمليات: ترميزي لغوي/ استدلالي تداولي"[2].

ومن الإرهاصات التي ينبغي الإشارة إليها ما قدمه الفيلسوف تشارل موريس، في تحديده لفروع السميائية(علم العلامات)، حيث جعل التداولية فرعا من فروعها، وهي" علم التراكيب: بالإجمال النحو الذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات، وعلم الدلالة الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات وما تدل عليه، وأخير التداولية التي تعنى في رأي موريس، بالعلاقات من العلامات

[1] حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب (بحوث محكمة)، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2014، ص: 39

[2] إلفي بولان، المقاربة التداولية، تر: محمد تنفو، وليلي أحمياني، دار رؤية، القاهرة، دط، 2018 ص:10

ومستخدميها"[1]، كما أن" مفهوم نظرية المحادثة قد انبثق من فلسفة غرايس في مبدأ التعاون، ومسلماته الحوارية وأما نظرية الملائمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي مستغلة مسلمة من مسلمات مبدأ التعاون الغرايسية، وخاصة تلك التي تنص على ضرورة ملائمة الملفوظ لنفسية مخاطبه"[2].

ومن المرجعيات التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار، أن التداولية جاءت رد فعل على الانغلاق البنيوي الذي يقصي السياق الخارجي في تعامله مع الظاهرة اللغوية، مما يبرز عجز اللسانيات البنيوية في الوصول إلى بعض مقاصد النص التي لا تفهم إلا في ضوء السياق الخارجي. فإن كانت " دراسة جوانب محددة من الظاهرة اللغوية كالمستوى الصوتي أو المستوى المورفولوجي أو التركيبي يشكل الأساس في تعلم اللغة أية لغة واكتسابها، إلا أنه غير كاف لاكتساب الملكة التواصلية، ولهذا ينبغي تجاوز هذه المستويات الدنيا "[3]. ما يعني أن التداولية لا تلغي المستويات اللغوية ولا تلغي السياق، وإنما تبحث عن مدلولات اللغة أثناء الاستعمال.

بناءً على ما سبق يمكن القول: بأن نشأة التداولية قد ارتبطت بمرجعيات مختلفة أهمها الفلسفة التحليلية في حديثها عن المعنى

---

[1] آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني دار الطليعة، لبنان، ط1، 2003.

[2] مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة جمعه حافظ إسماعيلي علوي، ص: 39

[3] قويدر شنان، تحليل الخطاب والتداولية، مجلة ممارسات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011، العدد2 ، ص: 244

والاستعمال، وسميائية موريس الذي اعتبر التداولية فرعا من علم العلامات، كما ولدت نظرية الملائمة من رحم علم النفس المعرفي، إضافة إلى ما سبق فقد جاءت التداولية كرد فعل للانغلاق البنيوي؛ إذ تعْتبر السياق عنصرا جوهريا في البحث عن مقاصد الخطاب.

3. التحديد المفهومي للتداولية:

- **التحديد المعجمي:**

لكي نحيط بمفهوم التداولية وتتضح لنا الوشائج التي تربط الدلالة المعجمية بالمصطلحية، علينا بالبحث عن الأبعاد اللغوية المعجمية لها، وهذا يقتضي الرجوع للمعاجم العربية والبحث عن مدلولات الجذر اللغوي (د.و.ل)، جاء في لسان العرب: " تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّول. فقالوا: دَواليك؛ أي مداوَلَةً على الأمر. ودالت الأيام؛ أي دارت، والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي؛ أي أخذته هذه مرّةً، وهذه مرّة. والماشي يداول بين قدميه؛ أي يراوح بينهما[1]. ومن خلال هذه المعاني يرَتَبطُ معنى التداولية بالتحول والتغير.

وليس ببعيد عن معاني التحول والتغير، جاء في أساس البلاغة للزمخشري: " دالتْ له الدولة، ودالت الأيام بكذ. وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه. وعن الحَجّاج: إن الأرض ستُدال منا كما أدلنا منها... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دُوَل

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث، بيروت، ط3، 1999، ج4، ص:444

وعُقَب ونُوب .وتداولوا الشيء بينهم"[1].

كما جاء في المعجم الوسيط:" دَال الدهر دَوْلا ودَوْلة: انتقل من حال إلى حال، ودالت الأيام: دارت، ويقال دالت الأيام كذا، ودالت له الدولة، وأدال الشيء: جعله متداولا، وداول كذا بينهم: جعله متداولا تارة لهولاء وتارة لهؤلاء، ويقال: دال الله الأيام ين الناس: أدارها وصرفها، وفي التنزيل العزيز: وتلك الأيام نداولها ين الناس واندال القول: تحولوا من مكان إلى مكان"[2]

انطلاقا من تلك التحديدات المعجمية، نجد أن المعنى المشترك بينها، يشير إلى التحول والتبدل والتغير، والذي يحيل إلى تغير اللغة من سياق إلى آخر، كما تحيل الصيغة الصرفية تفاعل(تداول) إلى التفاعل الناجم عن تداول اللغة بين الناس.

- **مفهوم التداولية في الدرس اللساني:**

عرف مفهوم التداولية تحديدات متنوعة تَنوع خلفيات الباحثين الذين عالجوا هذا المفهوم، لأن " التداولية حقل جديد في اللسانيات المعاصرة، عرف تطورا سريعا في الآونة الأخيرة، فهو لم يصبح محط الاهتمام في اللسانيات وفلسفة اللغة فحسب، بل لقي اهتماما كبيرا من طرف علماء الأنثربولوجيا والعاملين في مجال الذكاء الاصطناعي والمعرفي وعلماء

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص: 303.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص: 304

النفس والسميائين"[1]. نحاول في هذا البحث ذكر أهم ما توصلنا إليه من تحديدات مفهومية.

ترى فرانسواز أرمنيكو (Françoise Armengaud) أن" أقدم تعريف لها هو تعريف موريس Morris سنة 1938، إذْ إن: التداولية جزء من السميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، وهذا تعريف واسع، يتعدى المجال اللساني إلى المجال السميائي، والمجال الإنساني إلى المجال الحيواني"[2]. واتساع البحث السميائي لا يعنى غياب أهميته " فبالرغم من أن دراسة الرموز تتجاوز الاستعمال اللغوي فإن تشارلز موريس وغيره وطبقوا التداولية أساسا على اللغات الطبيعية بعدما كانت مهملة في نظرهم من بين بقية الحقول الدراسية"[3]

إذاً أقدم تعريف للتداولية لموريس لم يُقصد به تعريف التداولية كعلم مستقل، بل جاء ضمن الفروع الثلاثة لعلم العلامات،" وكانت التداولية في المشروع الموريسي عنصرا مشوشا صعب الصياغة لكونه يتألف من أمزجة مستخدمي الرموز وسلوكهم ومعتقداتهم ومواقفهم، وهذا التشويش وصعوبة الصياغة أربكت الفكر الفلسفي واللغوي على حد سواء، ومثلت عند هؤلاء وأولئك صندوق مهملات تلقى فيه مظاهر اللغة والتخاطب التي يمكن صياغتها في تراكيب حسنة وجمل ممتعة"[4].

---

[1] Yan Huang,pragmatics, Oxford university.New York, 2007, p: 1

[2] فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، تر:سعيد علواش، مركز الإنماء القومي،الرباط، دط، دت، ص:2

[3] قويدر شنان، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني المنشأ والمآل اللساني، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، 2006، العدد 17، ص: 12

[4] المرجع نفسه، ص: 12

كما جاء في مقدمة القاموس الموسوعي تعريف للتداولية: "بأنها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديدا اللسانيات، وإذا تحدثنا عن استعمال اللغة فلأن هذا الاستعمال ليس محايدا من حيث تأثيراته في عملية التواصل ولا في النظام اللغوي في حد ذاته"[1].

ويتضح هنا، اشتراك اللسانيات والتداولية في دراسة اللغة، واختلافهما في طريقة الدراسة؛ إذ تهتم اللسانيات بالدراسة الموضوعية للغة لذاتها وفي حد ذاتها. وفي المقابل تهتم التداولية بدراسة اللغة في سياق تواصلي محدد، فنجد تركيبا لغويا واحدا يمتلك دلالات متعددة تبعا له، كقولنا: ما نيل المنى بالتمني، فهي عبارة تحمل دلالة المدح إذا كان الخطاب موجه لشخص ناجح، وتكون دلالتها التعريض إذا كان الخطاب موجه لشخص فاشل. بهذا يعد السياق الحل الأمثل للكثير من الإشكاليات التخاطبية كدلالة الإشاريات، أو التراكيب التلميحية التي لا يمكن فهمها انطلاقا من البنية الحرفية للخطاب إلا بالاستعانة بمعطيات السياق.

وعن البعد السياقي الذي تهتم به التداولية يقول عبد الهادي بن ظافر الشهري: " الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، فليست وظائف مجردة، وبما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة

[1] جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين، دار سيناترا، تونس، دط، 2010، ج1، ص: 21

تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز"[1]، لأنها ساهمت في تشكيل الخطاب، حيث "يقوم السياق بدور أساسي في اشتغال الملفوظات سواء في ما يتعلق بأنشطة الإنتاج أو كذلك التأويل"[2]، ولهذا عُرِّفت التداولية مقترنة بمفهوم السياق" التداولية دراسة جوانب المعنى المعتمدة على السياق"[3].

فهو يشكل أرضية مشتركة تساعد المتكلم في بناء خطابه واختيار استراتيجياته، كما يساعد المتلقي على فهم الخطاب وفك شفراته بناء على المعطيات السياقية كمقام التخاطب وأحوال المتخاطبين." فالتداولية ليست علْما لغويا محضا ينحصر اهتمام الباحثين فيه بالانشغال بالتراكيب اللغوية، أو التركيز على الجوانب الدلالية فحسب، بل هي تهتم بدراسة التواصل اللغوي داخل الخطابات، والبحث في طبيعة العلاقة بين الأحوال الخطابية والأفعال الاجتماعية، ومن ثم التعامل مع الخطاب الإبداعي بوصفه تعبيرا عن تواصل معرفي اجتماعي في سياق ثقافي، فهي علم يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال"[4].

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص: 23

[2] باتريك شارودو، دومنيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، دار سيناترا تونس، د ط، 2008، ص :134

[3] Laurence R horn, and Gregory, the handbook, of pragmatics, ward Blackwell publishing. 2006,p: 1

[4] عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1 ، 2010، ص:35/34

إذاً اللغة في الدرس التداولي ظاهرة اجتماعية تواصلية، ليست محصورة في الدلالات المعجمية أو التراكيب النحوية، بل هي دلالات اللغة أثناء الاستعمال في سياق معين " فالتواصل اللغوي لا يتوقف فقط على ما للغة من قواعد صوتية صرفية تركيبية، إذ تظل غامضة إذا لم تدرج ضمن هذه القواعد معطيات تتعلق بالسياق بكلِّ ما تحتويه هذه اللفظة من معان"[1]. وفي ذلك تأكيد على مركزية السياق في الدرس التداولي.

وهنا نذكر تعريف جيوفري ليتش Jeffery Leech، الذي يربط مفهوم التداولية بالسياق والاستعمال: " يمكن أن تعرف التداولية على نحو معين، أنها تدرس كيف أن ضروب التلفظ بالعبارات تكون لها دلالات في مواقف معينة"[2].

وفي هذا الشأن يرى مجيد الماشطة وأمجد الركابي في كتابهما مسرد التداولية أنه " ليس من السهل تعريف التداولية تعريفا دقيقا، فتعريفها تقليديا بوصفها دراسة استعمال اللغة على غرار تعريف النحو بوصفه دراسة الخصائص التركيبية للكلمات أو أجزائها أو تعريف الدلالة بوصفها دراسة المعنى، هو تعريف مفيد ظاهريا، إذ إنه غير عملي وغير ذي منفعة لممارسي هذا الاختصاص في إرشادهم إلى ما ينبغي عمله"[3]. وقد ذكرا في كتابها جملة من التعريفات للتداولية، من قبيل: " التداولية دراسة كل

[1] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2003، ص:39.

[2] جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2013، ص:5.

[3] مجيد الماشطة، أمجد الركابي، مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر، عمان، ط1، 2018، ص:30

جوانب المعنى التي لم تتناولها النظرية الدلالية"[1]، وهو تحديد يتسم بالعمومية ويبين الحدود الفاصلة بين علم الدلالة والتداولية.

ومن التعريفات التي تضمنت تحديدا للتداولية بشيء من التفصيل، تعريف جورج يول (Joerge Yule) "التداولية دراسة استعمال اللغة في سياق معين، ويميل علماء اللغة أحيانا إلى مباينة التداولية مع علم الدلالة الذي بدوره يدرس معنى الجملة، وهذا ببساطة يعنى أن التداولية تختص بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحيانا بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي قصده المتكلم "[2]. الملاحظ لهذا التحديد، يجد أنه يتضمن أهم الأبعاد التي يرتكز عليها مفهوم التداولية: استعمال اللغة والسياق، علاقة المعنى الحرفي بالمعنى المضمر، القصدية.

صفوة القول: عرف مصطلح pragmatics/ pragmatique ترجمات عديدة شأنه شأن المصطلحات الوافدة من الفكر الغربي، من قبيل البراغماتية، وعلم التخاطب والتداوليات، ويعد المقابل العربي(التداولية) المقابل الأشهر والأكثر رواجا بين الباحثين. ولأن المعرفة الإنسانية تراكمية، فقد عرفت التداولية مرجعيات مختلفة ساهمت في تكوينها وظهورها، كالفلسفة التحليلية والسميائية، كما عرف تحديدها المفهومي تعددا بسبب اختلاف وجهات النظر، فمنهم من عرفها بمقابلتها باللسانيات،

[1] المرجع نفسه، ص: 34

[2] جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص:13

أو بمقابلتها بعلم الدلالة، أو بجعلها فرعا من علم السميائية، ومنهم من عرفها بدراسة اللغة أثناء الاستعمال والتركيز على دور المقام في فهم الخطاب والوصول إلى مقاصده.

4. مجالات التداولية:

التداولية درس جديد ثري بما يشتمل عليه من مباحث، وفي هذا الشأن يحدد دومنيك مانغونو (Dominique Maingueneau) المجالات المتشعبة لها، ننقل هذا التحديد كاملا لشموليته: " نظرية أفعال الكلام، المنبثقة عن أبحاث الفيلسوف الإنجليزي أوستين، والتي واصلها سورل حول البعد الإنشائي للغة، أي عما نقوم به ونحن نتكلم.

- دراسة الاستنباطات التي يقوم بها المشاركون في التفاعل غرايس 1979.
- الأبحاث حول التلفظ اللغوي التي تنامت في أوربا مع بالي، جاكبسون. بنفنست، كوليولي...
- الأبحاث حول المحاجة.
- دراسة التفاعل اللغوي بعض نظريات التبليغ/ الاتصال كنظرية بالو آلتو"[1].

ومن المفيد في هذا السياق الإشارة إلى عمل هانسون Hanson الذي قام بتصنيف مجالات التداولية إلى ثلاثة درجات، عرف هذا التقسيم

[1] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008 ص:102

بدرجات التداولية، وجاء في كتاب فرنسواز أرمينكو المقاربة التداولية "تداولية الدرجة الأولى: دراسة للرموز الإشارية، أي للتعابير المبهمة حتما، ضمن ظروف استعمالها، أي سياق تلفظها.

1. تداولية الدرجة الثانية: هي دراسة طريقة تعبير القضايا، في ارتباطها
2. بالجملة المتلفظ بها، في الحالات الهامة إذ على القضية المعبر عنها أن تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة.
3. تداولية الدرجة الثالثة: فهي نظرية أفعال اللغة، ويتعلق الأمر بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية"[1]

هذا التحديد لدرجات التداولية يكشف عن مفاهيم تعد من أهم مجالات الدرس: السياق والإشاريات والمعاني المضمرة وأفعال الكلام، حيث إن " التداولية دراسة منهجية محكمة للمعنى، ترتكز على استعمال اللغة في سياق ما، وأهم مواضيعها: المضمر، والافتراض المسبق، وأفعال الكلام والإشاريات"[2]

إجمالا يمكن القول: التداولية درسٌ لساني حديث تعددت مجالاته من قبيل: دراسة السياق والمقاصد وأفعال الكلام والإشاريات والمعاني المضمرة. يأتي تفصيلها في الجزء التطبيقي من البحث.

5.أهمية الدرس التداولي:

انتقل الدرس اللساني من ضيق الدرس البنيوي الصارم المنغلق إلى

[1] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص: 38

[2] Yan Huang,pragmatics, p: 2

الدرس التداولي بوصفه مجالا رحبا يجيب عن الإشكاليات التخاطبية التي تتجاوز البنية النصية الداخلية، والتي عجزت البنيوية عن تفسيرها، وفي هذا الصدد يقول رودلف كارناب: " التداولية قاعدة اللسانيات"[1]، وليست سلة مهملات يُرمى فيها ما تعجز عن تفسيره اللسانيات "ولعل المتفق عليه أن مهمتها تأكيد فعل السياق في العملية التواصلية وأهميته في الكشف عن المغيبات المتضمنة داخل الخطاب والتي كان لها الأثر الكبير في تحديد معاني النصوص؛ لذا كان هدفها السعي لفهم العوامل خارج لغوية لتوظيفها من أجل فهم أعمق للخطاب"[2].

فالتداولية أعادت الاعتبار للسياق الذي تم إقصائه في الدراسات البنيوية، إذ له دور جوهري في الدرس التداولي، فهو يعين على فهم الخطاب القائم على التلميح، فضلا عن كونه يقدم رؤية دقيقة للخطاب.

وترى فرنسواز أرمينيكو (François Armengaud) أن أهمية التداولية تتجلى في الإجابة عن " مختلف الأسئلة الهامة من قبيل: من يتكلم وإلى من يتكلم؟ وماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ وكيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر؟ "[3] وهي أسئلة تشترك في البعد الاستعمالي السياقي للغة، تبحث في جوهر التحليل التداولي.

كما تتجلى أهمية الدرس التداولي في التحليل الشامل لأركان العملية

[1] فرانسواز أرمينكو، المرجع السابق، ص:4

[2] بشرى البستاني، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، ص: 15

[3] فرانسواز أرمينكيو، المقاربة التداولية، ص: 2

التواصلية، من خلال الاهتمام بمعطيات السياق من ظروف إنتاج الخطاب وبأحوال المتخاطبين وبما يحيط بهما من ملابسات اجتماعية أو نفسية... إلخ. هذا من أجل الظفر بمقاصد الخطاب والكشف عن مكنوناته، بالاستعانة بجملة من المفاهيم التي جاء بها الدرس التداولي كالأفعال الكلامية والإشاريات والاستراتيجيات التخاطبية، كما يعين التحليل التداولي على البحث في العوامل التي تجعل من التواصل عملية ناجحة.

وبهذا " أمست التداولية اليوم مكونا مركزيا في دراسة التواصل البشري، ولها مساحة تغطية محددة ومنظمة ومجموعة أسس نظرية معترف بها، وهي اليوم جزء مهم من الدرس اللساني، ليس فقط في تأدية جزء محدد في مهمة وصف وشرح التواصل البشري، بل كذلك في تأثيرها على حقول عدة من الدرس اللساني، فتأثيرها قد تجاوز اللسانيات وامتد إلى حقول دراسية ومعرفية"[1].

خلاصة القول: التداولية درس لساني شكلته مرجعيات مختلفة حتى صار تخصصا يمتلك مفاهيما خاصة به، وحدودا فاصلة تميزه عن باقي التخصصات، كما تميز بتركيزه على الجانب التواصلي والسياقي للغة، فبرزت أهميته من خلال البحث في هذا الجانب، لأنه قدم تفسيرات للخطابات التي يقترن فهمها بالسياق، والذي يؤدي تغيبه إلى الابتعاد عن مقاصد تلك الخطابات، فكم من خطاب لا يقصد منه الظاهر بل المضمر منه، بدليل وجود العديد من الخطابات ظاهرها المدح وباطنها السخرية،

[1] مجيد الماشطة وأمجد الركابي، مسرد التداولية، ص: 46

وفي مثل هذه الخطابات العودة إلى السياق أمر لا بد منه، من أجل فهم صحيح لها.

إضافة إلى ما سبق تبرز أهمية التداولية أيضا في كشفها عن الجانب الإنجازي والتأثيري للغة من خلال نظرية الأفعال الكلامية. وهذا المنظور التداولي لهذه النظرية حتما يعين في تحليل الخطاب والوصول إلى تأثير الخطاب على الواقع، كما أن الاستفادة من المفاهيم التداولية من قبيل الإستراتيجيات التخاطبية والاستلزام التخاطبي.

ولابد من التذكير بأن للتداولية إرهاصات –بمختلف مفاهيمها–في تراثنا العربي اللساني، وقد تجلى ذلك في علوم عديدة: البلاغة والنحو وعلم الأصول... إلخ؛ إذ وجد الباحثون في هذا التراث المتشعب جذورا لمفاهيم تداولية من قبيل أفعال الكلام، والإشاريات، والسياق...إلخ، ودفعا للتكرار المخل بالبحث، تحدثنا عن تجليات هذه المفاهيم في الفصول اللاحقة.

المبحث الثاني: الحقل المفهومي للخطاب/ تحليل الخطاب:

- **توطئة:**

عرف مصطلح الخطاب استعمالا واسعا في حقول معرفية متنوعة، حيث" يتردد كثيرا بالاقتران بوصف آخر مثل الخطاب الثقافي، والخطاب الصوفي، والخطاب السياسي، والخطاب التاريخي، والخطاب الاجتماعي، ولذلك ورد الخطاب بتعريفات متنوعة فهي هذه الميادين العديدة بوصفه فعلا يجمع بين القول والعمل، فهذا من سماته الأصلية"[1]

مما جعل مفهومه يتسم بالتعدد لدرجة التعقد؛ حيث التبس مفهومه بمصطلحات أخرى قريبة منه، كالكلام والملفوظ والنص، وآية هذا الالتباس صعوبة الوصول إلى تعريف حاسم له، " فمصطلح الخطاب شأنه شأن المصطلحات التي تكونت حولها ضبابية الرؤية التعريفية، بمعنى أنه كان ولا يزال محور جدل الباحثين في إيجاد صيغة تعريفية مانعة له، فالخطاب كمفهوم ظل يقبل التأويل في حقول معرفية أخرى، دون التبلور في إطار تعريفي يؤدي إلى تحديد خصائصه وماهيته على نحو ينطبق عليه التعريف في حقول المعرفة المختلفة التي تستعين بمفهوم الخطاب"[2]. ولعل كثرة التعريفات المختلفة للخطاب زادته غموضا بدلا من الاقتراب من تبسيطه، إذ يحاول كل حقل معرفي تعريفه بناء على خلفياته، فضلا عن اختلاف مفهومه في الثقافة العربية عن الغربية.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 34

[2] لطفي فكري محمد الجودى، جمالية الخطاب القرآني في النص القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2014، ص: 73

1.الخطاب في التراث العربي:

يرجع مصطلح الخطاب إلى الفعل خاطب الذي يعود للجذر اللغوي (خطب)، جاء في معجم لسان العرب: " خطب: الخطب: الشأن أو الأمر، يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ ويقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، ومنه قولهم: جلّ الخطب أي عظم الأمر والشأن، وفي التنزيل العزيز:﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾ وجمعه خطوب، الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، ﴿ وفصل الخطاب ﴾ هو أن يحكم بالبينة أو المبين، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحكم وضده، وقيل: فصل الخطاب أما بعد، وداود عليه السلام، أول من قال: أما بعد، وقيل فصل الخطاب الفقه في القضاء"[1].

وجاء في معجم مقاييس اللغة: " خطب: الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطاب، والخطبة من ذلك، وفي النكاح الطلب أن يزوج، قال تعالى: لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء، والخطبة الكلام المخطوب به، والخَطب: الأمر يقع؛ وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة"[2]، كما جاء في المعجم الوسيط: (خاطبه) مخاطبة، وخطاباً: كالمه وحادثه، وخاطبه: وجه إليه كلاماً، والخطاب الكلام، وفي

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص: 135

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، دط، 1979، ج2، ص:198

القرآن الكريم: فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب"[1].

أما عن " كلمة الخطاب في القرآن الكريم فقد وردت ثلاث مرات بلفظ الخطاب، وخمس مرات بلفظ الخْطب، وبصيغة الفعل خاطب ثلاث مرات"[2]، فجاءت كلمة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ **ٱلْخِطَابِ** ﴾ (ص 20)،" فصل الخطاب: القضاء بالبينات والأيمان، البينة على الطالب واليمين على المطلوب"[3]، كما جاءت في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي **ٱلْخِطَابِ**﴾ (ص 23) أي " غلبني في الكلام"[4]، وجاء في سورة النبأ، قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ **خِطَابًا** ﴾ (النبأ 37)، والمقصود هنا" لا يملكون الكلام بالشفاعة إلا بإذنه"[5]، أما عن الفعل خاطب فجاء بمعنى مراجعة الكلام في سورتين: المؤمنون وهود، يقول تعالى:(فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا **تُخَٰطِبْنِي** فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾(المؤمنون 27)، بمعنى" لا تراجعوني بالدعاء

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (خطب)، الآية من سورة ص:23.

[2] محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1364هـ، ص:235

[3] السمرقندي، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد بن الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج3، ص: 132

[4] المرجع نفسه، ص:133

[5] المرجع نفسه، ص: 441

في الذين كفروا"[1] والمعنى نفسه في سورة هود، قال تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا **تُخَٰطِبۡنِي** فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ (هود 37)، أما عن معنى الخطب فهو الأمر العظيم كما سلف ذكره في لسان العرب.

والملاحظ لهذه التحديدات المعجمية والقرآنية، يجد أنها مشتركة في تعريف الخطاب بالكلام، والذي تارة اقترن بالحسم والفصل (فصل الخطاب)، أي الكلام الحاسم، وتارة أخرى بالإقناع والتأثير انطلاقا من مفهوم الخُطبة مثلا، " وعليه، فالأصل في الخطاب، أنه عبارة عن الكلام الحاسم، أو المعبر عن إرادة الحسم، أو لنقل: إنه نظام القول العقلي الفاصل القائم على الإثبات والدليل، أو على وضوح الحجة والبرهان، أو بوصفه الكلام أو نظام التكلم الجامع لشروط الإقناع والتأثير، هذا عن دلالة الخطاب في الوعي اللغوي والبياني العربي"[2].

وليس ببعيد عن هذا التحديد (الخطاب/كلام)، يعرف التهانوي في كشاف اصطلاحات العلوم والفنون" الخطاب توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"[3]. يبرز هذا التعريف جانبا تواصليا للخطاب، يتمثل في توجيه المتكلم الكلام مراعيا المتلقي الذي يروم إفهامه مقصد ما أو مقاصد معينة، حيث يوجه المتكلم خطابه عن وعي وقصد، وينفي هذا التحديد الكلام غير الموجه (المفيد). ويقدم الزركشي تعريفا قريبا من تعريف التهانوي بقوله: " الخطاب

---

[1] المرجع نفسه، ص: 412

[2] عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2014، ص: 15

[3] التهانوي، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم، مكتبة ناشرون لبنان، ط1، 1996، ص:749

هو الكلام المقصود منه إفهام من هو متهييء للفهم"[1] ما يعني أن الخطاب مبني على القصدية في توجيه الكلام ومقترن بمتلق محدد يجمعه بالمتكلم سياق مشترك (متهيء للفهم).

وما تجدر الإشارة إليه أن الكلامَ في الثقافة العربية يحمل دلالتي القصد والإفادة، يقول صاحب شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب،" الكلام قول مفيد مقصود، أما المفيد فهو الدال على معنى يحسن السكوت عليه، نحو: زيد قائم، وقام أخوك، بخلاف نحو: زيد، ونحو غلام زيد، ونحو الذي قام أبوه، فلا يسمى شيء من هذا مفيدا، لأنه لا يحسن السكوت عليه، فلا يسمى كلاما"[2] وجاء في مقدمة ابن خلدون: " اعلم أن الكلام هو العبارة والخطاب. إنّما سرّه وروحه في إفادة المعنى"[3]. مما سبق يتبن أن: الخطاب في الثقافة العربية ترتسم حدوده في دائرة الكلام والذي يشترط فيه القصدية والإفادة؛ بمعنى أن يكون مفيدا مقصودا يحسن السكوت عليه.

2. الخطاب في الدرس اللساني الحديث:

شَكَّلَتْ التعريفات المختلفة لمصطلح الخطاب زخما مفهوميا، تَعسَّر معه القبض على مفهوم شامل له، لاختلاف الحقول المعرفية التي استعملته. " وفي سياق تحديد موضوع الدرس اللساني الحديث تُدُوولت في الأدبيات اللسانية ثلاثة مفاهيم هي: الجملة والخطاب والنص، وعرفت هذه

[1] بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تح: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1992، ج1، ص: 126

[2] ابن هشام، شرح شذور الذهب في كلام العرب، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 2011، ص: 19

[3] ابن خلدون، المقدمة، تح: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، ط1، 2001، ص: 799.

المفاهيم الثلاثة تعريفات اختلفت باختلاف طبيعة ومنطلقات النظريات اللسانية "[1] بمعنى تتداخل هذه المفاهيم في تحديد ماهية الخطاب، إما بقابلته أو بتحديد الفروقات التي تفصله عن الجملة والنص، " أما الخطاب فقد ميز عن الجملة في هذا النمط من النظريات باعتباره يتسم بسمتين: تعديه للجملة من حيث حجمه وملابسته لخصائص غير لغوية دلالية وتداولية وسياقية"[2]. وفق تصور أحمد المتوكل تحدد مفهوم الخطاب في الدرس اللساني الحديث بمقابلته تارة بالجملة بوصفه مفهوم يتعدى الجملة في الحجم ويتميز عنها بسمات تداولية سياقية، كما قابل مفهوم الخطاب بمفهوم النص، فيقول: " أما مصطلح النص فقد أطلق على الإنتاج اللغوي الذي يتعدى الجملة باعتباره سلسلة من الجمل يضبطها مبدآن: مبدأ الوحدة ومبدأ الاتساق أو التناسق، وقد استعمل هذا المصطلح في الأدبيات اللسانية تارة مرادفا للخطاب باعتبار الخطاب نصا وظروف إنتاج وتارة أخرى باعتبار النص سلسلة جملية معزولة عن ظروف إنتاجها شأنه في التجرد والصورية شأن الجملة"[3]. وبهذا جاء مفهوم الخطاب على ثلاثة أوجه: الأول: الخطاب يعني النص مضاف إليه ظروف الإنتاج، والثاني: الخطاب مرادف لمفهوم النص، والثالث: الخطاب غير النص؛ لأنه سلسلة من الجمل معزولة عن السياق.

---

[1] أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان الرباط، ط1، 2010، ص: 21

[2] أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 21

[3] المرجع نفسه، ص: 22

ويضيف أحمد المتوكل في هذا الشأن: "على أساس هذا التميز وُقف من الخطاب موقفان: **أولهما:** إقصاؤه من الدرس اللساني الصرف باعتباره يندرج، بخلاف الجملة، في حيز الإنجاز أكثر من اندراجه في حيز القدرة اللغوية.**وثانيهما:** الاحتفاظ به لكن على أساس منفصل سمي لسانيات النص (أو تحليل الخطاب) في مقابل لسانيات الجملة"[1]. وقد حدد مفهوم الخطاب بقوله: "يعد خطابا كل ملفوظ/ مكتوب يشمل وحدة تواصلية قائمة الذات"[2]، أي الخطاب حسب أحمد المتوكل: مفهوم شامل لا يختص بالمنطوق فقط، بل يدخل في إطاره المكتوب أيضا، ويعكس بعدا تواصليا في سياق محدد يضمن له الكينونة والاستقلال (وحدة تواصلية قائمة بذاتها).

في السياق نفسه، يرى دومنيك مانغونو (Dominique Maingueneau) في مؤلفه المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب " أن مصطلح الخطاب يتداخل مع جملة من المصلحات: الجملة والملفوظ واللغة والنص، وعن علاقة الجملة بالخطاب يقول: الخطاب يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل، بهذا المعنى يستعمل هاريس(1952)"[3] يعني أن الخطاب أعم من الجملة، وتحليل الخطاب يعني تحليل سلسلة من الجمل (حسب هاريس الخطاب سلسلة من الجمل).

[1] أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص:22.

[2] المرجع نفسه ص: 24

[3] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص: 38

كما يتداخل مفهوم الخطاب مع الملفوظ، " فضلا عن طبيعته: وحدة لغوية = ملفوظ، فإن الخطاب يشكل وحدة اتصال مرتبطة بظروف إنتاج معينة خطابي معين: نقاش متلفز، مقالة صحفية، رواية إلخ، من حيث هذه الوجهة، يحيل الملفوظ والخطاب على وجهتي نظر مختلفتين: أن النظر الملقى على النص من حيث بناؤه اللغوي يجعل منه ملفوظا، أما الدراسة اللغوية لظروف إنتاج هذا النص فتجعل منه خطابا"[1].

والخطاب هو الكلام بالمفهوم السوسيري، ففي الثنائيات السوسيرية الكلام يقابل اللغة باعتبارها بنية لغوية منغلقة لها نظامها الخاص، وهي ظاهرة اجتماعية عامة، ويختلف الكلام (الخطاب) عن اللغة " من حيث هي نظام مشترك بين أفراد الجماعة اللغوية مخالفة للخطاب من حيث هو استعمال محدد لهذا النظام"[2]. فمعلوم أن الكلام بالمفهوم السوسيري هو تجسيد فردي لقواعد النظام اللغوي، وهو متغير بحسب مقامات التخاطب

ومن المصطلحات المتداخلة مع الخطاب مصطلح اللغة؛ " فمفهوم الخطاب يظهر بوضوح من خلال الفصل بين اللغة بوصفها مفهوما مجردا، وهي نظام متجانس في الوقت نفسه، وبين اللغة في حالة الاستخدام، إذ تكون ممارسة اجتماعية وهي تكون عندئذ ظاهرة اجتماعية محكومة بجملة شروط وظروف تكون بها جزءا من سيرورة المجتمع"[3]. يعني أن الخطاب

[1] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص: 38.

[2] المرجع تفسه ص: 39.

[3] فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر، ط1، 2003، ص: 41

يتحدد في الجانب الاستعمالي من اللغة، أي الخطاب ممارسةٌ اجتماعية.

ومن المصطلحات التي تداخلت مع مصطلح الخطاب مصطلح الفكر، " يرى مختار الفخاري أن بعض الباحثين يستعملون مصطلح الخطاب بدل الفكر، فعندما يجعل الباحث عنوان كتابه الخطاب العربي مثلا، أو الخطاب الديني عوضا عن الفكر العربي أو الفكر الديني، فإنه اعتراف ضمني منذ البداية بأنه لا يقول القول الفصل في هذه النصوص، وإنما يقول وجهة نظر معينة من بين وجهات النظر الأخرى والعديدة واللامتناهية،"[1] يعني أن علة استبدال مصطلح الفكر بالخطاب هي التحديد الدقيق لجوانب البحث التي يكتنزها مصطلح الخطاب، " إذن الخطاب ليس الفكر، وإنَّما إمكانية منه، والخروج عن مصطلح الفكر في الفكر الحديث إلى مصطلح الخطاب هو خروج من مجال المطلق إلى مجال النسبي، وهو اعتراف بحق الآخر في الاختلاف"[2]

ويضيف محمد فخاري في علة استبدال الفكر بالخطاب: " يكون مصطلح الخطاب أنجع من مصطلح الفكر، لأنه أكثر استجابة لما نريد منه، فهو يتضمن الأطراف المتواصلة عبر قناة البث، ويمكننا من الضبط المنهجي، والتدقيق العلمي، في عملية تشخيص دور هذه الأطراف وفعاليتها في تحديد معنى الرسالة/ النص"[3].

---

[1] مختار فخاري، مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية، مجلة الآداب والعلوم الأنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، 1435هـ، العدد 3، ص: 537

[2] المرجع نفسه، ص: 537

[3] المرجع نفسه، ص: 536

ويحمل الخطاب في معجم اللسانيات لجون دوبوا مفاهيم متعددة:"

1. الخطاب هو اللغة أثناء الفعل، أو التي تتكفل بإنجازها ذات معينة، وهنا الخطاب مرادف للكلام.

2. الخطاب هو وحدة مساوية للجملة أو أكبر منها، وهو متتالية جملية تتضمن رسالة لها بداية ونهاية، وهنا هو مرادف للملفوظ.

3. الخطاب من منظور البلاغة هو سلسلة من التشكيلات التخاطبية المقصودة التي تهدف للإقناع والتأثير وفق قواعد محددة، كاللوم والمدح.

4. ويشير الخطاب بمعناه اللساني الحديث إلى كل ملفوظ أعلى من الجملة، يُنظر إليه وفق تسلسل مجموعة من الجمل تحكمها قواعد"[1].

ومن تعريفات الخطاب نذكر أيضا تعريف ميشال فوكو (Michel Foucaut)" هو مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية، قابلة لأن تتكرر إلى مالا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ... بل هو عبارة عن عدد ما يصور المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها"[2] وعليه، يرتكز مفهوم الخطاب حسب فوكو على طبيعته **القولية** المنتمية إلى تشكيلة خطابية على حد تعبيره، أي غير معزول عن السياق الذي يكسبها التفرد والتميز، كما يرى " هذا المفكر المابعد حداثي أن الخطاب

[1] Jean dubois, Et autre dictionnaire de linguistique, libraire larouse, paris, p : 150,

[2] الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2000، ص: 111

بنية لسانية مضطهدة، وأن المعنى يكمن خلف طبقات من الأساليب الظاهرة المضللة للسلطات الاجتماعية التي تمارس نوعا من الحظر على الخطاب" [1] أي الخطاب حسب فوكو يتحدد معناه في علاقته بالسلطة، لذا" الخطاب عند فوكو كلام مقموع، فالمتكلم لا يقول ما يريد، بل يقول ما يجب أن يقال"[2] لخضوعه لسلطة المجتمع وأعرافه.

ويعرف بنفينست Benveniste الخطاب بقوله: " هو كل ملفوظ يفترض متكلما ومستمعا تكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما"[3] وهو تعريف يركز على الجانب التواصلي للغة ويقترن فيه الخطاب بالمنطوق وبالقصدية (من طرف المتكلم) وبالتأثير (في المتلقي).

ومن التعريفات التي تركز على القصدية في تحديد ماهية الخطاب، تعريف عبد الواسع الحميري:" الخطاب عبارة عن نظام القول أو الفعل القصدي(ودوافعهما) الذي من شأنه أن يبرمج وعينا (كقائلين أو فاعلين في حقل معين) ويوجه إرادتنا وسلوكنا القصدي / التواصلي، لذلك فهو عبارة عن نظام العقل الذي نعقل من خلاله الأشياء والأوضاع، ونقيم علاقتنا بها، على أساسه، أو بمقتضى منطقه"[4].

---

[1] مختار فخاري، مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية، ص: 546

[2] المرجع نفسه، ص: 546

[3] Benveniste, problemes linguistique génerale. Edition. Galimaed, 1996, p : 246

[4] عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص المفهوم–العلاقة–السلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2014، ص:174

كما يعرفه نعمان بوقرة في مؤلفه لسانيات الخطاب مركزا على بعده التواصلي " الخطاب وحدة تواصلية إبلاغية، ناتجة عن مخاطب معين موجهة على مخاطب معين في سياق معين يدرس ضمن ما سمي بلسانيات الخطاب"[1].

وتكمن فاعلية السياق من خلال دوره البارز في تشكيل الخطاب وصناعته، كما يتيح التفاعل بين المُتخاطِبين. فالخطاب الذي لا يراعي السياق حتما يفشل وتزول عنه سمة التفاعل، " والتفاعلية (l'interactivité) سمة تلازم الخطاب وتتجلى أحسن ما تتجلى في التفاعل الشفوي (l'interaction orale) وتظل قائمة لا يذهب بها إنتاج الخطاب في غيبة من متلقيه، فالخطاب مهما تعددت ضروبه وتنوعت قنواته يضل شكلا من التبادل بين باث يصدر عنه، ومتلق يتجه إليه لا يكون بالضرورة كيانا حقيقيا وذاتا حاضرة ساعة إنتاجه"[2]

وعليه فإن" الخطاب يرتكز على جملة من المتلفظات اللغوية أو التعابير التي تنتظم بطريقة معينة لتنتج دلالة ما، وتحقق أثرا معينا، وذلك من خلال إيجاد تفاعل مع المجال الاجتماعي الذي يعد مهادا لتلقي موضوع الخطاب، وحينئذ تتاح لمثل هذا الخطاب فرصة التجادل مع غيره من الخطابات الأخرى، وبالتالي يشتبك مع وعي المخاطبين في محاولة لدفعهم إلى حقل قناعاته"[3].

---

[1] نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص: 19

[2] حاتم عبيد في تحليل الخطاب، دار وزد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013، ص: 20

[3] لطفي فكري محمد الجودى، جمالية الخطاب القرآني في النص القرآني، ص: 83

تأسيسا على ما سبق، يمكن القول بأن الخطاب يتصف بسمات أهمها:

– **التفاعلية** بين المتخاطبين التي تضمن الاستمرارية من أجل تحقيق أغراض تواصلية كالتعبير عن المواقف والأفكار.

– **القصدية:** وهي أساس الخطاب ولبه، فالخطاب فعل قصدي في سياق معين.

– **التأثير:** الخطاب ليس فعلا عشوائيا لا غاية له، بل يروم التأثير في المتلقي حسب تعريف بنفيست.

– **الإطار الاجتماعي السياقي:** الخطاب يتحدد بمرجعيته الاجتماعية، فالتفاعل بين المتخاطِبين لا يكون إلا في إطار سياق محدد.

في الختام، نَذكرُ تعريف مختار فخاري الذي حاول وضع حوصلة لمفهوم الخطاب، فيقول: "وإذا أردنا أن نحوصل مفهوم الخطاب في عبارات موجزة قلنا إنه ليس الكلام صراحة، وإنما هو الكلام ظنا وضنا، وليس الفكر المطلق، وإنَّما هو إمكانية منه، وليس النص بنية، وإنما النص سياقا"[1]. وهو تحديد يبرز فرادة الخطاب وتميزه عن العديد من المصطلحات القريبة كالنص والكلام، فليس كل كلام خطاب، وليس كل نص خطاب، ولا خطاب بلا سياق.

3. الجدل المفهومي بين الخطاب والنص:

شكلت ثنائية الخطاب/ النص جدلا واسعا بين الباحثين؛ إذ التبس مفهومهما في كثير من الدراسات والبحوث، لدرجة الغموض والتذبذب في

[1] مختار فخاري، مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية، ص: 538

استعمالهما. فمن الباحثين من يقر بوجود فروق فاصلة بينهما، كقولهم: أن الخطاب أعم من النص، وبين من يرى العكس النص أعم من الخطاب، ومنهم لا يفرق بينهما في الاستعمال.

ومن الباحثين الذين لا يفرقون بين الخطاب والنص" كل السرديين الذين يقفون عند الحد اللفظي للحكي (جنيت، وتدروف، فاينريش...) لا يميزون بين الخطاب والنص، إنهما يستعملان بالدلالة نفسها، لأنهما يحملان معنى واحدا، وإن كان الاستعمال المهيمن هو الخطاب، أما النص فلا يوظف إلا بين الفينة والأخرى"[1] كما " تستعمل شلوميت النص بمعنى الخطاب الشفوي أو الكتابي، أو بمعنى آخر، هو ما نقرأ"[2]

أما عن الفروقات التي تميز الخطاب عن النص، فإننا ننطلق من فكرة محورية: " الخطاب ليس هو اللغة، كما توجد اختلافات عميقة بين الخطاب والنص، وذلك رغم نشأتهما التقليدية في الدراسات اللغوية، إن الخطاب والنص يبحثان في البناء والوظيفة لوحدات اللغة الكبرى، كما تتطورا في نفس الوقت تقريبا، لكن لا شك في وجود فروق بينهما على مستوى المفاهيم والمناهج والوظائف "[3].

ويفرق مانغونو في كتابه المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب بين الخطاب والنص بقوله:" ينظر إلى الخطاب من حيث هو ارتباط النص

[1] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2006، ص: 10

[2] المرجع نفسه، ص: 11

[3] قويدر شنان، تحليل الخطاب والتداولية، ص:243

بسياقه"[1] أي الخطاب= النص+ السياق

وفي السياق نفسه، يحدد مؤلفا كتاب النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية الفرق بين النص والخطاب بقولهما:" في سياق مفهومي بين النص والخطاب نحن أمام تميز ضروري وصعب وقابل للنقاش في الوقت ذاته، وتعود الصياغة الأوضح لهذا التميز إلى آدم الذي قدمها في صورة معادلة رياضية كالآتي: الخطاب= النص+ ظروف الإنتاج، النص= الخطاب– ظروف الإنتاج وبتعبير آخر: الخطاب بكل تأكيد ملفوظ يتميز بخاصيات نصية، لكنه يتميز أساسا بوصفه فعلا خطابيا أنجز في وضعية معينة (مشاركون، مؤسسات، موضع، زمان..) ، أما النص فهو بالمقابل موضوع مجرد ناتج عن نزع السياق عن الموضوع المحسوس (الخطاب)"[2]. ووفق هذا التصور يصبح السياق الحد الفاصل بين الخطاب والنص.

و "حسب فانديك النص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلي، وفي إطار هذه العلاقات يتم الربط بين النص كإعادة بناء نظري مجرد، وبين سياقه التداولي كما يتجلى من خلال الخطاب"[3] ، كما يرى مختار فخاري أن " الخطاب ليس النص، لأن النص بنية مغلقة يحدد وجودها الكاتب فحسب في حين الخطاب هو عملة لها وجهان: ما يقوله

[1] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص: 48

[2] ماري آن بافو، وجورج إلياس رفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012، ص:315

[3] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص: 16

الكاتب وما يقرؤه القارئ، فالخطاب إذن ليس النص ولكنه مقروء النص بعد قراءته"[1]

ومن الذين ميزوا بين الخطاب والنص عبد الهادي بن ظافر الشهري الذي يرى أن النص" هو مجمل القوالب الشكلية: النحوية والصرفية والصوتية، بغض النظر عما يكتنفه من ظروف أو يتضمنه من مقاصد. في حين يحيل الخطاب على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتشكيله اللغوي، وكذلك في تأويله، مما يفترض معرفة شروط إنتاجه وظروفه"[2]. الفرق بينهما وفق هذا التصور هو السياق، ويضيف فرقا آخر" كما أن هناك فرقا في العلامات المستعملة، فقد ينتج الخطاب بعلامات غير لغوية كما هو الحال في التمثيل الصامت، أو الرسم الكاريكاتوري، أو الخطاب الإعلاني التجاري الذي يقتصر على استعمال علامات غير لغوية"[3]، وهو فرق يبرز رحابة الخطاب الذي لا يتقيد بالعلامات اللغوية وارتباطه بالممارسات الاجتماعية.

إجمالا، يمكن القول بأن ثنائية الخطاب والنص شكلت جدلية بسبب كثرة استعمالهما من طرف الباحثين والدارسين، فضلا عن اختلاف المجالات المعرفية التي وظفت المصطلحين، هذا ما تولد عنه خلط مفهومي بين النص والخطاب، نتج عنه آراء مختلفة حولهما، فمنها من يطابق بينهما ومنها من يرى بوجود حدود فاصلة بينهما، منها من يرى

[1] مختار فخاري، مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية، ص: 538

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص: 39

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص:39.

بتكاملهما وتداخلهما.

4. أنواع الخطاب:

مما لا شك فيه، أن الخطاب يتمظهر بأنواع مختلفة في استعمالاتنا، ويمكن إجمال معايير تصنيف الخطابات حسب ما جاء به أحمد المتوكل هي: الموضوع والآلية والبنية."

1. تصنف الخطابات من حيث موضوعاتها إلى خطاب ديني، وخطاب علمي وخطاب إيديولوجي أو سياسي...
2. وتصنف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى الخطاب الفني (الإبداعي، الأدبي) إلى قصة ورواية وقصيدة شعر وغيرها.
3. أما من حيث الآلية المشغلة فيميز بين الخطاب السردي والخطاب الوصفي والخطاب الحجاجي. ويمكن الاحتفاظ بهذا التنميط لاشتهاره وكثرة تداوله شريطة أن تؤخذ بعين الاعتبار سماته الثلاثة التالية: مفتوحيته ودرجيته وفرعيته"[1] ويعكس تنوع الخطاب وفق المعايير الثلاثة: البنية والآلية والموضوع، كثرة استعمال هذا المصطلح في تخصصات كثيرة.

5. تحليل الخطاب النشأة والمفهوم:

اللغة وعاءُ الفكر وأساس التعامل الإنساني ووسيلته المثلى للتعبير عن الانفعالات وتوصيل الأفكار. لذا حظيت بالاهتمام والدراسة على مر العصور، فهي موضوع علم اللسانيات(**Linguistique**) ومحط انشغاله، هذا

[1] أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 25

العلم الذي أرسى ركائزه فريناند دوسوسير وأحدث ثورة في الدراسات اللغوية، وشكلت أفكاره دعائم اللسانيات البنيوية التي تدرس اللغة في حد ذاتها ولذاتها بدون مراعاة للسياق الخارجي للتواصل.

كما أن المنجز اللساني الجديد الذي جاء به دو سوسير " قد فتح الطريق لسلسلة من الدراسات التنظيمية الشكلية للغات، ففي جانب علم وظائف الأصوات تعتبر أعمال حلقة براغ من مواريث التفكير السوسوري، وأما في جانب النحو فتركب مارتيني الوظيفي مثلا مستخرج من مفهوم اللغة باعتبارها دراسة للأشكال، وبالإضافة إلى هذا التتابع الأوربي للبنيوية نشهد وجود مقدمات تظرية وطرق متشابهة مع مناهج سوسير عند التوزيعين الأمريكيين"[1]

وإنْ كان المنجز السوسيري قد شكل أرضية لقيام دراسات لسانية أخرى فإن حدود هذه الدراسات توقفت عند الجملة بوصفها وحدة كبرى للتحليل اللساني، وفي هذا السياق يقول الأزهر الزناد: " وقف منذ القديم الدرس اللساني عند حدود الجملة، فبين مكوناتها ومختلف القواعد التي تحكمها؛ وعلى ذلك قامت النظريات النحوية والاتجاهات اللسانية المختلفة والمتعاقبة، فالجملة بنية قارة في الكلام، وقرارها هذا جعل النظريات التي اشتغلت بوصفها وتقنينها، متينة متانة نسبية"[2].

[1] كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، ص:19

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص: 14

لكن بظهور قضايا لسانية تتجاوز حدود الجملة وتحتاج لفهم نسيج النص، عجزت لسانيات الجملة عن تقديم تفسيرات لتلك القضايا، ومن الدراسات المهمة الرائدة في هذا المجال دراسة البنيوي التوزيعي ز. هاريس (z.haris) الذي "حاول في عمله تحليل الخطاب أن يجري تحليلا بنيويا صارما للنصوص المفردة، وقد استعان في ذلك بتقنيات التجزئة والاستبدال الخاصة به، ووصل بناء على منهجية إلى أقسام متكافئة من أجزاء نصية"[1]

على الرغم من أن هاريس في تحليله اللساني القائم على التوزيع قد تجاوز الجملة إلى متتالية من الجمل، إلاّ أنه لم يقدم تحليلا دقيقا للبنى المشكلة للنص، لاقتصاره على البنى السطحية من النص فقط (بوصفه متتالية من الجمل)، " فالنص إذن بالنسبة لهاريس تتابع من جمل كثيرة ذات نهاية، ولأنه لم يحلل إلا سطح النص صَعُب عليه أن يقول شيئا حول العمليات المشكلة للنص"[2]. وتحسن هنا الإشارة إلى أن " بيرفيش bierwidch 1985 بين في دراسته النقدية لعمل هاريس السابق 1952 إلى أن منهجه في التفكيك إلى أقسام متكافئة لا يمكن أن يفرق نصوصا حقيقية عن تتابعات الجملة"[3]. ومن هنا صار ضروريا الانتقال من لسانيات الجملة إلى دراسة النص والخطاب اللذين بوسعهما تقديم تفسيرات لكل القضايا التي تتجاوز الجملة، كالإحالات التي تحيل خارج الجملة أو إلى

[1] زتسيسلاف و أورزنياك، مدخل إلى علم النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003، ص: 54

[2] زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النص، ص: 54

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

خارج النص، أو المعاني المضمرة التي تفهم خارج الجملة بالاستعانة بالسياق الخارجي.

والانتقال من لسانيات الجملة إلى تحليل الخطاب ولسانيات النص لا يعد قطيعة معرفية، بل تطور اقتضته تحولات الأنساق المعرفية على حد تعبير عبد الرحمن بودرع؛ إذا يقول" لقد اقتضى تحول الأنساق المعرفية وتطورها وحركيتها الانتقال من نحو الجملة إلى علم لغة النص أو لسانيات النص، ومن النظرة الجزئية للخطاب وما يرافق ذلك من هيمنة الوقوف عند حدود الكلمة المفردة والحال المبسترة إلى النظرة الكلية الشاملة للنص المكتوب والخطاب المنجز، وإلى التحليل النقدي للخطاب "[1].

وعن النسق المعرفي يقول صلاح فضل: "يرتبط مفهوم النسق المعرفي في الفكر الحديث بالبحوث التي قدمتها دراسة الأطر الاجتماعية للمعرفة، وما انتهت إليه من تصورات تكشف عن تغير أشكال المعرفة وعلاقاتها عبر العصور المختلفة."[2]، هذا التغير الحتمي الملازم للنسق المعرفي، يفرض على الباحث الإلمام به حتى تتضح له الرؤية، حيث يقول" وتأسيس هذا المفهوم في بحث الظواهر الأدبية والبلاغية ضروري لمتابعة التحولات التي تفرض على الباحث المعاصر اتخاذ موقف منهجي صحيح في التأمل مع المادة التي يتقدم لدرسها، ومعرفة علاقاتها ببقية وحدات المنظومة التي

[1] عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، 2013/02/16، ص: 19

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت 1978، دط، دت، ص: 9

تستمد منها مقولاتها"[1]، فقد " أصبح تجاوز الجزئي إلى الكلي طريقة في التناول ومنهجا في التحليل، وسمة من سمات الفكر والثقافة في هذا العصر"[2].

هذا ما يقودنا للقول بأن ظهور مصطلح تحليل الخطاب جاء بعد تطور معرفي، جَسَّدُه عجز لسانيات الجملة عن التحليل الشامل للخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية، تحمل أبعادا سياقية، أي أبعاد غير مقيدة بالبنية اللغوية.

لهذا تجاذبت مجالات عديدة تحليل الخطاب؛ حيث أضحت له" استعمالات عديدة تشمل مجالات واسعة من الأنشطة، فهو يستعمل مثلا للحديث عن أنشطة تقع على خط التماس بين دراسات مختلفة كاللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية واللسانيات الفلسفية واللسانيات الإحصائية، والمهتمون بمثل هذه الدراسات المختلفة يركزون بحثهم جميعا على جوانب شتى من الخطاب"[3]، فعلى سبيل المثال اللسانيات الاجتماعية تعنى بالجوانب الاجتماعية السياقية في الخطابات.

وفق هذا التصور فإن كل خطاب يكتسب مقومات تحليله حسب الاختصاص الذي ينتسب إليه. فتحليل الخطاب الاجتماعي على سبيل المثال يختلف عن الخطاب الديني، هذا ما جعل تحليل الخطاب يتسم

[1] المرجع نفسه، ص: 9

[2] عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، ص: 19

[3] ج. براون، وج. يول، تحليل الخطاب، مكتبة الملك فهد، السعودية، 1997، د ط، ص:1

بالثراء والتنوع، فهو " فضاء معرفي تتقاطع فيه اللسانيات، وعلم التخاطب، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثربولوجيا، نظرا للتجاذب والتفاعل الحاصل بينها وبين فنون تحليل الخطاب "[1]

وبهذا صار تحليل الخطاب بوتقة انصهرت فيها العديد من العلوم والمعارف، و" لما كان تحليل الخطاب يقف في مفترق طرق العلوم الإنسانية، فهو عرضة لعدم الاستقرار، ذلك أنه يتجاذبه محللون مختلفون في المشارب، كعلماء الاجتماع وعلماء النفس، وغيرهم، إضافة إلى تباين التيارات الفكرية"[2]، فالخطاب الواحد قد يحلل تحليلات عديدة وفق تصورات مختلفة، فيحدث مثلا أن يحلل خطاب سياسي واحد عدة تحليلات منطلقة من نزعات إيديولوجية وسياسية مختلفة.

إذا من "الطبيعي أن يفضي تعدد الروافد التي غذت تحليل الخطاب وتنوع المصادر التي شكلت قاعدة تأسيسية إلى عدم اتضاح حدوده والتباسه باختصاصات مجاورة له، وإلى قيام تصورات مختلفة في صلبه لا يجمع بينها أحيانا إلا انتساب أصحابها إلى اختصاص واحد هو تحليل الخطاب"[3]، والذي يضم مناهج مختلفة قد تعطي الخطاب الواحد العديد من القراءات، لتعدد مشارب المحللون.

[1] محمد بازي، صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015، ص: 46

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 10

[3] حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، ص: 23

أما مفهوم تحليل الخطاب فيعني " تفكيك الخطاب أو النص، وحَلُّه إلى وحداته التي ساهمت في بنائه الشكلي ودلالته؛ لتَّعرف على وظيفة كل عنصر منها في الخطاب وأثرها فيه، لاستنباط أسراره ومقاصده، والتحليل عند مفسري الخطاب والنصوص المكتوبة يعبر به عن توضيح مضامين النصوص، والكشف عن المراد منها"[1].

وتحليل الخطاب لا يعني التفكيك السطحي الشَّكلي لبِنيات الخطاب، وتحديد لموضوعه وأطرافه، أو القراءة السطحية وتفكيك وحداته الكبرى، بل يحتاج إلى البحث في صلة البنى اللغوية بالسياق، أي" تحليل استعمالات اللغة، فالهدف من التحليل ليس البنية اللغوية، بل المعنى المرتبط بظروف الإنتاج"[2]. وبهذا يكون تحليل الخطاب مغايرا للتحليل البنيوي الصارم الذي يكتفي بالبنية الداخلية للنص ويلغي السياق الخارجي.

فإذا كان الخطاب تشكيل معقد لصيق بسياقه، فإنه يستلزم من محلله أن يأخذ بعين الاعتبار كل ما يخص ظروف الإنتاج والإطار الزمكاني الذي يؤطر عملية التخاطب. فضلا عن استكشاف أساليب الخطاب واستراتيجياته، كل هذا من أجل الوصول إلى مقاصده، لأن الخطاب هو " الشكل التفاعلي، وليس النص اللغوي الثابت، ويتطلب تحليل الخطاب استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاج النص (تحليل المقام الخارجي)،

[1] محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2014، ص: 11

[2] المرجع نفسه، ص: 14

ومن ثم فإن المقام جزء أساسيا من عمل تحليل الخطاب"[1].

لقد تعددت الدراسات التي تعنى بتحديد مجال الذي يختص به تحليل الخطاب" ويمكن تجميع الاتجاهات المتعلقة بتحليل الخطاب في الأقطاب الآتية: تصورات تدرج الخطاب في إطار التفاعل الاجتماعي وأجناس الخطاب، تصورات تربط الأهمية لوضعيات التواصل الاجتماعي وأجناس الخطاب، تصورات تربط بين الانشغالات الخطابية وظروف إنتاج المعارف والمواقع الإيديولوجية، ثم اتجاهات تهتم بالتنظيم النصي وسمات التلفظ، وجّهت هذه التصورات مرجعيات محددة في الاهتمام بجهة من جهات الخطاب (المنتج/ النص/المرجع..)، وتبعا لذلك فالنتائج ستكون مطبوعة بأثر تلك المرجعيات، وخادمة لأهدافها"[2].

تلك التحليلات المختلفة للخطاب في حقيقة أمرها مطبوعة بمعطى سياقي معين تم التركيز عليه في التحليل؛ حيث توجد تحليلات ترتكز على التفاعل الاجتماعي، وأخرى ترتكز على ظروف إنتاج الخطاب، وأخرى تبحث في البنى المضمرة... إلخ. وعليه "يهدف تحليل الخطاب إلى إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدة اللغوية المدروسة، وهذا من خلال دراسة النص(texte) والسياق (contexte)"[3].

إذاً للسياق دورٌ جوهري في تحليل الخطاب؛ إذ يسعى هذا الأخير" إلى ربط الملفوظات بسياقاتها، وفي أغلب الأحيان، يحدد تحليل الخطاب

[1] محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ص:23.

[2] محمد بازي، صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، ص: 46

[3] محمد بازي، صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، ص: 11

بهذه الخصيصة، غير أنه لا يدرس الملفوظات بشكل محايث immanente، لكي يربطها بعد ذلك بالمعايير المختلفة(الخارجية) السياقية، بل على العكس، يسعى إلى الإحاطة بالخطاب بوصفه نشاطا غير مفصول عن هذا السياق"[1].

من هذا المنطلق تبرز العلاقة الوطيدة بين الخطاب وسياقه، والتي يبغي أخذها بعين الاعتبار في أي قراءة للخطاب، فلكل خطاب معطيات سياقية تكسبه خصوصية تميزه عن غيره، والعودة إليها أمر لا يمكن الاستغناء عنه في تحليل الخطاب والبحث عن مقاصده، الأمر الذي يبعد التأويلات المتعددة. وبهذا لا يمكن إلغاء ثنائية: السياق / الخطاب في أي تحليل، لأن السياق عنصر مهم في تشكيل الخطاب وتحديد معالمه كما يُستفاد منه في فتح مغاليقه.

يحدد مانغونو في كتابه المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب كيفية استثمار السياق في تحليل الخطاب؛ إذ يرى أن تحليل الخطاب لا ينحصر في التحليل اللغوي وحده وإقصاء السياق، ولا بالتحليل السياقي لوحده وإقصاء التحليل اللغوي داخل الخطاب، وإنما يقصد به دراسة الخطاب في سياق اجتماعي تواصلي محدد، ولأن الخطاب يتغير بتغير السياق فإن تحليله يكون في فضاءات اجتماعية مختلفة كالمقهى والمدرسة ...الخ، أو في حقول خطابية متنوعة كالسياسي والعلمي... إلخ"[2]

[1] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل، ص: 27

[2] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل، ص:10

وفي ختام هذا المبحث يمكن القول بأن تحليل الخطاب ظهر كنتيجة حتمية لعجز لسانيات الجملة عن تقديم وصف شامل للنص أو الخطاب. وهو تخصص بيني تتجاذبه علوم عديدة كعلم النفس وعلم الاجتماع ... إلخ، فهو يقف في مفترق العلوم الإنسانية، يفكك الخطابات بحثا عن مقاصدها، ويعتمد جملة من المناهج النقدية تختلف باختلاف المشارب الفكرية لمحللي الخطاب وباختلاف الخطابات ويرتكز في عملية التحليل على السياق.

المبحث الثالث: مفهوم الخطاب القرآني وخصائصه وأنواعه:

1.في ماهية الخطاب القرآني:

مما لا ريب فيه أن الخطاب القرآني منفردٌ بعلو مصدره وروعة بيانه، منزَّه عن التحريف، اختص الله بحفظه. قال تعالى:﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾(فصلت 42)، إن القرآن الكريم منفرد عن كل أساليب البشر، جاء لهداية الناس أجمعين إلى الدين الإسلامي الحنيف. فالقرآن الكريم" خطاب رباني يقصد هدي الناس ووضع تشريع لهم، وهو هدي منزّل إما على وجه السبق والابتداء، وإما أن يكون تاليا لواقعة أو سؤال؛ فيتخذ طابع الزجر أو الثناء، أو يقدم الحلول والإجابات. وهو في كل ذلك خطاب كليات تهذيبية وتشريعية"[1].

يعرف الزركشي القرآن الكريم بقوله: " هو الكلام المنزل للإعجاز بآية منه المتعبد بتلاوته، فخرج بالمنزل الكلام النفسي، والألفاظ وإن كانت لا

[1] محمد بازي، صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، ص: 104

تقبل حقيقة النزول ولكن المراد المجاز الصوري، وقولنا للإعجاز خرج به المنزل على غير النبي ﷺ كموسى وعيسى عليهما السلام، فإنه لم يقصد به الإعجاز"[1]

ويعرفه أيضا لطفي فكري محمد الجودى بقوله: "خطاب إلهي معجز، ومن ثم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا – وبشكل دائم– لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية، إنه رسالة ربانية لكل الناس دون تحيز أو طائفية أو جغرافية معينة، فهو خطاب هداية وخير، وهذه الخيرية لم تكن فيه امتياز لطبقة أو طائفة دون أخرى، بل جاءت عامة.. ينعم بها كل بني البشر."[2]

ووفق هذه التحديدات يَتبين أن الخطاب القرآني يمتلك خصائص تشكل كينونته وتجعل منه خطابا منفردا لا شبيه له، جاء لإرشاد الناس ووضع الشرائع لهم، لقوله تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل 89.

2. خصائص الخطاب القرآني:

ننطلق في حديثنا عن هذه خصائص من فكرة جوهرية أن الخطاب القرآني معجز متميز عن كل الخطابات، لا شبيه له ولا نظير وإن كانت لغته لا تخرج عن مألوف العرب، هذا ما يجعل الحديث عن خصائصه – في حقيقة الأمر– إبراز لمواطن إعجازه ؛ حيث تَميز عن كل الخطابات،

[1] بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ج1، ص: 126

[2] لطفي فكري محمد الجودى، جمالية الخطاب القرآني في النص القرآني، ص: 93

فلم يوجد خطاب يشبهه ولن يوجد، ونوجز خصائص الخطاب القرآني في النقاط الآتية:

- **تفرد مرجعيته:**

القرآن الكريم كلام الله المعجز الذي أبهر عامة العرب وخاصتهم، هذا العجز والانبهار دفعهم إلى اتهام النبي عليه السلام تهما باطلة تشكك في مصدره، ومن بهتانهم وكذبهم ادعائهم تارة بأن الرسول عليه السلام مجنون، وتارة أخرى ساحر؛ إدعاءً بأن مصدر هذا الكلام المعجز لن يكون إلها واحدا، وهم الذين اعتادوا تعدد الآلهة، وفي هذا الصدد يحسن الاستدلال بقصة الوليد بن المغيرة الذي " صنع لقريش طعاما، فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم ليس بساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم ليس بكاهن، وقال بعضهم شاعر، وقال بعضهم ليس بشاعر، وقال بعضهم: بل سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي عليه السلام، فحزن وقنع رأسه وتدثر، فأنزل الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ المدثر 1- 5 "[1]

وقد دعاهم الله تعالى إلى إعمال العقل وتدبر القرآن ليعلموا أن مصدره واحد، يقول تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ (النساء 82) هذه الآية الكريمة تنفي أن

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج 8، ص: 272

يكون للقرآن مصدر آخر غير الله، إنّه كلام الله ، نظامٌ محكم لا خلل فيه، فلو كان من عند غير الله، لوجد المتدبر فيه اختلافا كثيرا.

- **شمولية الخطاب القرآني:**

إن القرآن رسالة خالدة موجهة لكل البشر، ومما لا شك فيه " أن القرآن الكريم أوسع كتاب على الأرض، لأنه يحتوي على أشمل وأكمل وأوسع خطاب على الأرض، ذلك لأنه رسالة الله الأخيرة إلى العالمين كافة في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، من أجل ذلك كان الخطاب القرآني خطاب عاما في أو سع معنى العموم والشمول، فهو خطاب الله تعالى إلى الوجود"[1]، وفي هذا تميز وانفراد عن سائر الخطابات.

فهو خطاب رباني يتصف بالشمولية، فيه تبيان لكل شأن من شؤون الدنيا والآخرة، يتضمن شرائع هي منارات للعباد، لا توجد صغيرة ولا كبيرة في الحياة إلا وبينها لعباده، يقول تعالى:﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾(الأنعام 38).

-إعجاز الخطاب القرآني:

أنزل الله الكتب السماوية لهداية عباده وإخراجهم من الظلمات إلى النور. وتشترك كل الشرائع السماوية في وحدة مصدرها (من عند الله) وفي دعوتها إلى توحيد الله، ولهذا أيَّدَ الله رسله بمعجزات تثبت نبوتهم، والتي اختلفت باختلاف طبائع الأمم، فقد جاءت معجزاتهم حسية تتوافق مع

[1] زكريا بشير إمام، أساليب الحجاج في القرآن الكريم، نماذج من الحجج الاستنباطية، المركز القومي الانتاج الإعلامي، الخرطوم، دط، 1995، ص: 4

أنماط تفكيرهم وما برعوا فيه. ولذلك كانت معجزة محمد عليه السلام عقلية تتناسب مع البيئة الجاهلية التي تفوقت في ضروب القول وأفانينه، كما انفرد القرآن " بانتشار إعجازه، وعمومه في المجامع والآفاق والأزمان المختلفة، فلا يختص بإدراك إعجازه فريق خاص، في زمن خاص، وهذا هو حال المعجزات المشهورة، مثل عصا موسى، وناقة صالح، وبرء الأكمه، فهو يتلى، ومن ضمن تلاوته الآيات التي تحدث الناس بمعارضته، وسجلت عليهم عجزهم عن المعرضة من قبل محاولتهم إياها، فكان كما قال، فالقرآن معجزة باقية، والمعجزات الأخرى زائلة."[1]

ومن إعجاز القرآن أيضا خُلوده محفوظا من التحريف على مر الأزمان على خلاف المعجزات التي سبقته؛ إذ " يلمح إعجاز القرآن بما توفر له من وسائل الحفظ وبما تعهده الله من الحفظ، ولعل من لوازم الخاتمية وتوقف وحي السماء واستحالة أن يخاطب الناس ويحملوا المسؤولية بنصوص منحولة محرفة وقد توقف تتابع الرسل وتوقف التصويب من السماء لتحريف في النص والانحراف بالفهم، وذلك من بعض الوجوه ملمح الإعجاز ودليله"[2].

وقد تحداهم الله بالإتيان بمثل القرآن، يقول تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة 23)، فعجزوا عن الإتيان بمثل القرآن

[1] محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، عظمة القرآن الكريم، دار الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426 هـ، ص: 78

[2] عمر عبيد حسنة، مجلة الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2013، العدد 154، ص:10

وهم جهابذة البلاغة وأساطين البيان، فلم يعهدوا شبيها له حتى في الشعر الذي امتلكوا ناصيته، وقد أقر بتميز القرآن أعتى الكفار، فقد " جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي عليه السلام فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه؛ فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله عن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وأنه ليحطم ما تحته"[1].

على الرغم من إقرار الوليد بن المغيرة بأن القرآن مختلف عن كلامهم، إلا أنَّه استكبر ورفض التسليم بأن مصدر القرآن إنَّما هو الله وحده ، يقول تعالى في سورة المدثر: ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ ﴾ المدثر 18-25، فالمذكور في سياق هذه الآيات الكريمة هو " الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله"[2].

تكشف قصة الوليد بن المغيرة عن التأثير العجيب للقرآن على

[1] عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، تحق: أحمد بن علي، دار الحديث القاهرة، دط، 2006، ص: 304

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص: 286

النفوس، فهو على الرغم من كفره رق قلبه عند سماع القرآن ووجد فيه اختلافا واضحا وتميزا بينا؛ إنّه لا يشبه كلام الإنس ولا الجن، ولا يشبه أجود الأشعار، هذا حال الوليد بن المغيرة عند سماع كلام الله، والذي لا يختلف عن حال الجاهلين " فقد أدهش القرآن العرب لما سمعوه، وحيَّر ألبابهم وعقولهم بسحر بيانه، وروعة معانيه، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه؛ فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وافترقت كلمة الكافرين في وصفه، وتباينت في نعته" [1] لعجزهم الواضح عن معارضته، يقول تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء 88) .

إن العجزَ عن الإتيان بمثل القرآن لا يخص العرب الجاهلين فقط، إنَّما" الإعجاز شيئان ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجز ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمر هذا الضعف على تراخي الزمن، وتقدمه، فكان العالم كله في العجز إنسان واحد"[2]. ومن هنا نخلص إلى أن الإعجاز القرآني سمة خالدة خلود هذا الكتاب المحفوظ، معجزٌ بأكمله بلسان عربي مبين؛ إذ "نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط ليعجز قليله وكثيره معا، فكان أشبه بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة"[3] ما يعني أنه على مستوى واحد من الإعجاز.

[1] أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص:6

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القران والبلاغة النبوية، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1982، ص:181

[3] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القران والبلاغة النبوية، ص: 88

والجدير بالذكر في هذا المقام أن الإعجاز القرآني هو" أيضا ضربا من التحريض والتفكير والحض على الارتقاء والتأهل لإدراك المعجزة بكل أبعادها، ومن ثم التعاطي معها؛ فالإعجاز في بعض أبعاده ودلالته هو ضرب من التحريض وليس وسيلة للعجز والتعجيز والحجر العقلي"[1]. هذا ما تعلله كثرة الدراسات التي تزخر بها المكتبات العربية والإسلامية في مجال الإعجاز القرآني والتي تناولته من زوايا مختلفة. فلكل باحث وجهة نظر واجتهاد في نوع من أنواع الإعجاز القرآني، لأن " الإعجاز ممتد، وبحر عطاء لا ينضب ماؤه، خاصة وأنه تحدى الإنس والجن الإتيان بمثله؛ فالتحدي مستمر وخالد باستمرار الحياة، فهو تحد لكل جيل وفي كل زمان، وليس للجيل الأول فقط"[2].

فقد شغلت قضية إعجاز القرآن الكريم العلماء والباحثين قديما وحديثا، وكانت محط اهتمامهم بحثا عن أوجه إعجازه ومواطن جماله، فأُلف في هذه الصدد الكثير من المصنفات التي تكشف عن تعلق المسلمين بكتابهم، وعن تفرد مزاياه ورحابة البحث فيه، فهو " معجز في بيانه ونظمه، يجد فيه القارئ صورة حية للحياة والكون والإنسان، وهو معجز في معانيه التي كشفت الستار عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود، وهو معجز بعلومه ومعارف التي أثبت العلم الحديث كثيرا من حقائقها المغيبة، وهو معجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان"[3]، وبعبارة أخرى: إعجاز القرآن

[1] عمر عبيد حسنة، مجلة الأمة، العدد 154، ص:12

[2] المرجع نفسه، ص:19

[3] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، دط، دت، ص: 255

شامل لكل مناحي الحياة، يقول تعالى:﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (الأنعام 38).

ولعل إعجاز النظم القرآني أكثر أنواع الإعجاز التي استرعت اهتمام الباحثين والدارسين؛ حيث قُيِّضَت له أقلام كثيرة تبحث في سر هذا النظم العجيب الذي هو بلغة العرب، لكنه فريد من نوعه، لا هو من أشعارهم ولا من باقي ضروب كلامهم، كما " أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف من الوجوه التي يتصرف التي يتصرف فيها، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة، شيم رفيعة، وسير مأثورة وغير ذلك من الوجه التي يشتمل عليها"[1] ؛ حيث " إن طريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها وفي التمكين للمعنى بحسن الكلمة وصفتها، ثم الافتنان فيه بوضعها من الكلام وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات لا يتفاوت ذلك ولا يختل"[2]؛ لأن مصدره الله، فلو كان من صنع بشر لشابه نقصان ولاعتراه عيب من العيوب الأسلوبية، فالجاهليون الذين بلغوا مبلغا عظيما من الفصاحة والبلاغة وقفوا عاجزين أمامه.

والقارئ والمتدبر له لا يجد تفاضلا في جماله وروعة تراكيبه وفي تأثيره العجيب على النفوس، فأنت" تقرأ القطعة من القرآن تجد في ألفاظها

[1] أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص: 54

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القران والبلاغة النبوية ص: 320

من الشفوف والملاسة والإحكام والخلو من كل غريب عن العرض "[1]. هذا غيض من فيض، فروعة النظم القرآني منهل رحب لا ينضب.

إنّه بديع منفرد لا نظير له، نظام محكم متقن، لا تجد خللا لا في التعبير ولا التركيب ولا الأسلوب " فليس من شيء في أسلوب القرآن يفض من موضعه أو يذهب بطريقته أو يدخله في شبه من كلام الناس أو يرده إلى طبع معروف من طباع البلغاء، وما من عالم أو بليغ إلا وهو يعرف ذلك وبعد خروج القرآن من أساليب الناس كافة دليلا على إعجازه، وعلى أنه ليس من كلام إنسان"[2]، لكن هذا لا يعني " أن الإعجاز ليس بيانا لغويا فقط وإنما له آفاقا لا يحكمها حد و لا عصر ولا حصر، وإن كانت أوضح ما تكون في النظم والبيان، حيث تمحور جهد العلماء حول هذا الأمر، فقد نزل القرآن أول ما نزل لبناء القاعدة البشرية الأولى، التي سوف تشكل الحضارة الإنسانية، في أهل البيان والفصاحة واللسان، فكان التحدي وكان الإعجاز أوضح ما يكون في هذا المجال"[3]

صفوة القول: الخطاب القرآني خطابٌ رباني معجز، وإعجازه خالد على مر الدهور، فضلا عن شمولية هذا الإعجاز لكل القرآن، فلا تفاضل بين آياته ولا سوره، فهو كلٌّ معجز، يظل منهلا رحبا ينهل منه الدارسون والباحثون، عجائبه لا تنقضي وأسراره لا تنتهي، ولا غرابة في ذلك فهو معجزة الله الباقية.

---

[1] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة، 1985، ص:117

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 266

[3] عمر عبيد حسنة، مجلة الأمة، العدد 154، ص:12

- جمالية الحجاج ودقته:

الخطاب القرآني خطاب هداية، يروم توجيه الإنسان إلى طريق الفلاح، وتقويم السلوك والتأثير في القلوب والعقول؛ ففي " النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منها غير حاجة أختها، أما إحداهما فتتقي عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين، فيؤتيهما حظهما من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية"[1]، وبهذا يحصل الإقناع.

والحجاج القرآني نسيج لغوي بديع لا يهمل اللفظ ولا المعنى، فهما "طرفان متقابلان إن أديت هذا أبعدت الآخر، هذا في كلام البشر، أما في القرآن العظيم فالأمر مختلف تمام الاختلاف، ففي كل آية من آياته، نجد بيانا قاصدا مقدرا على حاجة النفوس البشرية، دون أن يزيد اللفظ على المعنى، ومع هذا القصد اللفظي، نجد أن القرآن العظيم قد جلّى لنا المعنى في صورة كاملة، لا تنقص شيئا من المعنى، ولا تزيد فيه شيئا دخيلا وغريبا"[2].

كما لم يهمل الحجاج القرآني خطابَ العقل والقلب بوصفهما قوتين مؤثرتين في سلوك الإنسان. نذكر على سبيل الاستدلال لا الحصر، من أمثلة خطاب القرآن للقلوب يقول تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ

[1] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ص: 114

[2] محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، عظمة القرآن، ص: 223

يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن **قُلُوبُهُمۡۛ**﴾ (المائدة 41). ومن أمثلة خطاب العقل يقول تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ **أَفَلَا تَعۡقِلُونَ**﴾ (يوسف 109).

لقد أحاط القرآن الكريم بكل أسرار النفس البشرية، فجاء خطابا حجاجيا منفردا جليلا في غاياته، رفيعا في أساليبه. ولعل " من أهم الغايات التي أسس لها الخطاب القرآني هو الخطاب الإقناعي، وذلك أن الخطاب القرآني هو في صميمه خطاب حقيقة يهدف إلى تمكين الحقائق التعليمية التبينية التشريعية في نفوس المتلقين عن طريق التأثير عن طريق التأثير والإقناع"[1].

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأنّ الخطاب القرآني خطابٌ حجاجي يروم التأثير في النفوس ويدعو إلى إعمال العقل من أجل الفهم السليم لآيات الله، فالقرآن الكريم جاء ليخلص البشر من الضلالات والأوهام والشركيات، لذلك " اتخذ من أساليب الحجاج والجدال والإمتاع ما هو جدير بكتاب أنزله رب العالمين وخالفهم، فجاءت تلك الأساليب شاملة متنوعة لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من أساليب الجدال الحق والإقناع الحسن إلا أحصاها واستخدمها"[2].

[1] لطفي فكري محمد الجودى، جمالية الخطاب القرآني في النص القرآني، ص: 103

[2] زكريا بشير إمام، أساليب الحجاج في القرآن الكريم، المركز القومي الانتاج الإعلامي، الخرطوم، دط، 1995، ص: 4

وبهذا امتاز الحجاج القرآني بالشمولية والتنوع والتلاؤم مع نفسيات المخاطبين " فقد أورد القرآن الكريم من أفانين القول في سياق محاجة الكفار وتصحيح زيغ المنحرفين والوعد لأوليائه والوعيد لأعدائه ما يخرج عن طوق البشر الإحاطة بمثل هذه الأساليب في أوقات متقاربة أو متباعدة"[1].

لقد جاء الحجاج في الخطاب القرآني متوافق توافقا بديعا مع السياقات التي يرد فيه، وكل ذلك بأساليب متنوعة، " فالمتدبر في النص القرآني يجد أن ما يرد فيه من خطابات إقناعية قد بنيت على أصول الواقع الكوني والإنساني، وهو ما يبدو في استخدام الآيات الكونية مقدمات في الاستدلال على حقائق العقيدة، واستخدام العبر التاريخية باعتبارها وقائع إنسانية في الإقناع بما يبشر به من تعاليم تتعلق بمصير الإنسان وغاية وجوده، والانطلاق من المصلحة العملية للإنسان في حمله على التسليم بأسس العقيدة الإسلامية"[2].

هذا التنوع في الأساليب الحجاجية جاء لتحقيق المقاصد الشريفة للقرآن الكريم، والتي تراعي مدارك المخاطبين وأحوالهم" فلم يكتف القرآن بتبني منهجية جدلية تقوم على الحجاج العقلي بالأدلة والبراهين وضرب الأمثال، وتوجيه النظر إلى الآيات الكونية، ولكنه أيضا أوجد الحوار والجدل على من توجه إليهم بالخطاب وطالبهم به"[3].

---

[1] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، دار المسلم، الرياض، ط2، 1996، ص: 157

[2] لطفي فكري محمد الجودى، جمالية الخطاب القرآني في النص القرآني، ص: 106

[3] زكريا بشير إمام، أساليب الحجاج في القرآن الكريم، ص: 4

إجمالا، اعتمد الخطاب القرآني الحجاج من أجل التأثير في النفوس، والدعوة إلى إعمال العقول من أجل معرفة كتاب الله وفهمه والوصول إلى مقاصده الشريفة، كما تنزه الحجاج القرآني عن الجمود والنقصان؛ لأنه خاطب النفس البشرية بأساليب متنوعة تتناسب مع خفاياها.

- **روعة التصوير القرآني:**

يشكل التصوير سمة بارزة في الخطاب القرآني من تصويرٍ رائع لمشاهد مختلفة كمشاهد النعيم والعذاب أو مشاهد القيامة... إلخ، وتجسيدٍ للمعاني المجردة بأسلوب متميز تستأنس به النفس وتتضح به المقاصد، يقول سيد قطب في مؤلفه **(التصوير الفني في القرآن الكريم)**: " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية"[1].

وبهذا يكتسب التصوير القرآني صفة الشمولية وينتفِي القصور عنه، فهو" يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية"[2]. وهذا يعكس جمالا فنيا لا نظير له.

يتضمن الخطاب القرآني الكثير من المشاهد التصويرية في سياقات

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 16، 2002 ص:36

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مختلفة تجمع بين جمال التعبير والتأثير في النفوس. ومن أمثلة التصوير القرآني قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ (المدثر 51/49) في هذه الآية الكريمة " تشترك مع الذهن حاسة النظر وملكة الخيال وانفعال السخرية وشعور الجمال: السخرية من هؤلاء الذين يفرون كما تفر حمر الوحش من الأسد لا لشيء إلا لأنهم يدعون إلى الإيمان، والجمال الذي يرتسم في حركة الصورة حينما يتملّاها الخيال في إطار من الطبيعة تشرد فيه الحمر يتبعها قسورة، فالتعبير هنا يحرك مشاعر القارئ وتنفعل نفسه مع الصورة التي نقلت إليه وفي ثناياه الاستهزاء بالمعرضين" [1] والقرآن الكريم حافل بالكثير من المقاطع التصويرية المؤثرة في النفوس والمجسِّدة للمعاني.

إذاً، ينفرد التصوير القرآني بدقته وتأثيره في النفوس واستثارته الخيال، ففيه الكثير من الأنماط التصويرية الفريدة التي تجمع بين الجمال والإثارة. وهي بهذا ليست أنماطا تكسب الخطاب القرآني جمالا فحسب، بل لها طاقة تعبيرية؛ إذ بفضلها تجسد المعاني وتتجسم المشاهد وترتسمُ المقاصد.

3.أنواع الخطاب القرآني ومرونته:

جاء الخطاب القرآني متنوعا بأنماط تعبيرية مختلفة، يعبر عن المقاصد بدقة متناهية بلا خلل في التركيب ولا لبس في التعبير، موجهٌ للبشرية جمعاء بلا استثناء، وعمومية الخطاب القرآني تقتضي التنويع في الأساليب لتعدد المخاطَبين واختلاف أحوالهم، فقد ذكر السيوطي في مؤلفه

[1] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، ص: 154

الإتقان في علوم القرآن أكثر من ثلاثين نوعا للخطاب في القرآن الكريم منها: خطاب العام والمراد به الخاص، أو خطاب الخاص والمراد به العام، وخطاب النوع مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة 122)، أو خطاب الإهانة: مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ (الحجر 34)، أو خطاب التهكم : مثل قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ (الدخان 49)، أو خطاب التعجيز، كقوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾(البقرة 23)"[1]

يتنوع الخطاب القرآني تبعا للقضايا المطروحة في كل سورة. وهو معجز في جميع حالاته، ومؤثر في النفوس بلا تفاضل، فخطاب العامة كخطاب الخاصة في الإعجاز والجمال الفني؛ حيث تتجلى للمتدبر في القرآن الكريم المقاصد في تناسق بديع، " فهو لا يخاطب عامة وخاصة في عصر من العصر، بل يخاطب أولئك في كل عصر ومصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها "[2].

وتبرز المرونة كخاصية امتاز بها القرآن الكريم في توجيه الخطاب وتبليغ المقاصد؛ حيث" إن الأسلوب القرآني لم يستغلق فهمه على العرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم ولم يكن لهم إلا الفطرة السليمة الذواقة للجمال، وفهمه وتفاعل معه من جاء بعد ذلك من أهل العلوم والأفكار،

[1] ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 86، 89,87

[2] محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، عظمة القرآن الكريم، ص: 211

وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب من التأويل، وقد أثبتت العلوم الحديثة المتطورة كثيرا من حقائقه التي كانت مخفية عن السابقين، وفي علم الله ما يكون من بعد"[1]

كما أن من " خصائص أسلوبه: أنه لا يعلو عن أفهام العامة ولا يقصر عن مطالب الخاصة، فإذا قرأته العامة أحسّوا بجلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم، وكذلك الخاصة إذا قرؤوه، لكنهم يفهمون منه أكثر مما يفهمه العامة"[2] وهذا دليل على مرونة الخطاب القرآني، ودقته في التعبير ومراعاة مستوى المخاطَبين" فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوي على أفهامهم" [3]

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن شمولية القرآن الكريم تتجلّى في توجيه الخطاب إلى مخَاطَبين مختلفين بحسب مقتضيات السياق، فيتنوع بين التخصيص والتعميم، فخاطب الناس جميعا بصفة العموم مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾ البقرة 168، فالخطاب في مطلع الآية الكريمة كان دقيقا محددا بصيغة العموم لا التخصيص (يا أيها الناس) لتبليغ مقاصد محددة.

[1] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، ص: 152

[2] محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، ص: 211

[3] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ص: 113

وخاطب بصيغة العموم والخصوص في آن واحد في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ (الأعراف 158)، فالملاحظ للآية الكريمة يجد دقة في الخطاب، إذ زاوجت بين خطابين: الأول موجه للنبي عليه السلام (قل) لتبليغ الناس أجمعين (وهو الخطاب الثاني) رسالة من عند رب العالمين.

كما خصَّ الله عز وجل بالخطاب أنبياء آخرين، على سبيل المثال لا الحصر الخطاب الموجه لزكريا عليه السلام يقول تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧﴾ (مريم 7) ، وخطاب عيسى عليه السلام، يقول تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ ﴾(المائدة 110).

إضافة إلى ما سبق، فقد خاطب القرآن أصنافا محددة من عباده كأهل الكتاب في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (آل عمران 98)، وخَاطب المنافقين في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة 52) بهذا " لقد كان الخطاب القرآني مباشرا لكافة العقول على اختلاف مستوياتها وتعامل مع هذه المستويات تعاملا مباشرا، وقد استشعر المخاطبون فيه ذلك على ما يمثله من عمق وبعد علمي ومعرفي، إلا أن

الجانب الروحي في آياته كان كفيلا بأن يجعل المتلقي قريبا من فهم مطالبه وإدراكها"[1] مما يعني أن تنوع الخطاب في القرآن الكريم–جلّ من أنزله– لم يصاحبه خلل في الفهم، بل كان دقيقا في توجيه الخطاب وتحديد المُخاطَبين.

إنَّ القرآن الكريم منهلٌ لا ينضب، لايختص فَهمه بعصر ولا بطائفة من الناس؛ إذ" نرى أسلوب القرآن من اللين والمطاوعة على تقليب والمرونة في التأويل بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة التي تخرج بها طابع العصور المختلفة " [2]

فالخطاب القرآني يراعي السياق الذي يحف المُخاطَبين. وخير ما نستدل به في هذا الصدد القرآن المكي والمدني؛ حيث تميز كل نوع بخصائص أسلوبية تتوافق مع كل نوع من المخاطبين، وهذا ما نجده في كثير من كتب التفسير وعلوم القرآن عامة، والتي أشارت إلى أهمية معرفة المكي والمدني في تفسير القرآن الكريم وفهمه، كما حدد العلماء والباحثون جملة من السمات الأسلوبية التي تميز بها كلا من القرآن المكي والمدني. ولكثرة هذه الدراسات نكتفي بالاستدلال في هذا المضمار بما يبرز اختلاف الخطاب باختلاف المخاطبين وبما يبرز مراعاة الخطاب القرآني لمستويات المُخاطَبين. حيث يتميز الخطاب في القرآن المكي بمراعاة طبيعة الجاهليين وأنماط تفكيرهم؛ حيث" نرى في هذا النوع من القرآن جدالا

[1] أحمد محمد النمر، الخطاب القرآني، دراسة في معالم واتجاهات النصوص القرآنية، مؤسسة أم القرى، بيروت، ط1، 2003، ص: 40

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القران والبلاغة النبوية، ص:273

للمشركين يُبينُ خطأهم الواضح وإلغاءهم العقل وإتباعهم العادات المألوفة التي وجدوا عليها آباءهم، ونرى فيه هجوما عنيفا على الشرك والوثنية والعادات القبيحة، وزجرا وتهديدا ووعيدا للكافرين الذين يصدون عن ذكر الله ويعرضون عن آياته"[1]. ومن هنا نستشف أن المُخاطَبين في القرآن المكي امتازوا بالعناد والتعصب لآبائهم وعاداتهم، مما استلزم تلوين الخطاب بما يوافق تكوينهم العقلي من وعد وتهديد وزجر. لذا فمن سمات الخطاب المكي أنه " يغلب على آياته القصر، وتكثر كلمة كلا التي فيها زجر"[2]، ولكثرة تكذيبهم بما جاء به الرسول عليه السلام، ونجد " أن القرآن المكي يكثر من عرض قصص المكذبين"[3].

أما عن القرآن المدني فهو الآخر اتسم بخصائص تتوافق مع المخَاطَبين وأنماط تفكيرهم وطبيعة حياتهم؛ حيث " نرى في هذا النوع من القرآن فضحا للمنافقين، وكشفا لمؤامراتهم، وعرضا لتناقضاتهم، وتسفيها لشعاراتهم المخادعة التي يطرحونها، كما ترى في سورة النساء وسورة المائدة وسورة المنافقين"[4]. ومن هنا نخلص إلى أن أسلوب الخطاب قد تغير في المرحلة المدنية لتغير السياق وتغير تفكير المخاطَبين، فتفكير الجاهلين المعاندين الرافضين للدين الجديد مخالف لتفكير المنافقين، مما استلزم فضح نواياهم وكشف حقيقتهم، كما نجد فيه " مجادلة لأهل الكتاب،

[1] محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن الكريم واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1990، ص: 147

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، ص: 148

ومناقشة لأرائهم" [1]. ولطبيعة المجتمع في المدينة دورٌ في تغير المواضيع والأساليب في الخطاب القرآني؛ حيث نجد في القرآن المدني " ذكر لأحكام الجهاد والحرب والسلم والهدنة، بما يتصل بشؤون الدولة المسلمة وعلاقاتها الدولية كما في الأنفال والتوبة ومحمد"[2].

استنادا على ما سلف ذكره، يمكن القول بأن المرونة من سمات الخطاب القرآني، فجاء متنوعا ثريا بأساليب غاية في الروعة والدقة، يخاطب الناس أجمعين على اختلاف عصورهم وأمصارهم، وعلى تنوع مستويات تفكيرهم بما يتطلب السياق، وكل هذا بأسلوب متناسق فريد لا نظير له.

وفي الختام، يمكن تحديد ماهية الخطاب القرآني بأنه خطابٌ ربّاني صادر من الله عز وجل، يتضمن شرائع لعباده، يتصف بجملة من الخصائص منها: انفراد مرجعيته إلى الله، وشموليته، وروعة تصويره وحجاجه، كل هذه الخصائص تشترك في إثبات صفة الإعجاز للقرآن الكريم.

4. تداولية الخطاب القرآني:

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم الكتاب السماوي المرسل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم للناس قاطبة. جاء لينظم حياتهم ويسهل لهم سبل الفلاح في الدنيا والآخرة، بما ينطوي عليه من أحكام وشرائع، لا

محمد بن لطفي الصباع، لمحات في علوم القرآن الكريم واتجاهات التفسير، ص:148.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يغادرصغيرة ولا كبيرة إلا وذكر حكمها، فضلا عن تفرد أساليبه وجمال نظمه وروعة تراكيبه، وجلال مقاصده.

"والثابت من تراث علماء العربية المتقدمين أنهم مارسوا التحليل المنهجي في تفسير الخطاب والنصوص، ولهم فيه مذاهب، أشهرها تفسير القرآن بالقرآن، والحديث والأثر المروي عن الصحابة، وهو منهج أصيل أرساه النبي عليه السلام، فقد أحال أصحابه عليهم رضوان الله في تفسير بعض الخطاب القرآني، إلى ما يبينه في موضع مفصل منه، وهو أكثر مذاهب التفسير دقة وقطعا في الدلالة" [1] وهذا دليل على أن اعتماد السياق في فهم الخطاب ليس بغريب عن الدراسات التراثية للخطاب القرآني، بل هو أصيل، و" قد طبقه شآبيب المفسرين، فقد فسروا المجمل من القرآن بالمفصل في موضع آخر، والمضمر بالظاهر، والمحذوف بالمثبت، والمبهم بالصريح الواضح، ووضعوا قانون السياق بنوعيه؛ اللغوي والمقامي الحالي(السياق الخارجي، ومنه الإحاطة بأسباب النزول) وهم رواد هذا المذهب في العالم"[2].

ومن الجوانب التي تكشف عن تداولية الخطاب القرآني أنه " راعى قواعد الخطاب كلها، وبشكل واضح وصريح، وذلك في توجيه أوامره الداعية إلى تهذيب القول فعلى سبيل المثال لا الحصر رسم الله تعالى لرسوله الكريم عليه السلام من خلال كتابه العزيز المرسل من عنده إلى

[1] محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ص: 12

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الخلق أجمعين بعضا من الآليات ليسير على هداها في خطابه مع كفار قريش في مقام الدعوة ، فقال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ (النحل 125) "[1].فالخطاب القرآني يراعي أحوال المخاطَبين وأنماطَ تفكيرهم، لذا جاء تشكيله اللغوي مناسب لذلك.

إن الخطاب القرآني ثريٌ بأساليب مختلفة تراعي السياق بمختلف مستوياته، وبإعجاز خالد على مر العصور." لقد استطاع القرآن الكريم – جلَّ من أنزله–ابتكار أساليب تواصلية فعالة، تنوعت بحسب المقام والسياق، مما جعله يتجاوب مع النفس البشرية في أبعادها المختلفة والمتنوعة، فمرة يخاطب فيه العقل، ويرشده إلى إعمال الفكر والنظر، والتفكر في الخلق، واستنباط السنن الكونية، ومرة يخاطب فيه الروح بتطلعاتها وآمالها وآلامها، ومرة يرشده إلى الاستدلال المنطقي، ومرة يفتح عينه على البديهيات... ويستعمل أسلوب الترغيب والترهيب، والقصة والمثل؛ ما جعل من القرآن الكريم منظومة تواصلية بالغة التأثير"[2]. مما يدل على اشتمال الخطاب القرآني لأبعاد تداولية، إذْ ضم أساليب خِطابية متنوعة تروم التأثير في
النفوس، فالقرآن رسالة للناس أجمعين.

[1] لطفي فكري محمد الجودى، جمالية الخطاب القرآني في النص القرآني، ص: 86

[2] المرجع نفسه، ص: 71

إضافة إلى ما سبق، السياق القرآني يساعد في فهم المقاصد بشكل متناسق؛ فلا نجد في القرآن الكريم مقاصد متناقضة، ولقد " انطلق علماء القرآن الكريم من اعتباره خطابا منسجما مترابطا وهذا يعني أنه متصل، تتكشف الدلالة بين أجزائه لتحديد العلاقات القائمة بينها، فكل جزء فيه مرتبط بشكل أو آخر، وما عليك إلا أن تكشف هذا الرابط حتى تتضح لك الدلالة التي ترجوها، وعلاقته بالحديث النبوي علاقة تفسيرية، فالحديث الشريف في هذا النظر ليس نصا موازيا أو مستقلا"[1].

صفوة القول: الخطاب القرآني خطاب رباني جاء لهداية الناس والتأثير في نفوسهم، يرسم لهم الطريق المنجية من عذاب الله، والمفضية إلى نعيمه. ولذلك جاءت كل أساليبه غاية في الدّقة والجمال، تراعي مقامات الخطاب وأحوال المخاطبين على اختلاف مستوياتهم وعلى اختلاف عصورهم، فجاء خطابا متنوعا، هذا ما يكشف عن أبعاد تداولية تستحق الدراسة والتدبر في خبايا هذا الخطاب المعجز، فعلى الرغم من كثرة الدراسات التراثية القيمة التي اتخذت من الخطاب القرآني موضوعا للبحث والدراسة، إلا أن كتاب الله بحر لا ساحل له، لا تنتهي أسراره، يغوص كل باحث فيه لعلّه يظفر

بدرة من درره

[1] محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009، ص: 26

الفصلُ الثّاني

ماهية التعقيب القرآني والبنى اللغوية المشكلة له وأنواعه وخصائصه.

توطئة:

التعقيبُ من المصطلحات المتداولة الشائعة في الاستعمال، يُستخدمُ في مجالات عديدة. فنقول: فلان عَقَّبَ على كلام فلان، بمعنى التعليق عليه للشرح أو النقد؛ أي إضافة كلام له صلة بالكلام الأول، لإبداء الرأي سواء للموافقة أم للمخالفة، تعبيرا عن الإعجاب أو الرفض. لكن التعقيب المقصود في هذا البحث من نوع آخر، إنّه خاص بالقرآن الكريم، وهو دراسةٌ حديثة لم تنل نصيبها الكافي من الدراسة. لهذا كان لزاما علينا الإحاطة بالمصطلح لغة ومفهوما، وتحديد حدوده الفاصلة التي تميزه عن المصطلحات المشابهة له، وتحديد البنى اللغوية المشكلة له وإبراز خصائصه وأنواعه.

المبحث الأول: مفهوم التعقيب القرآني وحدوده الفاصلة:

1. مفهوم التعقيب القرآني:

قبل تحديد مفهوم التعقيب القرآني، يحسن العودة إلى معاني لفظ التعقيب في المعاجم اللغوية، بغية الإحاطة الدقيقة بهذا المصطلح من خلال البحث عن الوشائج الرابطة بين الدلالة المعجمية والمصطلحية.

- **التحديد المعجمي:**

التعقيب مصدر للفعل (عَقَّبَ)، وهو فعل مضعف العين، من الفعل الثلاثي (عَقَبَ)، جاء في معجم العين: " عَقِب الرّجل: وَلَده وَوَلده الباقون من بعده وقولهم: لا عَقِب له: أي لم يبقَ له ولد ذكر، ويقول: ولى فلان على عقيبه وعقبيه: أي أخذ في وجه ثم انثنى راجعا. التعقيب: انصرافك

راجعا من أمر أردته أو وجه[...] وقوله عز جل: ولم يعقب، ﴿ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾(القصص 31)، أي لم ينتظر والتعقيب غزوة بعد غزوة وسير بعد سير، وقوله عز وجل : ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ (الرعد 41)لا راد لقضائه. وكل شيء يعقب شيئا فهو عقيبه، كقولك: خلف يخلف بمنزلة الليل والنهار إذا عقب أحدهما الآخر، فهما عقيبان ، كل واحد منهما عقيب صاحبه ويعتقبان ويتعاقبان: إذا جاء أحدهما ذهب الآخر، وعقب الليل النهار والنهار الليل: أي خلف، وأتى فلان إلى فلان خبرا، فعقّب بخير منه، أي أردف، وعقب الأمر: آخره، وعاقبة كل شيء آخره"[1].

وجاء في لسان العرب: " عَقِب كل شيء، عقبه، وعاقبته، وعاقبه، عاقبه، عقبته، وعقباه، وعقبانه: آخره، أعقبه بطاعته أي جازاه، والعقبى جزاء الأمر وقالوا: العقبى لك في الخير أي العاقبة. وعقب القدم وعقبها: مؤخرها، وعقّب فلان في الصلاة إذا صلى، فأقام في موضعه ينتظر صلاة أخرى، وفي الحديث: من عقّب في صلاة فهو في الصلاة، ويقال: صلى القوم وعقّب فلان، وفي الحديث: التعقيب في المساجد انتظار الصلوات بعد الصلوات، وحكى اللحياني: صلينا الظهر، وصلينا أعقاب الفريضة تطوعا أي بعدها، عقب هذا هذا إذا جاء بعده، وقد بقي من الأول شيء؛ وقيل: عقبه إذا جاء بعده، وكل شيء جاء بعد شيء، وخلفه، فهو عقبه، والعَقِبُ، والعقب والعاقبة: ولد الرجل، ولده الباقون بعده، ذهب الأخفش

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد عنداوي، ج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص: 193/ 195/194

إلى أنها مؤنثه وقولهم: ليست لفلان عاقبة، أي ليس له ولد، وقول العرب: لا عقب له أي لم يبق له ولد ذكر، والتعقيب هو أن تعمل عملا، ثم تعود فيه، وأراد به ههنا صلاة النافلة، بعد التراويح، والتعقيب: أن يغزو الرجل، ثم يثني من سنته"[1].

وجاء أيضا في معجم مقاييس اللغة، في مادة عقب: " العين والقاف والباء أصل صحيح في كلام العرب يدل في عمومه على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، ويقال: عقب فلان في الصلاة إذا قام بعد ما يفرغ الناس من الصلاة في مجلسه يصلي[...] وفي القرآن ولى مدبرا ولم يعقب أي لم يعطف، والتعقيب غزوة بعد غزوة" [2] " قال الخليل: كل شيء يعقُب شيئا فهو عقيبه، كقولك خلف يخلف، بمنزلة الليل والنهار إذا مضى أحدهما عَقِب الآخر، وهما عقيبان، كل واحد منهما عقيب صاحبه، ويعقبان، إذا جاء الليل ذهب النهار، فيقال عقَّب الليل النهار، عقَّب النهار الليل [...] عقيبك أي ابنك، " قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴾ الرعد:11 ويعني ملائكة الليل والنهار، لأنهم يتعاقبون "[3].

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري في مادة (عَقَبَ): " وولى فلان فلم يعقب أي لم يعطف، وما أحسن التعقيب بعد الصلاة وهو الجلوس

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص:301/300/299

[2] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص: 82

[3] المرجع نفسه، ص: 77 وص: 78

للدعاء، وتصدق بصدقة ليس فيها تعقيب أي استثناء، وفلانة مِعقاب: تلد ذكرا بعد أنثى، وأتى فلان خيرا فعقب بخير منه وأردف بخير منه ، وتعقبت ما صنع فلان: تتبعته، ولم أجد عن قولك متعقبا أي متفحصا يعني أنه من السداد والصحة بحيث لا يحتاج إلى تعقب " [1]

وجاء أيضا في المعجم المفصل لعلوم اللغة لإميل يعقوب تحديد للمفهوم النحوي لكلمة تعقيب " التعقيب هو من معاني حروف العطف الفاء، أي يأتي بشيء إثر شيء دون مدة مهلة زمنية طويلة نحو: دخل خالد فزياد، أي زياد إثر دخول خالد والمهلة الزمنية بينهما قصيرة جدا" [2] كما " أطلق الثعالبي على هذه الفاء: فاء التعقيب كقولهم: مررت بزيد، فعمرو، أي مررت بزيد و على عقبه بعمرو"[3] . هذا التحديد النحوي يربط معنى التعقيب بالمدة الزمنية القصيرة، فالمدة الزمنية للدعاء بعد الصلاة عادة ما تكون قصيرة.

انطلاقا مما سبق تحديده من دلالات معجمية للتعقيب، يمكن القول بأنها تشترك في الدلالة على خاتمة الشيء، وعلى ارتباط التعقيب بما قبله، أي وجود صلة قوية بين المعقب عليه والتعقيب(عَقِبُ الرجل ولده)، ومرتبة التعقيب هي التالية، فالدعاء تلا الصلاة لوجود صلة بينهما، أي يحمل

[1] الزمخشري، أساس البلاغة ج1، ص: 667

[2] إميل يعقوب، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار العلم للملايين، بيروت ط1، 1987، مجلد1، ص: 909

[3] أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تحق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2000 ص: 388

لفظ التعقيب معنى التوالي والترابط. كما يحمل دلالة الجزاء، وهذا ما يتناسب

مع دلالته المصطلحية التي سيأتي بيانها.

- **التحديد الاصطلاحي التعقيب:**

إن التعقيب القرآني بوصفه مصطلحا حديثا، تناولته بالتفصيل دراسات معدودة– في حدود اطلاعي– أسست لهذا المصطلح وحددت أبعاده المفهومية، من قبيل كتاب (أسلوب التعقيب في الخطاب القرآني) لمحمد كريم الكواز الذي صرح في مقدمة هذا الكتاب: بأن دراسته لهذا الأسلوب القرآني دراسة جديدة، وأنه أسس لهذا المصطلح، يقول: " هذا بحث يحاول أن يجد له مكانا في مسيرة الدراسة القرآنية، زاعما الكشف عن منطقة لم تصل إليها أقلام الباحثين بعد، تلك هي أسلوب التعقيب في القرآن"[1]

وقد أفرد محمد كريم الكواز في مؤلفه السابق تمهيدا يؤسس فيه لمصطلح التعقيب في الخطاب القرآني، ويوضح حدوده الفاصلة التي تميزه عن مصطلحات قريبة المفاهيم منه وهي: الفاصلة القرآنية، والمثل، والتذيل. وفي هذا الشأن يقول: " اقتضت طبيعة الموضوع التمهيد من أجل تأسيس دلالة المصطلح، إذ لم نجد من اصطلح عليه كما فعلنا، فكان لزاما لبسط الدلالة، وتوضيحها قبل الدخول إلى صلب البحث"[2]. ويعرف

[1] محمد كريم الكواز، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، منشورات السابع من إبريل، ليبيا، ط 1، 1425 هـ، ص:5.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التعقيب بقوله: " التعقيب نمط تعبيري خاص بالقرآن، يجسم الحكم الإلهي على قضية من القضايا المطروحة في السورة، وله ارتباط متفاعل مع القضية، لهذا تشكل معها على هيئات مختلفة، اقتضت بالضرورة إنتاج دلالات مختلفة، وتتبني القضية وتعقيبها ضمن البناء العام للسورة، مما يحدد ملامح مستقلة لكل سورة"[1]. هذا التحديد يبين أن التعقيب القرآني ليس تركيبا لغويا زائدا للتوكيد، بل هو متفاعل مع القضية التي تسبقه في سياق عام (السورة القرآنية).

ومن الدراسات التي عالجت موضوع التعقيب القرآني كتاب(التناسب البياني في القرآن) لأحمد أبو زيد، وهو لم يتوسع فيه كما فعل محمد كريم الكواز الذي خصص كتابا للتعقيب القرآني، بل اكتفى بتخصيص فصل للتعقيب القرآني وسمه بالتناسب المعنوي في التعقيبات القرآنية، وقد عرّف التعقيب بقوله " والمراد بالتعقيب على الآيات، ذلك الجزء أو المقطع الذي يأتي في ختامها، تذيل به الآية زيادة في البيان، ومحافظة على وحدة الإيقاع، ومن أمثلته قوله تعالى:﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (البقرة 20)، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ تعقيب مناسب لما تضمنته الآية من وعيد وإنذار للمنافقين في رؤوس الآيات"[2]. هذا التحديد يتناول مفهوم التعقيب بوصفه تذييلا وآلية

[1] محمد كريم الكواز، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص:05.

[2] أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، دط، 1992، ص: 91

للترابط المعنوي ومظهرًا من مظاهر التناسب المعنوي في القرآن الكريم، كما أبرز هذا التعريف الجانب الإيقاعي للتعقيب القرآني.

وفي السياق نفسه، تحدث أحمد عزت يونس عن التعقيب بوصفه رابطا نصيا في القرآن الكريم في كتابه (العلاقات النصية في القرآن الكريم)، وجاء فيه تعريف للتعقيب ودوره في ربط المعاني، يقول في هذا الشأن" علاقة التعقيب في لغة النص القرآني سمة بارزة من سمات الأسلوب القرآني وعلاقة التعقيب المقصودة هي تلك العلاقة النصية الرابطة بين معاني القضية الواردة وما يليها من كلام هو بمثابة التعقيب والتعليق على ما ورد في هذه القضية ويتضمن هذا التعقيب في الغالب التذكير بالغاية التي من أجلها سيقت هذه القضية"[1]

ومن الدراسات التي خصصت كتابا للتعقيب القرآني كتاب (التعقيبات القرآنية المفهوم والأشكال والأغراض) لمراد العرابي وهو دراسة حديثة، فقد صدر الكتاب سنة 2019. ويرى أن التعقيب القرآني من الأساليب " التي لم تحظ بالقدر الذي يليق بعظمتها من العناية والاهتمام، ولم تلق القدر الكافي من البحث في دورها الفاعل ضمن منظومة توقيعية دلالية متكاملة قام القرآن بتفعيلها، رغم عناية المتقدمين والمتأخرين من أهل العلم بكل تفاصيل الظاهرة القرآنية" [2].

[1] أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، ص:260

[2] مراد العرابي، التعقيبات القرآنية المفهوم والأشكال والأغراض، دار الإمام مالك، ط1، 2019، ص:8

ويُعرِّفُ التعقيب بقوله" ونعني به ذلك الجزء أو المقطع المستقل الذي تختم به آية أو مجموعة من الآيات، زيادة في البيان، وتحقيقا لأغراض الخطاب من مدح وذم ووعد ووعيد، وأمر ونهي... وتوقيعا للآيات بما يناسب السياق من جرس، وقد يصبح التعقيب أطول من ذلك في بعض الحالات فيتجاوز المقطع، ويتكون حينئذ من آية مستقلة آو من مجموعة من الآيات"[1]. وبهذا التعقيب عند مراد العرابي: ما تختم به الآية أو الآيات، ليس له حجم محدد، فقد يكون التعقيب بآية أو أقل من ذلك أو أكثر، وهو يهدف لتحقيق أغراض معينة يجملها هذا المخطط:

ويعد كتاب (أسلوب التعقيب في القرآن الكريم مقاربة جمالية) لأسامة عبد العزيز جاب الله من الدراسات التي تناولت التعقيب، وفيه حدد ماهيته وحدوده التي تميزه عن الفاصلة وركز على الجانب الجمالي له، يقول في هذا السياق " فمن جميل التوظيف القرآني ما نلحظه في سياق الآيات الكريمة من تعقيبات تنتهي بها الآيات، وكأنها درة التاج، وجوهرة العقد"[2].

[1] مراد العرابي، التعقيبات القرآنية المفهوم والأشكال والأغراض، ص: 34

[2] أسامة عبد العزيز جاب الله، أسلوب التعقيب في القرآن مقاربة جمالية، دار الإسراء، الأردن، دط، 2015، ص: 3

تأسيسا على ما سبق، يمكن تعريف التعقيب القرآني بأنَّه نمط تعبيري يُشَكِّل سمة أسلوبية متكررة بكثرة في القرآن الكريم، وهو تجسيد للحكم الإلهي عن قضية من القضايا المطروحة في السورة، يأتي في ختامها، وينسجم معها أتم الانسجام دلالة وإيقاعا، يكتسب من تعدد تلك القضايا سمة التعدد.

2. الحدود الفاصلة بين التعقيب والتذيل والفاصلة والمثل:

إن ضبط مفهوم التعقيب ضرورة لا بد منها، قبل البحث عن أبعاده التداولية في الخطاب القرآني، فقد يلتبس مفهوم التعقيب ببعض المصطلحات القريبة منه: التذيل والفاصلة والمثل، والتي تبدو مشابهة له، لكن في الواقع توجد حدود فاصلة تميز التعقيب عنها.

- **الفروق بين التذييل والتعقيب:**

جاء في بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري تحديدا لمفهوم التذييل، يقول: " التذييلُ وهو على ضربين: معيب وحسن، فالمعيب منه أن يزيد اللفظ على المعنى لا فائدة منه، والحسن أن يذيل المتكلم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقق ما قبلها"[1]. وهو بهذا يشترك مع التعقيب في أن كليهما يأتي في ختام الكلام، ولكن يختلف التذييل عن التعقيب في اقتصار دلالته على التوكيد، " فهو تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد نحو: قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا

[1] ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، تح: محمد شرف، نهضة مصر، مصر، دط، دت، ص: 155

ٱلۡكَفُورَ﴾(سبأ17)"[1]، فالجملة: ﴿ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ جاءت بعد تمام المعنى، وهي توكيد لجملة قبلها: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾، ولهذا، يدخل القزويني التذييل في الإطناب؛ "التذيل هو تعقيب الجملة بأخرى تشتمل على معناها للتوكيد"[2].

من أمثلة التذييل التي استدل بها ابن أبي الأصبع المصري، قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (التوبة 111)" في هذه الآية الكريمة تذييلان، الأول قوله تعالى: ﴿ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ فإن الكلام قد تم وكمل قبل ذلك، ثم أتت جملة التذيل فتحقق ما قبلها وتؤكده، والتذييل الثاني في قوله بعد الفراغ من الدلالتين ﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾"[3].

انطلاقا مما سبق، يَتبيّن أن التذييل غير التعقيب، فالأول يقترن معناه بالتوكيد، ويأتي بعد تمام المعنى، والثاني متعدد الدلالات بحسب السياق، كما يتم المعنى به وليس بزائد للتوكيد، لأنه يجسد حكم الله تعالى على قضية معينة. ومن الأمثلة التي استدل بها محمد كريم الكواز التعقيب بالشرط واختلاف جزائه، كقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا

[1] الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، دط، دت، ص: 64

[2] جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص: 154

[3] ابن أبي الأصبع المصري، بدائع القرآن، ص: 156

ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (المائدة 44)، وقد تتكرر فعل الشرط نفسه ولكن جواب الشرط مختلف في سورة نفسها، يقول تعالى:﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (المائدة45)"[1]. ومن هنا يتضح أن دلالة التعقيب سياقية.

كما يخالف التعقيب التذييل" من حيث عدم جريه مجرى المثل السائر المستقل بدلالة عامة، يمكن أن تضرب في المقامات المتشابهة "[2]، فالتذييل كما جاء في الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: " ضربان: ضرب لا يخرج مخرج المثل، لعدم استقلاله وإفادة المراد كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ (سبأ 17)، إن قلنا المعنى وهل يجازى ذلك الجزاء [...] وضرب يخرج مخرج المثل، كقوله تعالى:﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ٨١ ﴾(الإسراء 81)، [...] وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء 35/34)، فإن قوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ من الأول، وما بعده من الثاني، وكل منهما تذييل على ما قبله"[3].

---

[1] ينظر، محمد كريم الكواز، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص: 18و19

[2] المرجع نفسه، ص: 19

[3] جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 155

كما يختلف التعقيب عن التذييل في الحجم " فالتذييل يكون جملة بعد جملة، فهو محدود بجملتين أو أكثر بقليل، في حين يتعدى التعقيب هذا العدد، فلا يتقيد بعدد معين من الجمل، وإنما هو منوط بتمام القضية، ولا عبرة بعدد من الجمل، إنما هو منوط بتام القضية، ولا عبرة بعدد جملها، وكذلك التعقيب نفسه إذ لا يتحدد بعدد مخصوص من الجمل"[1]، ومن الأمثلة التي نستدل بها ، قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ (القمر من 9 إلى17)، فالملاحظ لهذه الآيات الكريمة، يجد أن القضية القرآنية قد تجاوزت الجملة، فهي تتمحور حول قصة من القصص القرآني، قصة سيدنا نوح (عليه السلام) مع قومه. والتي ختمت بتعقيب تجاوز هو الآخر الجملة، وجاء في ثلاثة آيات: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

إجمالا، تتلخص أهم الفروق بين التذييل والتعقيب القرآني في النقاط الآتية:

- ✓ التذييل يقترن بدلالة التأكيد، بينما التعقيب متعدد الدلالات بحسب السياق.

[1] محمد كريم الكواز، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص: 19

- ✓ التذييل ضرب من الإطناب، لعلاقته التبعية القائمة على التوكيد، في المقابل التعقيب حكم على القضية ومتفاعل معها.
- ✓ يتقيد التذييل بجملة واحدة للتأكيد جملة تسبقه، في حين أن التعقيب غير مقيد بالجملة، فقد يتعداه إلى أكثر من جملة، كما أن القضية التي يرتبط بها التعقيب قد تكون جملة أو يتجاوزها.
- ✓ التذييل قد يجري مجرى المثل، في المقابل التعقيب يرتبط بقضيته ارتباطا تفاعليا، ولا يجري مجرى المثل.

- الفروق بين التعقيب والفاصلة القرآنية:

تشرك الفاصلة مع التعقيبة القرآنية في أن كليهما يأتي في ختام الآيات، حيث يقصد بالفاصلة " كلمة في آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع" ،[1] وهما يسهمان في البناء النصي للخطاب القرآني، فالفاصلة" تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن، ولعلها مأخوذة من قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (فصلت 3) ، وربما سميت بذلك؛ لأن بها يتم بيان المعنى، ويزداد وضوحه جلاء وقوة[...] فمكانة الفاصلة من الآية مكانة القافية من البيت، إذ تصبح الآية لبنة متميزة في بناء هيكل السورة"[2] أما بالنسبة التعقيب كما وضحنا سابقا ليس من باب التوكيد، وإنَّما يتم المعنى وينسجم مع قضيته، وبهذا يشتركان في التناسب المعنوي بين معاني الآيات.

[1] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، دط، 2006

[2] أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة، دط، 2005 ص: 64

كما يشتركان في إحداث إيقاع صوتي جميل متناسق، بوصفهما آخر ما تختم به الآيات حيث " تنزل الفاصلة من آيتها، تكمل من معناها، ويتم بها النغم الموسيقي للآية، فنراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم وحروف المد، وتلك هي حروف الطبيعية في الموسيقى نفسها، قال سيبويه: إن العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا"[1].

لكن هذا لا يعني تتطابق مفهوم الفاصلة مع التعقيب" نحن أمام أمرين يتعلقان بختام الأية القرآنية هما: الأول: أن فاصلة أي آية هي آخر كلماتها، والثاني: أن هناك أمر أعم من الفاصلة؛ وهي التعقيبة القرآنية التي تحتوي الفاصلة بداخلها، وتصبغها بصبغتها الدلالية، فالعلاقة بينهما علاقة العام والخاص، إذ لابد من وجود فاصلة لكل آية، وليس شرطا وجود تعقيبة لكل آية، فالفاصلة القرآنية أكثر عدد بلا جدال من التعقيبات"[2].

كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن من 1إلى 13)، الملاحظ لهذه الآيات الكريمة، يجد أن الفاصلة القرآنية أكثر عددا من التعقيبات؛ اثنا عشر آية جاءت بتعقيب واحد، في

[1] المرجع نفسه، ص: 65

[2] أسامة عبد العزيز جاب الله، أسلوب التعقيب في القرآن مقاربة جمالية، ص: 13 وص: 14

المقابل لكل آية فاصلة، كما نلاحظ أن التعقيب: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أكبر من الفاصلة من حيث التركيب.

وبهذا تتجلَّى الفروق جليا بين الفاصلة والتعقيب؛ هذا الأخير الذي هو أعم من الفاصلة، فهو يشملها، كما أنه أكبر حجما منها بوصفه تركيب يساوي الجملة أو يفوقها، فمعلوم أن الفاصلة هي آخر كلمة في الآية، ولأن لكل آية فاصلة وليس شرطا أن يكون لها تعقيب، فإن الفواصل أكثر عددا من التعقيبات.

- **الفروق بين المثل والتعقيب:**

يشترك التعقيب والمثل في الارتباط بقضية معينة يأتيان في ختامها، كالمثل الآتي: يقول تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ (البقرة 17)، والذي جاء بعد قوله تعالى:(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة 15و16)، هذه الآيات الكريمة تمحورت حول موضوع واحد؛ الحديث عن المنافقين وفضحهم، وهي قضية ختمت بالتعقيب الآتي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ . وهو حكم إلهي على أفعال المنافقين، وتبين لجزائهم، ثم ختمت بالمثل الآتي:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾، هذا المثل

تصوير بليغ لحال المنافقين" والمعنى: أن حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي: عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق، المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى، وظلمة يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾، وظلمة العقاب السرمدي، بالهدى الذي هو الفطري النوري، المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق، كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها، فأطفأها الله تعالى، وتركه في ظلمات هائلة لا

يتسنى فيها الإبصار"[1].

ويرى عبد القاهر الجرجاني (400هـ-471هـ) في أسرار البلاغة أن للمثل فائدة عظيمة في إبراز المعاني وإيصالها في أبهة حلة للمتلقي، يقول: " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته؛ كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"[2]

ومن هنا، يمكن القول بأن المثل يقترن بالتوضيح، وتجلية المعاني في أبهى حلة، ويرسخها في أذهان المتلقين، كما يقوم على التشبيه، "

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، ج1، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001، ص: 189

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الجوزي، مصر، ط 1، 2010، ص: 60

فصيغة المثل وما يشتق منها تفيد التصوير والتوضيح والظهور والحضور والتأثير، فالمثل هو الشيء المضروب المثل به الذي تتضح به المعاني وهو صفة الشيء أيضا"[1]، وفي السياق نفسه يقول ابن قيم الجوزية " والأمثال في القرآن الكريم يستفاد منه أمور التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس"[2].

وهو بهذا يختلف عن التعقيب المرتبط بقضيتها ارتباطا تفاعليا، وليس لتوضيحها وتقويتها كالمثل، كما أنه لا يقوم على التشبيه، وإنَّما يتشكل من تراكيب لغوية متنوعة، كقوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس 24)، فالآية الكريمة مثل، وهي أيضا مختومة بتعقيب: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

فالمثل قائم على التشبيه وتقريب المعاني في صورة محسوسة، وقد شرح ابن قيم جوزية هذا المثل شرحا مفصلا جميلا، نورده كاملا لهذا السبب " شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه، فيميل إليها ويهواها اغترارا منه بها حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها، يسلبها بغتة أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها، فشبهما

[1] ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد عز الخطيب، دار المعرفة، لبنان، ص:28

[2] ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، السعودية، دط، دت، ص: 1314

بالأرض الذي ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر، فيغتر به، ويظن أنه قادر عليها مالك لها، فيأتيها أمر الله، فتدرك نباتها الآفة بغتة، فتصبح يداه صفرا منها، هكذا حال الدنيا والواثق بها سواء، وهذا من أبلغ التشبيه والقياس، ولما كانت هذه الدنيا عرضة لهذه الآفات والجنة سليمة منها"[1].

وفي مقابل ذلك لم يرتكز التعقيب:﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ على التشبيه والتصوير، بل تضمن حكما على هذا المثل في ارتباطه بالقضية التي سبقته، لهذا جاء التعقيب دعوة لتدبر الأمثال التي تكشف حجب الجهل، وتنير العقول، وهو أيضا" تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بالآيات ليسوا من أهل التفكر ولا كان تفصيل الآيات لأجلهم"[2] من أجل فهم حقيقة الدنيا وزوالها.

وبالعودة للمثل السابق، نجد أن التعقيب: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ جاء بعد المثل، أي تعقيبا عنه، وهذا ما يقودنا للقول بأن المثل ممكن أن يشتمل على تعقيب، لكن العكس غير ممكن، للخصوصية السياقية التي يتميز بها التعقيب عن المثل وغيره من المفاهيم القرآنية.

ويذكر محمد كريم الكواز فرقا آخر يميز التعقيب عن المثل، يقول" لكل مثل تركيبا ثابتا معروفا، شاع واشتهر بين الناس، ولو تبدل التركيب لاختل بناء المثل، وفقد ما يرمي إليه من مغزى، أما التعقيب فليس له

[1] ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، ص: 185

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص: 144

تراكيب محددة ثابتة، يحافظ على عبارتها كما يحافظ على عبارة المثل"[1]، كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الجمعة 5).

إجمالا، يمكن تلخيص أهم الفروق بين المثل والتعقيب في النقاط الآتية:

- ✓ يرتكز المثل على التشبيه والتصوير، في المقابل أن التعقيب لا يقوم عليه، بل له تراكيب مختلفة ذات صلة وثيقة بمقاصد القضية التي يأتي بعدها.
- ✓ يقترن المثل بالشهرة بتركيب واحد يلازمه، في حين تتنوع تراكيب التعقيب بتنوع سياقاته.
- ✓ يمكن أن يشتمل المثل على تعقيب، والعكس غير ممكن.

– المبحث الثاني: البنى اللغوية المُشَكِّلة للتعقيب القرآني:

لم يلزم التعقيب القرآني نمطا تعبيريا واحدا، لارتباطه بقضايا مختلفة، فجاء بتراكيب مختلفة. ولأن التعقيب القرآني يشغل حيزا كبيرا من الخطاب القرآني، فإنّنا نحاول إجمال البنى اللغوية في النقاط الآتية تسهيلا للدراسة.

1. **التعقيب المُصَدَّر بأسماء الله الحسنى:**

يقول تعالى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (الحشر24)، نُعتت أسماء الله بالحسنى، لأن" أسماؤه كلها مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك

[1] محمد كريم الكواز، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص: 22

كانت حسنى، وصفاته كلها كمال، ونعوته جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة، ومصلحة وعدل" [1]، لهذا فهي تزيد التعقيب قوة وجمالا بوصف التعقيب المقطع الأخير من القضية القرآنية، وقد جاءت الأسماء الحسنى بتراكيب مختلفة منها:

- **التعقيب باسم الجلالة(الله):**

التعقيب باسم الجلالة (الله) تكرر في الكثير من آيات القرآن الكريم، " وهو اسم الذات العلية، الموصوفة بصفة الألوهية المعروفة بنعوت الربوبية، المتصف بصفة الأحدية، المنفرد بوحدة الوحدانية، المنعوت بصمدانية الصمدية، المنزه عن جنس الكيفية، وأنواع المثلية، المقدس عن أن يحيط بمعرفة كنه إدراكه عقول البشرية، فهو الله"[2].

ولكثرة التعقيبات التي اشتملت على اسم الجلالة (الله)، نستدل بأمثلة فقط، لأن الهدف من المبحث إبراز الأنماط التعبيرية للتعقيب لا الوقوف على الجانب الإحصائي لها، كقوله تعالى: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة 19)، التعقيب: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ الذي جاء مرة واحدة في القرآن الكريم سورة البقرة، وهو وعيد من الله للكافرين، فهو القادر على كل شيء وقدرته أحاطت كل شيء.

[1] عبد الهادي بن حسن وهبي، الأسماء الحسنى والصفات العلى، دار الدليل، السعودية، ط1، 2007، ص:11

[2] ابن عطاء الله السكندري، الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، تح: محمود توفيق الحكيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2002، ص:24

يقول ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(البقرة 95)، التعقيب:﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذي تكرر في سور عديدة منها سورة البقرة، وهو تقرير لعظمة الله، وتفرده بعلم الغيب والعلم بما تخبئه صدور الظالمين، كما يتضمن معنى الوعيد والتهديد لليهود لادعاءاتهم الباطلة.

يقول تعالى:﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (المائدة17)، التعقيب: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وقد تكرر تسع مرات في القرآن الكريم: البقرة 284، آل عمران: 29، 189، المائدة: 17، 19، 40، الأنفال 41، التوبة 39، الحشر 6، وهو في سياق الآية الكريمة، رد من الله ﷻ على الكافرين الذين يدعون الألوهية لعيسى عليه السلام، وفحوى هذا الرد: بأن قدرة الله وسعت كل شيء، فلا يعجزه خلق سيدنا عيسى من غير أب، ولا يعجزه إهلاك المسيح عليه السلام وأمه وكل من على الأرض، فهو خالق السموات والأرض وما بينهما، وله الملك وحده لا شريك له. وبهذا فالتعقيب تقرير لعظمة الله القادر على كل شيء.

- **التعقيب بالرحيم:**

يقول تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ (الإسراء 66)، التعقيب: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾،

والرحيم من الرحمة، " الرحيم: هو صاحب الرحمة العامة بالمؤمنين وغيرهم في الدنيا، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة 143)، أي: رحيم بجميع الناس على اختلاف أجناسهم ومللهم، أما في الآخرة فهو رحيم بالمؤمنين دون غيرهم، كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب 43"[1].

وما تحسن الإشارة إليه، أن اسم الرحيم، جاء في سياقات عديدة ، في كل سياق يتناسق مع القضية التي تسبقه، كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴾ (النساء 29)، جاء التعقيب بالرحيم في هذه الآية الكريمة متناسقا مع السياق؛ حيث تجلت رحمة الله في أن" خفف عليكم ما شدده على ما كان قبلكم، حيث يسر لكم الطاعة ووفقكم لها"[2].

يقول تعالى:﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴾ (الإسراء 66)، فالملاحظ لهذا التعقيب، يجد ترابطا وثيقا بين التعقيب والقضية التي تسبقه، فمعنى الرحيم الذي جاء في التعقيب تجلّى في رحمة الله التي وسعت كل شيء، فَسَهَلَت للعباد الرزق بتسخير الفلك والبحر لهم.

[1] محمد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى، آثارها وأسرارها، دار المنار، القاهرة، ط1، 2000، ص:18

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ج 2، ص: 246

- **التعقيب بالشهيد:**

من الصيغ المتكررة في التعقيب القرآني صيغةُ (وكفى بالله+ اسم من أسماء الله الحسنى)، حيث تكررت في القرآن الكريم إثنتاعشرة مرة، يقول تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ الذي تكرر ثلاث مرات في القرآن الكريم، تكرر مرتين في سورة النساء في قوله تعالى ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ (سورة النساء 79)، وفي قوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء 166)، وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾(الفتح 28)، ويقصد " بالشهيد: الذي يرى أفعال خلقه ويعلم سرهم ونجواهم، ولا يمكن الاستخفاء منه ولا تضيع الشهادة عنده، وله الحجة البالغة على خلقه"[1]. لقد تَجلَّت دلالةُ هذا الاسم في التعقيبات الثلاثة، فكل تعقيب يتضمن دلالة التعظيم التي خصصها التعبير ب (كفى) واسم الشهيد.

- **التعقيب بالحسيب:**

جاءت الصيغة السابقة مع اسم الحسيب، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ والتي تكررت مرتين في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾

[1] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، دار آزال، بيروت، ط2، 1986ص: 184

(النساء 6)، " أي حاسبا لأعمالكم شاهدا عليكم في كل شيء تعملونه، ومن جملة ذلك معاملتكم لليتامى في أموالهم، وفيه وعيد عظيم" [1].

وفي سورة الأحزاب، يقول تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ (الأحزاب39)، انطلاقا من سياق الآتين الكريمتين يتبين معنى" الحسيب الذي يكفيك كل شيء ويحاسبك على كل شيء، أسرع الحاسبين، مصدر الجود والكرم والفضل والنعم سابق على الخلق بوجوده، وجودهم من فيض جوده"[2].

- **التعقيب بالولي والنصير:**

وقد تكررت الصيغة السابقة مع اسم الولي والنصير، يقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴾(النساء 45)، وهذه الصيغة متوافقة مع السياق، فنصرة الله خاصة بعباده المؤمنين.

- **التعقيب بالعليم:**

جاءت الصيغة السابقة مع اسم العليم، يقول تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾ (النساء 70)، التعقيب جاء مستهلا باسم الإشارة(ذلك)

[1] الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحق: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2007، ص: 273

[2] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: 157

لإبراز جزاء من يطع الله والرسول، ثم ختم التعقيب باسم العليم" بجزاء من أطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق أهله"[1].

- **التعقيب بالوكيل:**

تكررت الصيغة السابقة مع اسم الوكيل في القرآن خمس مرات، ثلاث مرات في سورة النساء: 81، 132، 171، وفي سورة الأحزاب: 3، 48، كقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (الأحزاب3)، وتشترك التعقيبات في الدلالة الآتية بأن الوكيل هو" الكفيل بالخلق، المدبر لحاجاتهم، لا يرجع أمرهم إلى غيره، ويكفي المتوكل عليه ما أهمه"[2].

- **التعقيب باسمين من أسماء الله الحسنى:**

من الأنماط التعبيرية للتعقيب، التعقيب باسمين من أسماء الله الحسنى، يتناسق معناهما في تركيب واحد يعطي دلالة محددة للتعقيب القرآني، ولكثرتها نحاول الاستدلال ببعض الأسماء الحسنى التي جاءت بصفة ثنائية:

- **السميع والبصير:**

تكرر التعقيب بهذه الثنائية من الأسماء الحسنى كثيرا في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت ج2، ص:200

[2] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، ص: 189

سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (النساء 58)، التعقيب:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ جاء بعد الأمرِ بإتيان الأمانة والحكم بالعدل، وهو متوافق مع هذا الأمر، فالله وحده يسمع الكلام ظاهره وباطنه، وهو وحده من يبصر أفعال الخلق، فمعنى السميع " المدرك للموجودات بحركاتها وسكناتها، فلا تصدر إلا عن تدبيره ويسمع أصواتها الحادثة بسمعه المتنزه عن مشابهة الحادث فلا تختلف عليه دعوات خلقه ولا يشتغل بشيء عن شيء"[1]. ومن هذا المنطلق، إن صفة السمع اختص بها المولى عز وجل، فلا تخفى عليه خافية، وقد جاء اسم السميع منسجما مع البصير، في سياق الحديث عن أداء الأمانة والحكم بالعدل، فالبصير" المدرك للموجودات بحركاتها وسكناتها، فلا تصدر إلا عن تدبيره ويبصر أصواتها الحادثة ببصره المتنزه عن مشابهة الحادث، ولا تتوارى سماء سماء، ولا أرض أرضا ولا شيء شيئا"[2]. وبهذا تتضمن دلالة التعقيب بالسميع البصير التحذير من انتهاك حدود الله (الأمانة والحكم بالعدل).

- **السميع العليم:**

ومن أمثلة هذه الثنائية، يقول تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة 256)، التعقيب: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ تقرير لقدرة الله المتفردة في معرفة ما يقال سواء أن كان كفرا أم إيمانا، والعلم بأفعال خلقه سواء كان تعبدا أم نفاقا ويقصد " بالعليم:

[1] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، ص: 129

[2] المرجع نفسه، ص: 129

الذي وسع علمه كل شيء ولا يغرب عن علمه مثقال ذرة ولا تخفى عليه خافية، ولا يعلم مقدار عظمته إلا هو، ولا نهاية لكماله، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، خلق العلماء والمتعلمين ويمدهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويكشف لهم من أسرار العلوم"[1]، والتعقيب في هذا السياق يحمل دلالة الوعد لعباده المؤمنين المتمسكين بدينه، كما يحمل ضمناً دلالةَ الوعيد لمن يكفر بالله ويؤمنُ بالطاغوت.

يقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة 181)، التعقيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيم﴾، جاء متوافقا أتم التوافق مع القضية التي تسبقه، " لما كان للموصي والمبدل أقوال ونيات حذر بقوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي المحيط بجميع صفات الكمال ﴿سَمِيعٌ﴾ أي لما يقوله كل منهما ﴿عَلِيمٌ ﴾ بسره وعلنه، فليحذر من عمل السوء وإن أظهر غيره ومن دعاء المظلوم فإن الله يجيبه"[2]. وعليه، فإن التعقيب تحذير من تحريف الوصايا، لأن الله سميع عليم، يعلمُ ما في الصدور ويسمعُ ما يضمره العباد.

- **الخبير والبصير:**

تكررت هذه الثنائية مرات عديدة في القرآن الكريم بصيغة التنكير(خبير، بصير)، في حالة الرفع (خبيرٌ، بصيرٌ) تكرر مرتين: فاطر

[1] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، ص:11

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص: 336

31، الشورى: 27، وفي حالة النصب(خبيرا، بصيرا) تكرر ثلاث مرات، جاءت جميعها في سورة الإسراء: 17، 30، 96، ولكثرتها نستدل بمثال واحد، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾ (الشورى 27)، التعقيب: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾ وهو تقرير لعلم الله الباهر بأحوال عباده، فيوسعُ الرزقَ ويضيّقُه بقدرٍ لحكمته البالغة.

وهنا تحسن الإشارة إلى الفرق بين الخبير والعليم: " العلم هو الإحاطة التامة بجميع ما كان وما يكون، وما هو كائن، والخبرة هي العلم ببواطن الأمور التي يتم بها التدبير والتصريف وإعطاء كل ذي حق حقه من الخلق والتكوين والعناية والحفظ، وتيسير كل مخلوق لما خلق له، وفق هذا العلم المحيط، والإرادة النافذة، والقدرة المنفذة" [1]. مما سبق يتضح لنا، دقة الخطاب القرآني، فاسم الخبير أكثر توافقا مع السياق من اسم العليم، كما تجلّى لنا مدى الانسجام الدقيق الجميل بين اسمي الخبير والبصير، حيث يبرز اجتماعهما بدقة بالغة عظمةَ الله المحيط بكل شيء.

- **العليم الحكيم:**

جاء التعقيب بهذه الثنائية أربع مرات بصيغة التعريف(العليم، الحكيم): البقرة 32، يوسف: 83، 100، التحريم 2، وتكرر بصيغة التنكير (عليم، حكيم) خمسة عشر مرة: النساء 26، الأنفال 71، التوبة: 15، 28، 60، 97، 106، 110، يوسف 6، الحج 52، النور :18، 58، 59، الحجرات

[1] محمد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى، آثارها وأسرارها، ص: 124

8، الممتحنة 10، نستدل بمثال واحد، يقول تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال 71)، التعقيب: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهو تقرير لعظمة الله العليم بنوايا عباده، و" الحكيم: الذي أنصف في تقديره، وأحسن تدبيره، ونفذ حكمه وعلت مشيئته وله عاقبة الأمور"[1].

- **العلي العظيم:**

تكرر التعقيب بهذه الثنائية مرتين في القرآن الكريم: الأولى بعد آية الكرسي، والثاني في سورة الشورى، يقول تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (الشورى 4)، التعقيب: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ يبرزُ علوَ المنزلة التي انفرد بها وحده لا شريك له، فيقصد بالعلي " الذي تتطلع إليه جميع الأبصار وله المثل الأعلى، ولا يصل إليه الأذى"[2]، كما اشتمل التعقيب على دلالة التعظيم، حيث يقصد بالعظيم " الذي ليس لعظمته بداية ولا لكنه جلاله نهاية، ولا يتصوره عقل ولا يستمد العظمة مما سواه واجب الوجود لذاته"[3].

وتحسن الإشارة هنا، إلى اقتران اسم العلي باسم الكبير أربع مرات في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ (الحج 62)، يقول تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ

[1] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، ص: 173

[2] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، ص:150

[3] المرجع نفسه، ص:145

ٱلۡكَبِيرُ﴾ (لقمان 30)(وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾(سبأ 23)، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ (غافر 12)، التعقيب باسمي العلي والكبير في الآيات الكريمة يشترك في دلالة واحدة: تنزيه الله عن كل نقص واتصافه بكل صفات الكمال وحده لا شريك له، فهو الكبير" الذي لا يسعه مكان ولا يحويه زمان، الكبير المتعال، يقف لديه العظماء والمتكبرون صاغرين، فالحكم لله العلي الكبير"[1].

- **العزيز الوهاب:**

جاء التعقيب بهذين الاسمين مرة واحدة في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ (ص 9)، التعقيب:﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ ردٌّ من الله ﷻ على الكفار الرافضين لنبوة النبي ﷺ حسدا من عند أنفسهم، وهو إنكارٌ لكلامهم وتوبيخٌ لهم على تجرئهم على الله العزيز " الذي لا نظير له والقوي الذي لا غالب له"[2]، والذي يَهبُ من يشاء من عباده النبوة وغيرها من

[1] المرجع نفسه، ص: 150

[2] المرجع نفسه أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، ص: 87

النّعم، إنّه الوهابُ، أي" كثير العطاء لا تنفذ خزائنه، يمنح من يشاء بلا سبق جوده وكرمه "[1].

- **التواب الرحيم:**

جاء التعقيب بهذه الثنائية بصيغة التنكير (تواب رحيم) مرة واحدة في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَ لَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾(الحجرات12)، وجاء بصيغة التعري ست مرات: البقرة :37 ، 54، 128، 160، التوبة: 104، 118، يقول تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة: 104/103)، التعقيب:﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تقرير لتفرد الله بالتوبة والرحمة، فهو" التواب: الذي يقبل أسباب التوبة ويشفق على عباده من المعاصي والذنوب ويعينهم على مغالبة الشهوات، وينير لهم ويصلي عليهم هو وملائكته، ليخرجهم من الظلمات ولا يعجل بالعقوبة، فإذا رجع العبد إليه وأناب، تاب عليه، وقبل توبته، وهيأ له أسباب النجاح والفلاح"[2]. مما سبق يَتبَيّن أن التعقيب يحمل دلالة الترغيب والتحضيض على التّصدق في سبيل الله.

- **الغفور الرحيم:**

[1] المرجع نفسه، ص: 109

[2] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، ص: 231

تكرر التعقيب بهذه الثنائية في مواضع كثيرة منها قوله تعالى:﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (التوبة 5)، التعقيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ جاء بعد أمر الله تعالى المسلمين بقتل المشركين بعد انقضاء الأشهر الحرم، وتركهم وشأنهم إن تابوا، لأن الله وحده من يرحم عباده ويغفرُ زلاتهم، فهو " الغفور: الذي يغفر الذنوب العظام ولا يقفل بابه عن التائبين، ثم يبدل سيئاتهم حسنات"[1].

2. التعقيب بصيغة الثناء (تبارك):

تكرر هذا التعقيب أربع مرات في القرآن الكريم: الأعراف 54، المؤمنون 14، غافر64، الرحمن 78، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف 54)، التعقيب:﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ جاء بعد ذكرِ الخلق البديع المتقن لبعض نعم الله الجليلة كخلق السماء والأرض، وتسخير الشمس والقمر والنجوم لعباده، لهذا فهو المستوجب العبادة والتوحيد، وقد جاء التعقيب بصيغة ثناء:﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ " أي تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظيم بالتفرد بالربوبية وتحقيق الآية الكريمة والله أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا فبَيَّن لهم أن المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لأنه الذي له الخلق والأمر، فإنه الله

[1] المرجع نفسه، ص: 231

تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم " [1].

تكرر التعقيب السابق مرتين فقط في القرآن الكريم، الأولى في سورة الأعراف، والثانية في سورة غافر، يقول تعالى:(ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (غافر 64)، وهو تعقيبٌ يتضمن أيضا دلالة التعظيم والثناء؛ لأنّ الله خلقَ فأبدعَ.

3.التعقيب بصيغة الثناء سبحان:

تكرر التعقيب بهذه الصيغة في مواضع عديدة من القرآن الكريم، فجاء بصيغة (سبحانه) أربعة عشرة مرة ، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾(النساء 171)، الخطاب للنصارى القائلين بالتثليث في الألوهية: الله تعالى ومريم وعيسى، لذا جاء التعقيب تنزيها لله تعالى عن هذا الزعم الباطل.

كما تكرر التعقيب (سبحان الله) تسع مرات في القرآن الكريم: يوسف 108/ الأنبياء 22/ المؤمنون 91/ النمل 8/ القصص 68/ الروم 17/ الصافات 159/ الطور 4/ الحشر 23، يقول تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، ج 3، ص: 781

بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ المؤمنون 91، التعقيب: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ هو الآخر تنزيه لله تعالى عن الولد والشريك، فالله واحد لم يلد ولم يولد، ولا يوجد من يشاركه في الألوهية، تعالى الله علوا كبيرا.

4.التعقيب المُصَدَّرُ ب (بلى):

التعقيب ب(بلى) نمط تعبيري قرآني متكرر في مواضع عديدة، يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰٓ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ البقرة 112/111، التعقيب ردٌّ من الله عز وجل على الذين زعموا أن الجنة لا يدخلها إلا من كان على الديانة اليهودية والنصرانية، وزعمُهم هذا مجرد أمنية ، فجاء الرد مستهلا ب(بلى) وهي" إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة؛ لأن بلى لإثبات النفي، أي يدخلها غيركم"[1].

5. التعقيب بالدعاء:

- التعقيب باللعن:

جاء التعقيب بالدعاء بصيغ متنوعة، في سياقات مختلفة، تشترك في دلالة الغضب والوعيد منها الدعاء ب (لعنة الله) لمن استحقوا غضب الله والطرد من رحمته يقول تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة 89)، التعقيب: ﴿ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج 2، ص: 208

عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وهو " جملة دعاء عليهم وعلى أمثالهم، والدعاء من الله تعالى تقدير وقضاء، لأنه تعالى لا يعجزه شيء وليس غيره مطلوبا بالأدعية"[1]. ويقصد باللعن" الطرد والإبعاد من الرحمة، والكرامة التي وعد بها من لم يخض في ذلك الذنب"[2]، كما جاء اللعن بصيغة (اللعنة)، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ (الرعد 25)، والملاحظ للتعقيب باللعن، يجد أن السياق يتضمن الصفات الملعونين، "اعلم أن الصفات المفضية للعن ثلاث: الكفر، البدعة، والفسق"[3].

- **ويل:**

يقول تعالى :﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ (مريم 37/35) ، التعقيب: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ جاء في سياق الحديث عن قصة سيدنا عيسى عليه السلام، وهو تَبْيِّين لجزاء من تجرأ على الله ونَسبَ مزاعم باطلة لله، فاستهل التعقيب بلفظ ويل" أي شدة العذاب للذين كفروا واختلفوا في شأن عيسى عليه السلام، من اليهود والنصارى، والويل: الهلاك وهو نكرة قصد الدعاء"[4]

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص: 603/602

[2] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ص: 82

[3] المرجع نفسه، ج2، ص:82.

[4] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن،ج17،ص:142

- **قاتلهم الله:**

جاء التعقيب بهذه الصيغة مرتين في القرآن الكريم، الأولى في سورة التوبة، يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾(التوبة 30)، والثانية في سورة المنافقين، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (المنافقون 4)، والملاحظ للتعقيب، يجد أنه جاء بعد صنيع شنيع للكافرين، وبهذه الصيغة يحمل معنى الدعاء عليهم، ففي سورة التوبة جاء ردّا على البهتان العظيم لكل من اليهود والنصارى الذين اتخذوا من دون الله أربابا، "وجملة قاتلهم الله دعاء مستعمل في التعجيب، وهو مركب يستعمل في التعجيب من عمل شنيع، والمفاعلة فيه للمبالغة في الدعاء: أي قتله الله قتلا شديدا، وجملة أنى يؤفكون مستأنفة، والاستفهام فيها مستعمل في التعجيب من حالهم في الإتباع الباطل"[1].

- **سحقا:**

جاءت بهذه صيغة مرة واحدة في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ وَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك 11)، التعقيب:﴿ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، ويقصد " بالسحق: اسم مصدر معناه البعد، وهو هنا نائب عن الإسحاق، لأنه دعاء بالإبعاد فهو مفعول مطلق نائب عن فعله، أي أسحقهم الله

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص: 169

إسحاقا، ويجوز أن يراد من هذا الدعاء التعجيب من حالهم، كما يقال: قاتله الله، ويل له"[1].

- **بعدا:**

جاء التعقيب بهذا التعبير ست مرات في القرآن الكريم: أربع مرات في سورة هود: 95/68/60/44، ومرتان في سورة المؤمنون: 44/41، يقول تعالى:﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾(المؤمنون 44)، التعقيب: ﴿ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾، دعاء على المكذبين برسل الله، وفحوى هذا الدعاء البعد والطرد من رحمة الله.

6. التعقيب المُصَدَّرُ ب (كلا):

تكرر التعقيب المُصدّر بحرف الردع (كلا) في مواضع عديدة، كقوله تعالى:﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴾ (مريم 79)، وقوله في سورة الهمزة: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴾(الهمزة 4/1)، والملاحظ للتعقيبين يجد أنهما جاءا في سياق وعيد للكافرين، صادران من المولى عز وجل عن أفعال ومزاعم الكفار. ومن أمثلة الردع المكرر، قوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 29، ص: 28

ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾(التكاثر 4/1)، هذا التكرار فيه وعيد شديد.

7. التعقيب بالشرط:

الشرط من الأنماط التعبيرية المتكررة في التعقيبات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة 24/23)، التعقيب: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ وهو ردٌّ من المولى تعالى على من شكك في القرآن الكريم وفي مصدره، فكان الأمر بالمعارضة تحديا لهم، وفحوى التعقيب: عجز الكافرين الدائم عن معارضة القرآن الكريم، فلم يستطع أحد الإتيان بمثل القرآن ولن يستطيع، كما ذكر الله تعالى عاقبةَ أمرهم يوم القيامة.

8. التعقيب بالنفي:

يعد النفي من التعقيبات المتكررة في الخطاب القرآني كالنفي ب (ما) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾(البقرة 85)، التعقيب:﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ وأفاد التعقيب بالنفي الوعيد الشديد للكافرين المعتقدين أن اللهَ غافلٌ عن أفعالهم المشينة.

ومن أمثلة النفي ب(لا) قوله تعالى:﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ (الكهف 49)، والتعقيب ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ تقرير للحساب الدقيق يوم القيامة، هذا مايجعل التعقيب يحمل دلالة الوعيد لمن غفل عن يوم الحساب.

9. التعقيب بالنهي:

كقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (المائدة 68)، التعقيب: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وهو تسلية لقلب الرسول عليه السلام؛ لأن الله وحده أعلم بنوايا عباده.

10. التعقيب بالتوكيد:

جاء هذا النمط في مواضع عديدة، منه ما جاء باسم الله، كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (البقرة 109)، التعقيب:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ردٌّ صادر من الله تعالى لأهل الكتاب الذين يتمنون فتنة المؤمنين في دينهم، وهو تهديد لهم، وأنّهم لا يعجزون الله. ومن أمثلة هذا النمط التعبيري ما جاء متصلا بضمير الغائب(إنَّه)، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (المؤمنون 117)، التعقيب: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ حكم

قاطع من الله تعالى، فحواه لا فلاح للكافرين الذين يجعلون مع الله شركاء، " وفي ذلك من شديد التوبيخ والتقريع ما لا يخفى، أي: إنه سبحانه لا يسعد أهل الشرك، ولا ينجيهم من العذاب، وما ألطف افتتاح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بخيبة الكافرين، وعدم فوزهم بما يؤملون، فانظر تفاوت ما بين الافتتاح والاختتام"[1] والذي يعكس جمال التعقيب القرآني المتناسق مع المقاصد العامة للسورة.

11. التعقيب بالاستدراك:

تكرر هذا النمط التعبيري في مواضع عديدة، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۖ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (هود 17)، التعقيب: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ " بذلك إما لقصور أنظار واختلال أفكارهم وإما لعنادهم واستكبارهم"[2].

12. التعقيب بأساليب الوعيد:

خُتمت العديد من القضايا القرآنية بأساليب الوعيد، وهي كثيرة متنوعة التراكيب، سنتقتصر على ذكر بعض منها للاستدلال، مثل الوعيد بقوله: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ (غافر 70)، التعقيب: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن الكريم، ج19، ص:180

[2] أبو السعود، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج4، ص: 195

يحمل الوعيد الشديد للمكذبين برسل الله ورسالاتهم، وقد تكرر هذا التعقيب في القرآن الكريم ست مرات تشترك جميعها في الوعيد، وهي:

التعقيب	الآية والسورة
﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الحجر 3 ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾الحجر 96 ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت66 ﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الصافات170 ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ غافر70 ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾الزخرف89

ومن أساليب الوعيد ذكر عذاب الآخرة، كقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ (طه 127)، وفي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم 33).

ومن أساليب الوعيد أيضا التذكير بعذاب جهنم، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(الأعراف 18)، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر 43).

13. التعقيب بأساليب الوعد:

الوعد مقابلٌ للوعيد، فإذا كان الوعيد يخص الكافرين وكل من تعدى حدود الله شركا وظلما...إلخ، فإن الوعد خاص بالمؤمنين وما أعده الله لهم من نعيم، وهو الآخر جاء بأساليب كثيرة ومتنوعة، كذكر جزاء المؤمنين وثوابهم، كقوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ (النساء 146)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمران 145).

ومن أساليب الوعد التعقيب بذكر الجنة، كالتعقيب بهذا التركيب (تلك +الجنة)، والذي جاء مرتين في القرآن الكريم، في قوله تعالى:﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ (مريم 63)، وفي قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (الزخرف 72).

ومما ينبغي الإشارة إليه، أن التعقيب الواحد يمكن أن يجمع بين الوعد والوعيد معا وهذا من جماليات الخطاب القرآني، كقوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ (الرعد 35).

14. التعقيب بأسلوبي المدح والذم:

تكرر المدح بأنماط تعبيرية مختلفة، كالمدح ب(نعم)، كقوله تعالى:﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص 44). ومن أمثلة المدح مدح جزاء المؤمنين، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (العنكبوت 58)، أو مدح لأعمال المؤمنين، مثل هذا التعقيب: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾الذي تكرر ثلاث مرات في القرآن الكريم، في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران 134)، وفي قوله تعالى:﴿ فَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران 148)، وفي قوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة 93).

أما عن أساليب الذم فجاءت هي الأخرى بأنماط تعبيرية متنوعة، مثل التعبير ب(بئس)، كقوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الجمعة 5)، ومن الذم ما جاء بالفعل (ساء)، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الأنعام 136).

من صيغ الذم المتكررة ما جاء على التركيب الآتي: إنه+ لا يحب ... كقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

(الأعراف 55)، وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الشورى 40).

15. التعقيب المُصَدَّر بأسماء الإشارة:

تكرر هذا النمط من التعقيب في مواضع عديدة من القرآن الكريم، نحاول رصد أكثر أسماء الإشارة حضورا:

- **التأشير ب(ذلك):**

كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (إبراهيم 14)، التعقيب:﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ جاء بهذا التركيب مرة واحدة في القرآن الكريم، وهو يحمل دلالة الترغيب، فَنُصرة الله لعباده المؤمنين وإهلاك لأعدائهم، اختصَّ بها عبادُ الله الذين خافوه وتذكروا وعيده.

- **التأشير ب(تلك):**

من أمثلة هذا التعقيب: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة 187)، التعقيب: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ وهو تحذير من تجاوزِ حدود الله.

- التأشير ب(أولئك):

كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦۚ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (البقرة 27)، التعقيب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾، حكم صادر من الله تعالى، وهو يحمل دلالة الذم للذين اتصفوا بالصفات المذكورة في الآية، كنقض عهد الله من بعد ميثاقه، خسرانهم واقع لا شك فيه.

16. التعقيب بالاستفهام:

تكررَ الاستفهامُ في التعقيب بأنماط تعبيرية متنوعة منها الاسنفهام بالهمزة، قوله تعالى:﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ (الأنبياء 44)، التعقيب: ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ وهو إبرازٌ لقدرة الله القاهرة، والاستفهام للإنكار.

ومن أمثلة الاستفهام ب(هل)، قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ (يونس 52)، التعقيب: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ تقرير لجزاء الظالمين الذين استحقوا عذاب الخلد بما انتهكوا حدود الله.

ومن أمثلة الاستفهام بمن، قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة 50)، التعقيب: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ وهو توبيخ للكافرين الذين يتبعون أهوائهم، ويرفضون

ما حكم به الله، لذا جاء الاستفهام ب(من) لإنكار وجود من هو أحسن حكما من الله.

من أمثلة الاستفهام ب(ما) قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ (عبس 4/1)، " والاستفهام بهذا التركيب للتنبيه عن مغفول عنه" [1]

ومن أمثلة التعقيب بكيف، قوله تعالى:﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (الرعد32)، التعقيب: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ للتهديد والوعيد لمن استهزئ برسل الله، وقد تكرر هذا التعقيب مرتين في القرآن الكريم مرة في سورة الرعد والأخرى في سورة غافر، يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر 5).

من أمثلة التعقيب ب(أنّى) فوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ (فاطر 3)، التعقيب: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ وهو تقرير لوحدانية الله، والاستفهام بأنى " لترتيب إنكار عدولهم عن التوحيد إلى الإشراك على ما قبلها، كأنه قيل إذا تبين تفرده تعالى بالألوهية والخالقية والرزاقية، فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك"[2].

17. التعقيب بالأمر:

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص: 105

[2] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج7، ص:144

تكرر الأمر في التعقيب القرآني في مواضع عديدة، نتعرف على أهم أنماطه ومقاصده في الفصل الرابع بوصف الأمر فعل كلامي توجيهي، كقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ (الحشر 2).

18. التعقيب المُصَدَّرُ ب(بل):

التعقيب ب(بل) من الأنماط المتكررة، وهي للرد عن كلام سابق والإضراب عنه، كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(العنكبوت 47/ 49).

19. التحضيض ب(لولا):

كقوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الواقعة 62، يأتي شرح هذا التعقيب في الفصل الرابع المخصص لأفعال الكلام.

20. التعقيب المُصَدَّر بقد:

ومن أمثلة هذا التعقيب ما جاء على التركيب الآتي: قد بينا الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾(البقرة 118)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا

تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (آل عمران118)، وقوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (الحديد 17)، الملاحظ للآيات الكريمة، يجد أنها التعقيبات تشترك في دلالة التوكيد.

- **المبحث الثالث: خصائص التعقيب القرآني وأنواعه:**

1. خصائصه:

التعقيب القرآني أسلوب انفرد به القرآن الكريم، له خصائص نحاول رصدها في النقاط الآتية:

- **صادر عن الله ﷻ:**

يشترط في التعقيب القرآني أن يكون صادرا عن المولى عز وجل، وليس منه التعقيب الصادر من غير الله تعالى، كقول شعيب في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ ﴾(الأعراف 93)، فالتعقيب: ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾، لا يجسد حكم الله على القضية المطروحة في السورة، لأنه جاء على لسان نبي (شعيب عليه السلام)، ونظيره التعقيب الصادر عن إبراهيم وإسماعيل

عليهما السلام:(رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة 128) وقوله تعالى:﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ التعقيب: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ صادر عن امرأة عمران، والتعقيب في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (البقرة 32)، وهو تعقيب صادر عن الملائكة.

- **لا يكون مَصدرا:**

التعقيب بالمصدر لا يعد من التعقيب الذي يشترط فيه أن يكون تركيبا لا كلمة، وهو يجسد الحكم الإلهي عن قضية ما، " فالتعقيب المصدري هو المجيء بمصدر يردف معنى الجملة السابقة و يقويه أو يجمله؛ فلا يدخل الشك إلى ذهن المتلقي وإنما يقبل على الكلام بالقبول أو الموافقة؛ فهو شاهد على صدق الكلام السابق"[1]. وقد عده التنوخي وسيلة ومن وسائل البيان، حيث يقول في كتابه (الأقصى القريب في علم البيان) " ومن البيان تعقيب الكلام بمصدر معظم بمن أضيف إليه، توكيدا لما في ذلك الكلام من الحكم والمعاني، وغير ذلك مما يعظم في بابه خيرا أو شرا ، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (النمل 88) فلما كانت الجبال ترى جامدة وهي تمر مر السحاب لسرعة حركتها، كان

[1] وائل الحربي، التعقيب المصدري ودلالته في القرآن الكريم وأبحاث أخرى، دار الأيام، عمان، ط1، 2016، ص: 71/70

ذلك أمرا عظيما تحار فيه العقول، فؤكد بقوله تعالى :﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾، ثم وصف

نفسه بأنه المتقن لكل شيء"[1].

مما سبق يتضح أن التعقيب المصدري مصدر يُأتي به لتأكيد الكلام، في حين أن التعقيب يشترط فيه أن يكون أكثر من ذلك، قد يكون آية أو أكثر، كقوله تعالى في سورة الروم: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ (الروم 6/1)، فكلمة وعد هي تعقيب مصدري، وقد " انتصب (وعدَ الله) على المفعولية المطلقة، وهذا من المفعول المطلق المؤكد لمعنى جملة قبله هي بمعناه... وكذلك (وعد الله) أكد مضمون جملة: "وهم من بعد غلبهم سيغلبوون في بضع سنين" وإضافة الوعد إلى الله تلويح بأنه وعد يحقق الإبقاء لأن وعد الصادق القادر الغني لا موجب لإخلافه"[2].

وعلى هذا الأساس، يتضح أن التعقيب المصدري كلمة واحدة، جاءت تأكيد لما قبله، في حين أن التعقيب القرآني تتنوع دلالته بحسب السياق الذي جاء فيه، كدلالة المدح أو الذم، أو الوعيد ...إلخ، كما أنه يجسد حكم الله تعالى على القضية المطروحة في السورة. وقد تجسد في قوله

[1] علي بن محمد التنوخي، الأقصى القريب في علم البيان، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1328هـ، ص: 80

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج21، ص: 49

تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ "وهو ما اقتضاه الإجمال وتفصيله من كون ذلك أمرا لا ارتياب فيه، وأنه وعد الله الصادق الوعد القادر على نصر المغلوب فيجعله غالبا، فاستدرك بأن مراهنة المشركين على عدم وقوعه، نشأت عن قصور عقولهم فأحالوا أن تكون للروم بعد ضعفهم دولة على الفرس الذين قهروهم في زمن قصير، هو بضع سنين ولم يعلموا أن ما قدره الله أعظم"[1] وبهذا جاء التعقيب خطاب ذمٍ لكل من يشك في نصر الله.

- **سمة أسلوبية بارزة في الخطاب القرآني:**

لقد شغلت التعقيبات القرآنية حيزا كبيرا من الخطاب القرآني، وهي تتناسق مع القضايا تناسقا محكما جميلا، " وهي من الناحية الكمية تتصل بثلث أي القرآن الكريم، في تنوع بديع يضفي على العبارات الحسنة الموجزة روعة في الإيقاع وقوة الدلالة، وهي تختلف اختلافا واضحا في شكلها ومضمونها ومقاصدها في السياقات المختلفة، وتتنوع تنوعا لطيفا يكشف للمبحر في روعة البيان القرآني الكثير من دقائق الأسلوب الإلهي المعجز"[2]. لقد شكلت وفرة التعقيبات القرآنية سمة أسلوبية فريدة اختص بها القرآن الكريم، تجمع بين روعة النسيج اللغوي وبين دقة المقاصد، فضلا عن إيقاعها الصوتي المنسجم مع السابق واللاحق من الآيات، في

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ص: 50/49

[2] مراد العرابي، التعقيبات القرآنية، ص:17

تناغم بديع تستأنس به الأذن وترتاح له النفوس، باعتبار التعقيب آخر ما تختم به القضية القرآنية.

- **تنوع التراكيب اللغوية والبلاغية:**

يتخذ التعقيب تركيبات لغوية وبلاغية متنوعة، وعلة ذلك تكمن في الارتباط الوثيق الذي يربط كل قضية قرآنية بتعقيبها، هذا الارتباط أكسب التعقيبات القرآنية تنوعا وثراء، صار ميزة لها" كما تجاوز توزيعها كل الحقول الدلالية القرآنية في انسجام بديع، فلم تكن صلتها ببعض القرآن أوثق من غيره، بل كان حضورها قويا في مكيه ومدنيه، دون تمييز بين ما يخص آيات التشريع والأحكام، أو ما يخص القصص، كما لم يتميز بين ما كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من المؤمنين أو الكفار وأهل الكتاب، كما لم يتصل حضورها بغرض من الأغراض دون غيره فكانت الحاجة إليها آكدة في كل معرض"[1].

إنَّ لكل تعقيب قرآني خصوصية سياقية تكسبه تركيبا لغويا معينا متوافقا تمام التوافق مع قضيته، فقد يتطلب السياق أن يكون التعقيب بأسلوب معين، كالأمر أو النهي أو الاستدراك...إلخ، ومن أمثلة الأمر قوله تعالى:(وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي

[1] مراد العرابي، التعقيبات القرآنية، ص: 75

ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ البقرة 196، التعقيب: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، جاء بصيغة الأمر الذي تكرر مرتين: في الفعل (اتقوا) والفعل(اعلموا)، والتعقيب" وصاية بالتقوى بعد بيان الأحكام التي لا تخلو عن مشقة للتحذير من التهاون بها، فالأمر بالتقوى عام، وكون الحج من جملة ذلك هو من جملة العموم وهو أجدر أفراد العموم، لأن الملام فيه، وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، افتتح بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ اهتماما بالخبر"[1]. هذا ما يبين ارتباط الأمر بالقضية التي جاء بعدها، فناسب الأمر بالتقوى والتذكير بعقاب الله الشديد الأحكام المتعلقة بالحج والعمرة.

- **لا يتقيد التعقيب والقضية القرآنية بحجم محدد:**

لا يتقيد التعقيب القرآني بحجم معين من الآيات، فقد يكون جزء من آية كقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (البقرة 29)، أو آية فما أكثر كقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ٢وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ١٠ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(المؤمنون11/1).

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 230

كما لا تتقيد القضية القرآنية بحجم محدد، فقد تكون جزء من آية كقوله تعالى:(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾ (آل عمران 10)، أو تكون مجموعة من الآيات مثل الآيات التسعة الأولى من سورة المؤمنون والتي ختمت بالتعقيب الآتي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (المؤمنون 12/11)، وقد تمتد القضية إلى سورة كاملة، كسورة الكوثر: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ (الكوثر 3/1)، التي ختمت بالتعقيب الآتي: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾، وسورة الرحمن التي ختمت بتعقيب جامع في قوله تعالى:﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾.

استنادا على ما سبق ذكره، يمكن القول أن التعقيب القرآني تَتَنوعُ تراكيبُه وتختلفُ أحجامُه تبعا للأغراض التي سيق من أجلها، وتبعا للقضية التي جاء بعدها، وهي الأخرى لا تتقيد بحجم معين، لارتباطها بموضوع محدد، فلكل قضية قرآنية خصوصيتها.

- **مقاصده ترتكز على سياق القضية القرآنية:**

تعد القضية القرآنية أساسا نصيا يُرتكز عليه في البحث عن مقاصد التعقيب، والصلة الوثيقة بين القضية وتعقيبها، تقتضي الإلمام بالسياق النصي للقضية وبسياقها الخارجي كأسباب النزول أو بالعودة للأحاديث النبوية التي تفسرها. كقوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩

ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَ لَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ (يس 77-83)، التعقيب: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ وهو تنزيه لله تعالى عن الشرك والعجز عن البعث والجزاء.

وانطلاقا من السياق النصي للقضية، نجد أن التعقيب جاء متناسقا مع القضية التي سبقته؛ حيث جاء الخطاب فيها لمنكري البعث، وفحواه أن الله قادر على كل شيء، فدلائل قدرته ووحدانيته مست كل شيء، في الخلق والكون، أما عن السياق الخارجي لهذه الآيات الكريمة، نذكر – من باب الاستدلال لا الحصر– ما جاء في تفسير الكشاف: " أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك، فقال لهم أي: ألا ترون إلى ما يقول محمد، إن الله يبعث الأموات، ثم قال: واللات والعزى لأصيرن إليه ولأخصمنه، وأخذ عظما باليا فجعل يفته بيده، وهو يقول: يا محمد، أترى الله يحي هذا بعد ما رم؟ قال ﷺ: نعم، ويبعثك ويدخلك جهنم"[1] ولهذا جاء التعقيب متضمنا دلالة التعظيم للمولى عز وجل، والوعيد لكل من أنكر البعث والحساب.

كما يتغير التركيب اللغوي للتعقيب حسب المعطيات السياقية التي نستشفها من القضية القرآنية، فحتى لو تكررت بالصيغة اللغوية نفسها،

[1] الزمخشري، الكشاف، ج5، ص: 196/195

فإن بناء التعقيب يختلف تبعا لتلك المعطيات السياقية " كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ النساء 48، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ (النساء 116)" نستطيع أن نلمس سر هذا الاختلاف في أن الآية الأولى وردت في الحديث عن اليهود الذين افتروا على الله الكذب، بما ناسب أن تختم الآية بالافتراء، الذي اعتاده اليهود، وهم أهل الكتاب، أما الآية الثانية فقد وردت في حديث عن المشركين، وهم في إشراكهم لا يفترون، ولكنهم ضالون ضلالا بعيدا"[1]

- **له دور في جماليات الإيقاع الصوتي:**

مما لا شك فيه أن للقرآن الكريم إيقاعا صوتيا منفردا، حيث يلمس كل متدبر له تآلفا جميل بين كلماته وعبارته، وتوافقا بديعا بين فواصله، هذا الجمال الصوتي ترتاح الأذن لسماعه وينشرح الصدر به.

والتعقيب القرآني بوصفه المقطع الأخير من القضية القرآنية، فإنه يسهم في الإيقاع الصوتي لها، حيث " تمثل التعقيبات التي ترد في خواتم الآيات أو في أعقاب القصص القرآني سمة بارزة من سمات الأسلوب القرآني، ووجها فائقا من أوجه بلاغته، وذلك لأنها تجمع بين وظائف معنوية لكونها تزيد معاني الآيات بيانا وإيضاحا، ووظائف جمالية لكونها تمهد للتناسب الإيقاعي في رؤوس الآيات وفي فواصلها" [2].

[1] الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنارة، جدة، ط1، 1991، ص: 45

[2] أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، ص:91

ومن جماليات هذا الإيقاع القرآني أنك" ترى في خواتيم الآيات من التنوع ما يبهر العقول، فترى الخاتمة من الآية هي عينها في آية أخرى، ثم ترى آيات متشابهة اللفظ وفاصلتها مختلفة، وترى فواصل متفقة الجرس وأخرى مختلفة هذا في غاية البلاغة والبيان"[1]. مما يعني أن للتعقيب القرآني دور في التناسب المعنوي بين آيات السورة الواحدة، كما له دور في التناسق الصوتي الجميل لها.

2. أنواع التعقيب القرآني:

من السمات التي تميز بها التعقيب القرآني التكرار سواء في السورة الواحدة، أو في سور متعددة، وهنا تجدر الإشارة إلى المبحث الذي تضمنه كتاب أسلوب التعقيب في القرآن الكريم لمحمد كريم الكواز، والذي تناول علاقة التعقيب بالسورة بالتفصيل، حيث صنف فيه السور القرآنية إلى ثلاثة أنواع تبعا لنظام التعقيب فيها، وهي: 1.السور ذات التعقيب المتكرر: وهي التي يتكرر فيها تعقيب واحد بتركيب يلازمها2. السور ذات التعقيب الغالب: وهي التي يتكرر فيها تعقيب معين لكن بصفة غالبة مقارنة مع باقي تعقيبات السورة، 3. السور ذات التعقيب المتنوع: وهي السور التي لا يلزم فيها التعقيب تركيبا واحد، و إنما يأتي بصورة متنوعة"[2]

إن التقسيم الذي جاء به محمد كريم الكواز يُرَكِّز على السورة ونظام التعقيب فيها، لكن نود التركيز على التعقيب من حيث ظاهرة تكراره، لإبراز

[1] أبو بكر محمد فوزي البخيت، خصائص الأسلوب القرآني، جامعة الملك السعود، ط1، 1436هـ، ص: 167

[2] ينظر، محمد كريم الكواز، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، من ص:29إلى ص: 74

هذه السمة فيه. ووفق معيار التكرار من عدمه تم تصنيف التعقيب إلى ثلاثة أنواع وهي:

- **التعقيب المتكرر:**

جاء هذا النّوع من التعقيب على نمطين: الأول: تكرار التعقيب نفسه في سور مختلفة بصفة كلية، أي يتكرر التعقيب بالتركيب نفسه في سياقات مختلفة، ومن جماليات هذا التكرار تعدد المقاصد والتعقيب واحد مرن، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الذي تكرر ثلاثة عشر مرة في القرآن الكريم: الآيتين 44 و 76 من سورة البقرة، الآية 65 آل عمران، الآية 32 الأنعام، والآية 169 سورة الأعراف، والآية 16 يونس، والآية 51 سورة هود وهو تعقيب ليس صادر من الله تعالى، والآية 109 سورة يوسف، والآيتين: 10 و67 من سورة الأنبياء، والآية 80 من المؤمنون، والآية 60 من سورة القصص، والآية 138 من الصافات.

ومن التعقيب الذي يتكرر بصفة جزئية، أي يتكرر جزء من التعقيب فقط، قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام 55). وقوله تعالى:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف 32). وجاء أيضا في السورة نفسها:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف 174). ويقول تعالى:﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا

فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس 24)، ويقول تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم 28).

ثانيا: التعقيب المتكرر في السورة الواحدة بتركيب لغوي يلزمها (كامل السورة)، ومن أمثلته التعقيب المتكرر في سورة الرحمن، قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الذي تكرر إحدى وثلاثين عقب كل قضية من قضايا السورة، والتي ارتكزت على موضوع واحد: نعم الله الجليلة المستوجبة لتوحيد الله وشكره، وسورة الشعراء أيضا تضمنت تعقيبا متكرر، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ والذي تكرر ثمانية مواضع من السورة، كما عرفت سورة المرسلات تعقيبا متكررا، وهو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذي تكرر عشر مرات.

- **التعقيب الغالب:**

هو التعقيب المتكرر بصفة غالبة مقارنة مع باقي تعقيبات السورة، مثل التعقيب الذي جاء في سورة الصافات، يقول تعالى :﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الذي تكرر خمس مرات، في سياقات قصصية، التعقيب الأول جاء بعد قصة سيدنا نوح عليه السلام، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات

75/ 81). والتعقيب الثاني جاء بعد قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، يقول تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ (الصافات 106/104).

والتعقيب الثالث بعد قصة موسى وهارون عليهما السلام، يقول تعالى:﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ١١٥ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٦ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١١٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْأَٰخِرِينَ ١١٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصافات 122/114). والتعقيب الرابع في قوله تعالى:(إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٢٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأَٰخِرِينَ ١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصافات 132/128).

- **التعقيب المتنوع:**

هذا النوع من التعقيب لم يلزم تركيبا واحدا في السورة، بل جاء بأنماط تعبيرية مختلفة مثل قوله تعالى:(الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة 7/1)، هذه الآيات الكريمة ختمت بتعقيبين مختلفين، كل تعقيب يناسب القضية المعقب عليها، وهذا النوع من التعقيب أكثر انتشارا في الخطاب القرآني، فغالبا ما تشتمل السورة على قضايا مختلفة تقتضي اختلاف التعقيبات.

في ختام هذا الفصل يمكن القول: التعقيب القرآني من المصطلحات الحديثة التي تعرضت لها دراسات محدودة، لهذا فهو دراسة تستحق البحث والكشف عن أبعاد مختلفة لها: لغوية وبلاغية وأسلوبية وتداولية، هذه الأخيرة التي هي مناط بحثنا. وقد توصل الفصل إلى تعريف التعقيب الذي يقصد به: نمط تعبيري يشكل سمة أسلوبية متكررة بكثرة في القرآن الكريم، وهو تجسيد للحكم الإلهي عن قضية من القضايا المطروحة في السورة، يأتي في ختامها، وينسجم معها أتم الانسجام دلالة وإيقاعا، يكتسب من تعدد تلك القضايا سمة التعدد، لهذا تتنوعت البنى اللغوية المشكلة، كما اتسم بجملة من الخصائص أكسبته الفرادة والتميز عن باقي المصطلحات القريبة منه كالتذييل، إضافة إلى أنه جاء على ثلاثة أنواع تبعا لمعيار تكراره.

الفصل الثّالث:

دور السّياق في الوصول إلى مقاصد التّعقيب القرآني

توطئة:

إذا كان التعقيب القرآني متنوعَ البنى اللغوية تبعا للسياق الذي يرد فيه، فإنَّ معرفة خلفيات هذا السياق والإحاطة بمعطياته، تُعين محلل الخطاب في فهم مقاصد التعقيب. هذا ما يكشف عن بعد تداولي يحتاج للشرح والتفصيل.

- **المبحث الأول: السياق في الدرس التداولي:**

1. السياق لغة:

ترجع كلمة السياق إلى الجذر اللغوي (س و ق)، جاء في لسان العرب: " انساقت الإبل تساوقا إذا تتابعت. وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة. وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق أي ما تتابع. والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، وساق إليها الصّداق والمهر سياقا وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما، وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها، والسياق: المهر. ويقال فلان في السياق أي في النزاع"[1] وجاء في أساس البلاغة: " تساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرْده"[2].

انطلاقا من هذه التحديدات المعجمية، يتضحُ أنَّ كلمةَ سياق في اللغة تحيل على التتابع والانتظام في نسق واحد بغية الوصول إلى غاية محددة.

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص: 435

[2] الزمخشري، أساس البلاغة ج1، ص: 484

2. فاعلية السياق في الدرس التداولي:

كان السياق الخارجي مقصيا مستبعدا في الدراسات البنيوية المكتفية بالبنية الداخلية للنصوص، هذا الانغلاق البنيوي أوقع محللي الخطاب في حرج إزاء بعض الخطابات التي تستدعي معرفة السياق الخارجي، لاسيما الخطابات التلميحية التي لا تبوح بنيتها الحرفية بالمقاصد الحقيقية المستترة تحت غطاء الظاهر اللغوي.

ومن هنا كان لزاما العودة للسياق، ومن الدراسات التي عنيت بالسياق التداولية التي تهتم" بدراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام language in use ، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية، هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم "[1]، فالدلالة المعجمية تتسم بالتعدد، والدلالة السياقية تكون محددة تخص سياقا معينا.

لهذا يقوم الدرس التداولي على" تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق في ما يقال، كما يتطلب أيضا التمعن في الآلية التي ينظم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله وفقا لهوية الذي يتكلمون إليه، وأين ومتى وتحت أية ظروف، التداولية هي دراسة المعنى السياقي"[2]، بعبارة أخرى: دراسة اللغة المستعملة في سياق بعينه.

---

[1] بهاء الدين محمد يزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، دار شمس للنشر، القاهرة، ط1، 2010، ص: 19

[2] جورج يول، التداولية، ص: 19

ويُعَرِّفُ عبد الهادي بن ظافر الشهري السياقَ بقوله: "الجو الخارجي الذي يلف إنتاج الخطاب، من ظروف وملابسات، ويعد العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق، ويمثله طرفا الخطاب: المرسل والمرسل إليه، وما بينهما من علاقة، بالإضافة إلى مكان التلفظ وزمانه، وما فيه من شخوص وأشياء، وما يحيط بهما من عوامل حياتية: اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافية، وأثر التبادل الخطابي في أطراف الخطاب الأخرى"[1]

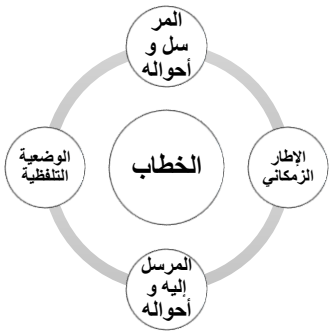

كما يمكن تصنيف السياق إلى نوعين: السياق الداخلي الذي يخص السوابق واللواحق المحيطة بالمقطع النصي المراد فهمه، والسياق الخارجي المقامي كالسياق الثقافي أو السياق النفسي. ويتضمن هذا السياق الخارجي" كل ما هو خارج لساني، والذي يمكنه أن يشغل جزءا من الوضعية التلفظية، فهو يضم عناصر الإطار الزمكاني للتلفظ، وطبيعة المتحاورين وجنسهم، إلى جانب لحظة التلفظ، هذه المكونات الخارجية هي الكفيلة بأن تنقل المتخاطبين من التعامل مع المستوى اللغوي إلى التأويل التداولي"[2]، من أجل الوصول إلى مقاصد الخطاب" فالمقال والمقام هما بمثابة قطبين

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص: 45

[2] إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص:10

يكتنفان المعنى بحيث لا يتضح إلا في ضوء الاستئناس بقرائنهما"[1] هما وجهان لعملة واحدة، يتم استثمارها في إضاءة مغاليق الخطاب وفهم مجاهيله.

إذًا العلاقة بين الخطاب والسياق علاقة وطيدة تتجاوز الفهم السطحي، لتصل إلى فهم عميق لمدى تفاعل الخطاب مع سياقه؛ لأن بعض الخطابات المفصولة عن سياقاتها يتعذر فهمها، وينجم عن هذا الفصل فهم مغلوط لها. ونشير في هذا الشأن إلى أن علاقة الخطاب بالسياق تفاعلية، " فلا يستبعد حالات يسهم فيها الخطاب نفسه في تعيين سياقه وتعديله بين حين وحين، ويدخل في زمرته فضلا عن المعطيات المادية والفيزيائية التي تمثل إطاره الخارجي ويعبر عنها بالسياق المقامي معطيات أخرى تساعد على تأويله ويصطلح عليها بالسياق المقالي، وتتمثل في المقاطع اللغوية الكبرى التي تتنزل في حيزها الوحدة المقصودة بالتأويل، بحيث يكون لتلك الوحدة كلام سابق وآخر يعين على فهمها"[2]. وبهذا يتم استثمار معطيات السياق المقالية والمقامية في فهم الخطابات.

إن مفهوم السياق لصيق بالتداولية، وعنصر جوهري من عناصرها البحثية؛ إذ" يقع السياق في قلب التداولية بينما يقع المعنى في قلب الدلالة والتداولية معا، في الوقت الذي ركزت فيه الدلالة عن بحث المعنى مستقلا عن السياق، المعنى الحرفي أو ما يقال تتخطى التداولية هذا الحد وتركز

[1] إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص:10.

[2] حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، ص: 20

على تحليل ما يقصد من التفوه والمعنى الذي قصده المتكلم"[1]. لترسم التداولية بهذا التحديد مجال دراستها؛ حيث ينصب اهتمامها على الدلالات السياقية للغة المستعملة في التخاطب، ولا تعنى بالحدود المعجمية ولا النحوية ولا التركيبة، أي مستويات التحليل البنيوي المنغلق، " فهي علم يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال"[2].

ومن المهم هنا التذكير، بأن ""التداولية ليست علْما لغويا محضا ينحصر اهتمام الباحثين فيه بالانشغال بالتراكيب اللغوية، أو التركيز على الجوانب الدلالية فحسب، بل هي تهتم بدراسة التواصل اللغوي داخل الخطابات، والبحث في طبيعة العلاقة بين الأحوال الخطابية والأفعال الاجتماعية، ومن ثم التعامل مع الخطاب الإبداعي بوصفه تعبيرا عن تواصل معرفي اجتماعي في سياق ثقافي "[3] .

والتداولية بهذا الوصف ترتكز على السياق في تشكيل الخطاب وتأويله، " فتأويل الخطاب لا يكون إلا إذا جعلناه بسبيل من سياقه، وجاوزنا الفهم البسيط الذي يعتبر السياق مجرد إطار يحتوي الخطاب ويضاف إليه أو يحصره في إطاريه المكاني والزماني، إلى تصور أعمق يقيم تفاعلا بين الخطاب وسياقه" [4]، إذاً علاقة السياق بالخطاب في الدرس التداولي ليست شكلية، يبوح فيها الخطاب بمكنوناته بمجرد تحليل سطحي لأركان السياق،

---

[1] مجيد الماشطة وأمجد الركابي، مسرد التداولية، ص: 142

[2] عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010، ص:34

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، ص: 20

بل هي تبحث عن دلالة الخطاب في تفاعله مع سياق محدد.

ولأن " قرينة السياق تمتد على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة من حيث مبانيها وعلاقاتها النحوية وتشتمل هذه القرينة على العناصر غير اللغوية مثل ظروف المتكلم والمخاطب، وعلى القرينة الاجتماعية من تقاليد وعادات "[1]، فإنها تعين محلل الخطاب على فهم الخلفيات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي صاحبت نشأة الخطاب، والتي لها الأثر الكبير في تكوينه، وفي بلورة مقاصده.

ويرى بول ريكور (poul ricour)، بأن "الوظيفة السياقية للخطاب تتمثل في حجب تعدد المعاني في الكلمات وتقليص الاستقطاب في أقل عدد مكن من التأويلات" [2]، لأن الخطاب يتشكل في سياق محدد، وعلى أساسه ينتقي المتكلم إستراتيجياته لايصال مقاصده، وبهذا تصبح العودة إليه في التأويل أمر ضروري؛ إذ يعد" مسألة ضرورية وحاسمة في مجال اللغة، حيث تسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، ويمكننا من تحديد ودراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي، في استعمال اللغة وأي استغناء عن السياق سيجعل قناة التواصل متوترة، فغالبا ما يخدع المعنى الحرفي للملفوظات في غياب القيمة التلفظية"[3] ونجد هذا في

[1] أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015، ص:1

[2] بول ريكور، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006، ص:45

[3] علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2000، ص:62

الخطابات التي تترك التصريح وتقوم على التلميح لمسوغات سياقية، كالتأدب أو الخوف من جرح مشاعر المتلقي، أو الخوف من سلطة ما...إلخ

إجمالا، للسياق دور جوهري في الدرس التداولي، لا يُستغني عنه في تحليل الخطاب، لأهميته القصوى في تأويله وترجيح الدلالات والوصول إلى مقاصد المتكلم، واستبعاد التأويلات المغلوطة المكتفية بالبنية الحرفية للنص فقط.

3. تجليات مفهوم السياق في التراث اللساني العربي:

تجلَّى مفهوم السياق في تراثنا اللساني العربي في علوم عديدة، وقبل الوقوف على أهمها تجدر الإشارة إلى أن دراسة اللغة في التراث " تتم على مستويين: 1. المستوى التجريدي: الذي ينظر في القوانين والقواعد التي تصل عضويا أجزاء ومكونات الخطاب 2. المستوى الوظيفي التبليغي – لنقل التداولي– الذي تتحكم فيه معطيات السياق والمقام، وهو المستوى الذي تخضع له حيثيات الدلالة"[1]، هذا المستوى الوظيفي هو المجال الذي يسمح لنا بالبحث عن إرهاصات تراثية لمفهوم السياق.

ولعل علم البلاغة أكثر العلوم العربية تجليا لهذا المفهوم؛ فتعريفها يحيل على بعد سياقي، فهي تعرف بأنها " مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[2]؛ يعني تشكيل الكلام وفق ما يقتضيه السياق، فالبلاغة" لابد فيها من ذوق

[1] مؤيد آل صونيت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مكتبة الحضارات، بيروت، ط1، 2010، ص:102

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 ، 2000 ص: 29

وذكاء، بحيث يدرك المتكلم متى يتكلم، ومتى ينتهي، وما هي القوالب التي تصب فيها المعاني التي رتبها في نفسه "[1] . وهذا بعد تداولي لأنه يركز على الجانب التواصلي للغة، واستعمالها في سياق معين. ويرى " ليتش (Leitch) أن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإن البلاغة والتداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي "[2]

وعليه تشترك البلاغة مع التداولية في الاهتمام بتواصلية اللغة، فالتواصل بين المُتخاطِبين يتم في سياق مشترك، يُتيحُ لهم التفاعلَ والتعبير عن أفكارهم. " فالبلغاء في إطار شكلية البلاغة فطنوا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها في جملتها يمكن تحليلها بحصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها مقاما، فمقام الفخر غير مقام المدح وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التمني أو الهجاء وهلم جرا"[3]. من هنا يظهر اهتمام البلاغة العربية بالمقام (السياق من منظور تداولي)، ولعل المقولة الشهيرة: لكل مقال مقام، خير دليل على ذلك، فاختلاف المقام يقتضي ضرورة اختلاف الأنماط التعبيرية التي تبلغ المعنى المقصود.

[1] محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، الانتشار العربي، ط1، 2006، ص:17

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 89

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، دط، 1994، ص: 337

وعن تغير الأنماط القولية تبعا لتغير مقامات الخطاب(الدواعي السياقية)، يقول السكاكي: " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الملام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[1]. ويَتَبَيَّن من خلال هذا الطرح، أن أحوال المُخاطَب تفرض على المتكلم تشكيل خطابه على نمط يتوافق معهما، وهذا ما يقابل تداوليا أثر السياق في اختيار الاستراتيجيات التخاطبية.

كما توجد إشارات في تعريف علم المعاني لأهمية المقام في تشكيل الخطاب، جاء في مفتاح العلوم للسكاكي :" اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[2]. يكشف هذا التحديد عن جوانب سياقية: تركيب الكلام مقترن بالإفادة بهدف إيصال المعنى إلى المتلقي في أحسن صورة بمراعاة حيثيات المقام، وهذا ما نجده مبثوثا في مباحث تداولية كمفهوم السياق ودوره في تشكيل الخطاب، كما أن الاهتمام بطرق إيصال المعنى وتحصيل الإفادة

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 256

[2] المرجع نفسه، ص: 247.

نجده في الدراسات التداولية التي تبحث في إستراتجيات الخطاب؛ أي تشكيل الخطاب على نمط معين يراعي مقتضى الحال مع الحرص على نجاح التواصل باختيار الأساليب التي تضمن الاستحسان وتُجنب المتكلم الخطأ في إصابة المراد.

ويعد مفهوم القول المضمر من المفاهيم التداولية التي تجلَّت في التراث العربي بمسميات مغايرة، يعتمد تأويله على السياق لا البنية الحرفية للخطاب. فعبدُ القاهر الجرجاني(400هـ- 471هـ) أشار إليه في فصل من كتابه دلائل الإعجاز بعنوان(في اللفظ الذي يطلق ويراد به غير ظاهره)، وفيه إشارةٌ إلى التلميح بوصفه إستراتيجية تخاطبية، من خلال تفريقه بين المعنى ومعنى المعنى فيقول: " هي أن تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"[1]، وإدراك معنى المعنى لا يكون من خلال البنية الحرفية للخطاب ، بل انطلاقا من معطيات السياق، هذا ما يقابل تداوليا دور السياق في الكشف عن المقاصد المضمرة.

كما يكشف تعريفه للكناية عن إشارة ضمنية إلى فاعلية السياق في الوصول إلى المعنى المقصود، بوصفها آلية من آليات التلميح، وقد عرّفها بقوله: " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعل: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004، ص: 263.

الموضوع له في اللغة، ولكن يومئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه"[1].

وبشيء من التفصيل يعرف السكاكي (555هـ-626هـ) الكناية تعريفا يكشف عن دورها في التلميح وعن آلية الاستدلال (آلية سياقية) التي بفضلها يتوصل المتكلم للمعاني المضمرة، فيقول عن الكناية" هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما يقول: فلان طويل النجاد. لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة، وكما تقول: فلانة نؤوم الضحى، لينتقل منه إلى ماهو ملزومه، وهو كونها مخدومة، غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه، وتحصيل ما تحتاج إليه في تهيئة المتناولات أو تدبير إصلاحها، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك"[2]

فهمُ الكناية انطلاقا من طرح السكاكي يرتكزُ على السياق بمختلف معطياته، فتأويل هذه الكنايات لا يرتكز على النية الحرفية للخطاب، إنَّما بالعودة للسياق، فنؤوم الضحى يرتبط بسياق ثقافي تختصُ به البيئة العربية كما ذكر السكاكي، بمعنى أن فهم الكناية يعتمد على السياق الثقافي المشترك بين المُتخاطِبين.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص86

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 512.

ومن العلوم التي تضمنت أيضا أبعادا تداولية ترتكز على مفهوم السياق، علم النحو الذي " نشأ وهو على صلة وثيقة بالمعاني، فكانت للنحاة الأوائل عنايتهم القائمة بدراسة الكلام العربي، والوقوف على أساليب التعبير به، والبحث فيما يعرض لها من تعريف وتنكير، وتقديم وتأخير، وإضمار وإظهار وفق ما تقتضيه معاني الكلام وطرق القول ومناسباته"[1] فالتركيبُ النحوي يراعي المخاطَب ومقامات الخطاب؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر لا يوظف المتكلم أسلوبي الإغراء والتحذير دون وجود مسوغات سياقية تستدعي ذلك؛ لأن سياق الإغراء غير سياق التحذير.

كما أولى الأصوليون عناية بالغة بالسياق، وجعلوه شرطا من أجل فهم النص القرآني واستنباط أحكامه؛ إذ " يحتم الأصوليون على من يتصدى لاستخراج الأحكام في القرآن أمور لا ينبغي أن يغفل عنها وهي في الواقع مقام للفهم، مثلا: ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه. وألا يغفل عن السنة في تفسيره، وأن يعرف أسباب نزول الآيات، وأن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب"[2] .

هذه الشروط مقترنة كل الاقتران بالسياق بنوعيه الداخلي (النصي) والخارجي، " إذ يرى التداوليون أن نجاح عملية التواصل تقتضي معرفة المُخاطَب وتعينه، فهو يمثل الساند الثالث لاكتمال الوظيفة التواصلية لخطاب ما، وتكمن الفعالية القرآنية للمفسر في الكشف عن المخاطب، لذا ينبغي النظر في قرائن السياق اللغوي وملابسات الموقف الكلامي، وجميع

[1] إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة العراق، د ط، دت، ص:25

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، دط، 1994، ص: 348

الأبعاد التداولية المساعدة في قراءة الخطاب "[1]. وهنا يشترك التحليل الأصولي مع التحليل التداولي في ضرورة إعمال السياق في قراءة النصوص وفهم الخطابات.

ومن المباحث الأصولية التي تضمنت أبعادا تداولية، مفهوم المخالفة الذي يأتي مقترنا بمفهوم الموافقة، أي" المعنى اللازم من اللفظ المركب، إما أن يكون موافقا لمدلول ذلك المركب في الحكم أو مخالفا له " [2]. والبعد التداولي هنا هو المعنى السياقي المعنى المضمر في ظاهر الخطاب " وهذا المفهوم تارة يكون أولى بالحكم من المنطوق، كدلالة تحريم التأفيف من قوله تعالى ﴿فلا تقل لهما أف﴾ الإسراء 33 على تحريم الضرب وسائر أنواع الأذى، فإن الضرب أكثر أذى من التأفيف"[3]. ما يعني أن المخالفة بوصفها مفهوم أصولي يعد معنى مضمرا بالمفهوم التداولي، والذي لا يفهم إلا بالاتكاء على السياق.

إجمالا يمكن القول: بأن لمفهوم السياق تجليات في علوم شتى، وكانت البلاغة أكثر العلوم تجليا لهذا المفهوم، في العديد من مباحثها من أبرزها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولكل مقال مقام، كما تجلى مفهوم السياق في العديد من المباحث النحوية التي راعت أحوال المُخاطَب على سبيل المثال، أسلوبي الإغراء والتحذير ، كما تجلى مفهوم السياق في البحث

[1] مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص:91

[2] الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تح: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1992، ج1، ص: 7

[3] المرجع نفسه، ص: 8

الأصولي، من خلال إعمالها لكل العوامل الخطابية خارج النص كأسباب النزول في تحليل الخطاب القرآني واستنباط أحكامه. ومما سبق تتبين الأهمية الكبرى للسياق في الدرس اللساني التراثي.

4. السياق والخطاب القرآني:

لقد أكد الكثير من الباحثين والمفسرين على ضرورة إعمال السياق في عملية التفسير أو تحليل الخطاب القرآني، لأهميته البالغة، " فالسياق يُرشد على تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظراته، فانظر إلى قولهﷻ: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ (الدخان 49) كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير" [1]. ولو جردنا هذه الآية الكريمة من سياقها النصي والخارجي، لابتعدنا عن مقاصدها الشريفة.

ومن المعينات السياقية التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار، أسباب النزول و" يعرف سبب النزول بما يلي: هو ما أنزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال" [2]، ويقصد بالحادثة " أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها، وذلك كالذي روى عن ابن عباس قال: انذر عشيرتك الأقربين، خرج النبي عليه السلام حتى صعد الصفا، وهتف: واصباحاه، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل

[1] ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ص: 1314

[2] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص: 74

أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك، إنما جمعتنا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة، تبت يدا أبي لهب" [1]. إن معرفة سبب نزول هذه السورة حتما يساعد في معرفة فحوى الخطاب والمخاطب، والوصول إلى المقاصد وتجنب التأويلات الخاطئة.

أما عن أسباب النزول والتي تكون على شكل سؤال، فهي " أن يسأل رسول الله عن شيء، فيتنزل القرآن الحكم فيه، كالذي كان من خولة بنت ثعلبة عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فذهبت تشتكي من ذلك على الرسول، فنزل قوله تعالى: قد سمع الله قول التي تجادلك [2]، إن معرفة أسباب النزول في سورة المجادلة على سبيل المثال، يساعد محلل الخطاب في فهم الأحكام التي جاءت بها هذه السورة.

وسواء أكان سبب النزول حادثة أم سؤالا، فإنه يقدم معطيات سياقية يستنير بها من يروم فهم الخطاب القرآني، والبحث في أسباب النزول علم شريف لا غنى للمفسر عنه. وفي هذا الشأن يقول السيوطي (849هـ-911هـ): " زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن، لجريانه مجرى التاريخ، وأخطأ في ذلك، بل له فوائد منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ومنها: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب ومنها: أن اللفظ قد يكون عاما، ويقوم الدليل على تخصصه، ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية

[1] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص: 73

[2] المرجع نفسه، ص: 74

دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[1]. هذا ما يؤكد اعتناء علمائنا بالبعد السياقي للخطاب القرآني، فأسباب النزول هي بمثابة معطيات مقامية خارج النص، تساعد في الوصول إلى مقاصده والابتعاد عن التأويلات الخاطئة التي لا تتوافق مع تلك المعطيات.

ومن الأمثلة التي نستدل بها على فاعلية معرفة أسباب النزول في فهم الخطاب القرآني، سورة عبس التي جاء في سبب نزولها ما ذكره صاحب الكشاف " أتى رسول الله عليه السلام ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة، يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال: يا رسول الله: أقرئني وعلمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله عليه السلام قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه، فنزلت فكان رسول الله يكرمه ويقول إذا رآه: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي" [2]

إن معرفة أسباب النزول تعد إضاءة سياقية تساعد المتلقي على فهم الخطاب في هذه السورة، فيعرف المتلقي قصة هذا الرجل الأعمى وحواره مع الرسول عليه السلام، هذا ما يسهل فهم السورة، والوصول إلى مقاصدها، كما أن معرفة مكية السورة يعد خلفية سياقية تساعد في فهم

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص:108

[2] الزمخشري، الكشاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ص:313.

الخطاب، ومعلوم أن خطاب القرآن لكفار مكة يختلف عن الخطاب المدني لاختلاف المُخاطَبين. لهذا فإن" أصحاب المدونات التفسيرية كانوا على وعي تام بأن فهم الخطاب لا يتم باستحضار المستويات اللغوية الشكلية؛ فالأصوات والصرف والتركيب لا تفيد المعنى بالضرورة، بل لابد من استحضار السياق اللغوي والمقام– السياق غير اللغوي– أي أسباب النزول وملابسات النزول باعتبارها عوامل أساسية من عوامل تحديد المعنى"[1] تحديدا دقيقا بعيدا عن التخمين والعشوائية والذاتية .

كما تعد معرفة المكي والمدني من المعينات السياقية التي تعين على فهم الخطاب القرآني، و" من فوائد هذه المعرفة: "معرفة الناسخ والمنسوخ على وجه يحدد لنا الحكم الباقي الواجب إتباعه ونستفيد من معرفتنا للمكي والمدني من القرآن في فهم الآية وتفسيرها على وجه أفضل وأكمل"[2]. وهي فوائد لا ينبغي تجاهلها في تعاملنا مع الخطاب القرآني.

تأسيسا على ما سبق، يمكن القول إن السياق يحتل مكانة مهمة في علوم القرآن تتجلى في" علم معرفة أسباب النزول وعلم معرفة المكي والمدني، بالأول يتمكن المتلقي من معرفة العلاقة بين جزء محدد من النص (آية أو أكثر) والواقع الخارجي الذي هو سبب نزول النص، وبالتالي يتمكن المتلقي من استيعاب السياق التاريخي والاجتماعي الذي به اختلف

[1] لطفي فكري محمد الجودى، جمالية الخطاب في النص الفرآني، ص: 97

[2] محمد بن لطفي الصباع، لمحات في علوم القرآن الكريم واتجاهات التفسير، ص: 149

الخطاب المكي عن المدني"[1]، وتجاهل هذا البعد السياقي يؤثر حتما في توجيه دلالات الخطاب.

كما يعد الرجوع للسنة الشريفة من المعينات السياقية التي تساعد على فهم الخطاب القرآني، ونستدل بهذا الحديث للنبي ﷺ " جاورت بحراء شهرا، فلما قضيت جواري، نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدا، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء- يعني جبريل- فأخذتني رجفة شديدة، فأتتيت خديجة فقلت: دثروني، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ المدثر 3/1"[2] فمن خلال هذا الحديث الشريف للنبي ﷺ يتضح المُخاطَب في هذه الآيات الكريمة، كما يتبين لنا فحوى الخطاب وسببه.

صفوة القول: للسياق دور بارز في فهم الخطاب القرآني والوصول إلى مقاصده، لما يقدمه من معينات من قبيل تخصيص العام، أو الإجابة عن سؤال، أو الحديث عن حادثة جاء ذكرها في القرآن الكريم، وسواء كان السياق داخليا كتفسير القرآن بالقرآن، أو كان سياقا خارجيا كأسباب النزول، أو فهم المكي والمدني، أو الاستعانة بالسنة الشريفة، فهو يشكل إضاءة تفيد محلل الخطاب القرآني في فهمه ومن ثم الوصول إلى مقاصده الجليلة.

---

[1] محمد عبد الباسط عبد، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، ص: 24

[2] أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ج 9، ص: 60

- **المبحث الثاني: في مقاصد الخطاب القرآني:**

1. المقاصد لغة:

يعود الجذر اللغوي لكلمة مقاصد إلى الفعل (قَصَدَ)، وهي جمع مقصد، جاء في أساس البلاغة: " قصدته وقصد له، قصدت إليه ودليل قصدي ومقصدي، (وأخذت قصد) وتنجزت منه أغراضي ومقاصدي، ورماه فأقصده وتقصده قتله مكانه"[1]. وجاء في اللسان في مادة (قصد): "القصد، استقامة الطريق، قصد يقصد قصدا، فهو قاصد وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة وطريق قاصد"[2]. وجاء أيضا في مادة (قصد) في المعجم الوسيط: " قصد الطريق، قصد: استقام والشاعر: أنشأ القصائد له وإليه، يوجه إليه عامدا ويقال: قصده و في الحكم عدل ويميل بناحية القصد يقال: هو على القصد، وعلى قصد السبيل[...] استقامة الطريق، يقال طريق قصد: سهل مستقيم، والرجل ليس بالجسيم ولا بالنحيف المقتصد: يقال إليه مقصدي وجهي" [3]

بناءً على ما سبق ذكره من تعريفات معجمية يمكن القول: بأن المقاصد تعني الأغراض والرغبة والإرادة (الاختيار الواعي)، وفي هذا السياق نذكر تعريف ابن فارس(329هـ- 395هـ) " المعنى هو القصد

[1] الزمخشري، أساس البلاغة ج 2، ص: 80

[2] ابن منظور، لسان العرب ج6، ص: 443

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص: 738

والمراد. يقال: عنيت بالكلام كذا أي: قصدت وعمدت"[1]، وهو تعريف يربط المقاصد بالوضوح والتحديد، فهي رغبات وأغراض واضحة لدى صاحبها.

2. المقاصد في التراث اللساني العربي:

شاع مصطلح المقاصد في التراث العربي مقترنا بعلم جليل يختص بالقرآن الكريم، علم المقاصد وهو" علم أصيل وضعه الأصوليون والمفسرون، لمعرفة مقاصد الخطاب الشرعي، المستنبطة من معناه الحقيقي والمجازي والسياقي بالقرائن التي تثبته، والمقاصد جمع مقصد، والقصد هنا الذي يستنتجه المفسر من الخطاب، في ضوء سياقه اللغوي والمقامي، فهدفه: الغرض التواصلي من الخطاب"[2] ما يعني أن مصطلح المقاصد ليس بغريب عن التراث العربي، فهو علم قائم بذاته يختص بدراسة الخطاب الشرعي مستعينا بالسياق، هذا ما يؤكد البعد التداولي لهذا العلم الشريف الذي يروم البحث عن مقاصد الخطاب القرآني.

أما عن مفهوم المقاصد في التراث، فلم" يهتم القدامى، أصوليون، وغير أصوليين بتعريف المقاصد بقدر ما اهتموا بها بحثا واستنباطا وتطبيقا، ثم في وقت متأخر إظهارا وتأصيلا، وتنظيرا، ولذلك فليس من المتيسر العثور عندهم على تعريف يحدد ماهيتها، فهذا العلامة الشاطبي الذي اقترن اسمه بالمقاصد وقَصَر أوقات حياته على بناء صرحها. لا

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق ووضع حواشيه أحمد حسين بسج منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، دت، ص: 144.

[2] عكاشة محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ص: 63/62

نجد له تعريفا لها على الرغم من كثرة ما أبدأ فيها وأعاد، وفَتقَ فيها من جواهر الكلام"[1].

ومن إرهاصات المقاصد بمعناها التداولي ما ذكره الجاحظ (159هـ-255هـ) في كتابه (البيان والتبيين) " والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2]. نستشف من كلام الجاحظ أن الغاية من التواصل هو الفهم والإفهام، أي تبليغ المقاصد من طرف المتكلم، وفهمها من طرف المتلقي، وبهذا تبرز مركزية المقاصد في التخاطب.

وليس ببعيد عن كلام الجاحظ ، نجد تعريف ابن جني(322هـ-392هـ) للغة يكشف عن بعد تداولي يخص المقاصد، بقوله:" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3]. وهنا المقاصد هي أغراض المتكلم، وهي الغاية من التواصل .

مما سبق تقديمه، يمكن القول أن المقاصد لها تجليات -مفهوما ومصطلحا- قريبة من معناها التداولي، فقد برز مصطلح علم المقاصد

---

2 يحيا رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي الإستراتيجية والإجراء، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2007، ص 161.

[2] الجاحظ، البيان والتبين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج 1، ص: 86

[3] ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، دط، دت، ص:34

المقترن بالخطاب القرآني دراسة واستنباطا لأحكامه ومراميه الشريفة، مرتبطا بالسياق سواء المقالي أو المقامي، كما أن مفهوم المقاصد في بعده التداولي وجدناه مبثوثا في الكثير من ثنايا الخطاب التراثي العربي، كتحديد الجاحظ لمفهوم البيان، وتعريف ابن جني للغة.

3. المقاصد في الدرس التداولي:

يرى جورج يول في تحديده لمفهوم التداولية ومجال تخصصها بأنها" تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم ويفسره السامع أو القارئ؛ لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات منفصلة. التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم"[1]. هذا ما يبين الارتباط الوثيق للتداولية بالمقاصد؛ إذ تهتم التداولية بدراسة المعاني التي يقصدها المتكلم" فالتلفظ بالخطاب ليس عملية تصويت فحسب فلا يمكن الحكم بوجود التلفظ إلا بتوفر قصد المرسل وذلك بتجاوز مجرد النطق بأصوات فقط "[2].

إن المقاصد جوهر العملية التواصلية والغاية منها، و" يرتكز دورها، بوجه عام على بلورة المعنى كما هو عند المرسل، إذ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وانتخاب الإستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية، وتكمن وظيفة اللغة هنا في تحقيق التفاعل بين طرفي

[1] جورج يول، التداولية، ص: 19

[2] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، دت، ص: 119.

الخطاب، بما يناسب السياق بمجمله، فتتضح المقاصد بمعرفة عناصره"[1] أي للسياق دور في تكوين المقاصد عند المتكلم الذي ينتقي الإستراتيجية المناسبة لإيصالها، " فقد جعلت اللغة ترجمانا عما في الضمائر من تلك المقاصد فهي في المتعارف عبارة المتكلم عن مقصوده "[2].

من هذا المنطلق تصبح المقاصد عماد العملية التواصلية،" فلا كلام إلا مع وجود القصد"[3]. وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون " اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"[4].

المقاصد تحمل معنى التوجيه والإبلاغ، فالهدف من العملية التواصلية هو الفهم والإفهام على حد تعبير الجاحظ، مع مراعاة السياق العام لهذه العملية، فيصبح الخطاب وفق هذا التصور للمقاصد" معنى قاصد/ مقصود في لباس المقام، أو في حلية الظرف التخاطبي، أو لنقل في لحاف السياق، تميزه ملامح أسلوبية و بنائية"[5] تهدف في الأخير إلى إيصال المقاصد، حيث إن" الخطاب يرتبط بمستوى الجملة، وقد يطول النص كلّه، أو مجموعة من النصوص، فمجموع قصائد الشاعر –مثلا– تحمل خطابا، ومؤلفات الكتاب كذلك. الخطاب – وفق هذا التصور– أمر ممتد من بدء تمثّل القصد عند منتج الخطاب إلى حصول الفهم والإدراك عند

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 180

[2] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 130.

[3] المرجع نفسه، ص: 103

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة ص: 753.

[5] محمد بازي، صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، ص: 26

المقصود/المقصودين به، ليحصل الشروع في بناء خطاب آخر"[1].

كما أن للمقاصد أهمية قصوى في تحديد هوية الخطاب وضمان كينونته، فقد أصبح " الخطاب –بمعنى موسع ومرن– هو مجموع المقاصد الظاهرة والخفية: المعاني الأُوّل والثواني، الرسائل المباشرة والمضمرة، المغازي،... التي يحملها النص متوجها بها إلى من هو متهيئ لفهمها"[2]. ومن هنا تتحدد المقاصد بالمعاني الظاهرة أو المضمرة.

ومما يجدر التنويه به، أن مفهوم المقاصد بمعنى التوجه (القصدية) حسب سيرلJ Searl " تلك السمة العقلية التي نتوجه أو نتعلق بموضوعات وحالات فعلية خارج ذاتها، وتماما مثلما يمكن إطلاق سهم على هدف ليخطئه، أو حتى إطلاقه مع عدم وجود هدف، كذلك يمكن توجيه الحالة القصدية نحو هدف كما يمكن إساءة توجيهها، أو الإخفاق فيها لعدم وجود موضوع هناك "[3]، أي القصدية وفق تصور سيرل هي توجه عقلي للمتكلم إزاء موضوع أو فكرة، تجعله يوجه الخطاب متعمدا، ولا تتعلق القصدية بنجاح الخطاب أو فشله.

وبشيء من التفصيل لمفهوم القصدية يرى سيرل أيضا أن " القصدية تشمل الحالات الشعورية الاعتقادات والرغبات، والمقاصد والإدراكات، وكذلك ضروب الحب والمكاره، والمخاوف والآمال، فالقصدية، إذا شئنا

[1] محمد بازي، صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، ص: 26.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ،2006، ص: 149.

التكرار، هي المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجه بها العقل نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم"[1]. وما نستشفه من هذا التحديد، أن القصدية بوصفها سمة عقلية توجه المتكلم لاختيار خطاب ما، فهي تتكون من كل الحالات الشعورية والرغبات والاعتقادات.

ويضيف سيرل معمقا مفهوم القصدية ودوافعها بقوله: " قلت إن القصدية هي تلك السمة العقلية التي يمثل بها العقل داخليا الموضوعات والحالات في العالم، غير أن عقولنا توجد أيضا في اتصال سببي دائم مع العالم، حين نرى الأشياء، تسبب الموضوعات، وحين نتذكر الأحداث التي جرت في ماضينا، فإن تلك الأحداث الماضية هي سبب ذكرياتنا الحاضرة، وحين ننوي القيام بحركات جسدية، فإن تلك المقاصد والنيات تسبب حركاتنا الجسدية، وفي كل حالة نجد مكونا سببيا وقصديا معا"[2]، بعبارة أخرى: القصدية بوصفها توجها عقليا لا يحدث من فراغ، بل بتأثير أسباب خارجية، قد تكون من تراكمات الماضي.

ويعرف محمد مفتاح القصدية" ما يكمن من معتقدات ومقاصد وأهداف ... فعل الكلام الصادر من متكلم إلى مخاطب في مقتضيات وأحوال خاصة "[3] وهو تحديد يربطها بمقتضيات السياق.

أما بالنسبة لمفهوم المقاصد في التخاطب فقد " تعددت دلالات القصد في المعالجات النظرية، فهو دال على أحد ثلاثة:

---

[1] سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ص:128

[2] المرجع نفسه، ص:157

[3] محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، دط، دت، ص: 193.

1. دال على الإرادة أي المقاصد رغبات المتكلمين.
2. دال على معاني الخطاب، أي المقاصد هي معاني الخطاب .
3. دال على هدف الخطاب، أي المقاصد هي أهداف الخطاب."[1]

مثل هذا التصنيف للمقاصد حدده محمد مفتاح في مؤلفه (تحليل الخطاب الشعري) فيقول: " أولى يتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم، وثانوي يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم ، وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد منه جواب ملائما"[2].

تحمل المقاصد دلالة التوجه من قبل المتكلم، وحصول الفهم عند المتلقي" فلا يكون المنطوق به كلاما حقا حتى تحصل منه هذه الإرادة، فلا يمكن أن يعد متكلما حقا حتى ولو صادف ما لُفظ به فهما ممن التقطه، لأن المتلفظ لا يكون مستمعا حقا حتى يكون قد فهم ما فهم، سواء أوافق الإفهام الفهم أم خالفه"[3].

خلاصة القول: المقاصد هي لب العملية التواصلية ومناط اهتمام الدرس التداولي الذي يهدف إلى دراسة المعاني التي يقصدها المتكلم، وهي

[1] يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 188.
[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص:164.
[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص:214.

عند سيرل سمة عقلية تعبر عن الحالات النفسية للمتكلم ورغباته، كما صنف بعض الباحثين كمحمد مفتاح وعبد الهادي بن ظافر الشهري مدلول المقاصد إلى ثلاثة مدلولات: رغبات المتكلمين ومعاني الخطاب وأهدافه.

- **المبحث الثالث: السياق ومقاصد التعقيب القرآني:**

1. الدلالات السياقية للتعقيب القرآني:

توصل البحث في الفصل الثاني إلى أن التعقيب القرآني ليس تذييلا لتوكيد الخطاب ولا فاصلة ولا مثلا، إنَّما هو جزء لا يتجزأ من القضايا القرآنية، يتفاعل معها لإيصال مقاصد محددة والتي لا تخرج عن المقاصد العامة للسورة، بحكم الترابط التفاعلي بين القضية القرآنية والتعقيب.

كما أن مقاصد التعقيب لا تخرج عن نطاق السورة التي وردت فيها، " فالسورة الواحدة كيان مستقل بما تحويه من قضايا، وما تمتاز به من نسق آيات، ونظام فواصل، وبناء كلي، على أن استقلال السورة لا يخرجها عن مجمل أهداف القرآن"[1] ولا يمكن فصل التعقيب القرآني عن سياقه، كما لا يخرج في دلالته عن دلالة السورة التي ورد فيها، فيأتي متناسقا معها، يدور في فلك المقاصد العامة لها، وما نستدل به هنا آيتين كريمتين لهما نفس التركيب والموضوع (التعبير عن نعم الله)، لكن اختلفا في التعقيب الذي جاء متناسقا مع مقاصد السورة، وهما: قوله ﷻ :﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ (إبراهيم 34)، وقولهﷻ وفي سورة ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ

[1] محمد كريم الكواز، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص: 29

﴾ (النحل 18)." والمتأمل يجد سر هذا الاختلاف، أن القرآن راعى مرة موقف الإنسان من نعم الله، فهو ظلوم كفار، وأخرى مقابلة الله سبحانه نكران الجميل والظلم والكفر بالنعم، بالغفران والرحمة، وكان ختام الآية الأولى بما ختمت به، لأنها كانت في معرض صلة الإنسان بالله، وكانت الثانية في معرض الحديث عن الله، فناسب ختام الآية بذكر صفاته"[1]، أي إن التعقيب مرتبط بسياقه في السورة، وليس للتوكيد.

و"المتأمل في مقاصد القرآن الرئيسة يجد أنها تدور حول نواح ثلاث: ناحية العقيدة، وناحية التشريع، وناحية السلوك"[2] والتعقيب لا يخرج عن هذه النواحي كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون 14/12)، جاء التعقيب ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ في سياق ذكر قدرة الله في الخلق ومراحل تكونه بشكل دقيق لا خلل فيه، هذا ما تبرره دلالة التعقيب على تعظيم الله الخالق الذي خلق فأبدع، " فاستحق التعظيم والثناء؛ وقيل: مأخوذ من البركة أي كثر خيره وبركته: والخلق في اللغة التقدير، فمعنى أحسن الخالقين: أتقن الصانعين المقدرين"[3].

---

[1] الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنارة، جدة، ط1، 1991، ص: 44

[2] محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، عظمة القرآن، ص: 232

[3] الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2007، ص: 979

التعقيب – من خلال ما سبق ذكره– متوافق مع السياق الذي جاء فيه، يحمل مقاصد تتوافق مع ما يحيط به من آيات كريمة، فالخلق الدقيق البديع من صنع الله وحده. بهذا يستحق الثناء والتعظيم، ويستحق أن يعبد وحده لا شريك له. لهذا لا يخرج التعقيب عن مقاصد القرآن، فالكثير من التعقيبات القرآنية تدعو إلى توحيد الله، أو الاستعداد ليوم الحساب، أو التحذير من الغفلة وغير هذه المقاصد كثير.

كما يأتي التعقيب متوافقا توافقا دقيقا مع الحكم الذي جاءت به الآية، كقوله ﷻ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ المائدة 38 فالتعقيب بقوله ﷻ :﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ جاء بعد حكم شرعي لمن اقترف جرم السرقة، ومتناسب مع دلالة التعقيب " فالمعنى عزيز في شرع حكيم في إيجاب القطع وقيل عزيز في انتقامه من السّارق وغَيْرِه من أهْل المعصية، حكيمٌ في فَرائضه وحُدوده، رُوي: أن بعض الأعراب سمع قارئا يقرأ السارق والسارقة إلى أخرها، وختمها بقوله: (وَٱللَّهُ غفور رحيمٌ) فقال: ماهذا كلام فصيح، فقيل له: ليس التلاوة كذلك، وإنّما هي: والله عزيز حكيم، فقال: بخٍ بخٍ عزَّ فَحَكَمَ، فَقَطَعَ."[1]

مما سبق يمكن القول: للتعقيب في الخطاب القرآني دور في تثبيت المقاصد وترسيخها في ذهن المتلقي، بوصفها آخر ما يقرع سمعه، و" التعقيبة لا تأتي إلا حين يقتضيها السياق، ويتطلبها الجو النفسي للآية،

[1] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج3، ص: 495

لأن تمام الآية نصيا ودلاليا وجماليا لا يكن إلا بها، وهي حينئذ لا يمكن الاستغناء عنها رغم وجد الفاصلة في نهاية الآية"[1]، مثل قوله ﷻ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ (محمد 20)، جاء التعقيب بقوله ﷻ: ﴿ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾" وعيد بمعنى: فويل لهم. وهو أفعل: من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه"[2] وهو مناسب للجو النفسي للآيات الكريمة التي تصور حال المنافقين الكارهين لدين الله وللجهاد في سبيله وفضحهم، فجاء التعقيب يحمل معنى الوعيد جزاء ما يكنونه للدين من استهزاء وكره.

هذا ما يجعل " التعقيبة القرآنية أحد أوجه التناسب المعنوي واللفظي في القرآن الكريم، وهذا اللون من التناسب يجمع بين وفائين:

الأول: وفاء بحق المعنى المتولد من كون التعقيبة هي ختام السياق النصي والدلالي في الآية الثاني: وفاء بحق الإيقاع النابع من بناء الفواصل على حرف روي متحد أو متقارب المخرج الصوتي"[3]

ينسجم التعقيب القرآني مع السياق النصي سواء كان أية أم آيات أو حتى سورة كاملة، كما ينسجم أيضا مع الإيقاع الصوتي للآيات، بحكم أن التعقيب أشمل من الفاصلة، كقوله تعالى:﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ

[1] أسامة عبد العزيز جاب الله، أسلوب التعقيب في القرآن مقاربة جمالية، ص:14

[2] الزمخشري، الكشاف، ج5، ص: 525

[3] أسامة عبد العزيز جاب الله، التعقيب في القرآن الكريم مقاربة جمالية، ص: 56

يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (القصص 72/71). الملاحظ للتعقيبين ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ يجد توافقا صوتيا ناتجا عن تجانس الفواصل، كما يجد توافقا في المعاني بين كل تعقيب وقضيته، " فسلطان السمع في الليل وسلطان البصر في النهار"[1]

2. أنواع التعقيب والسياق:

- **التعقيب المتنوع:**

شغل هذا النوع من التعقيب حيزا كبيرا من الخطاب القرآني، و" يتكئ هذا اللون من التعقيب القرآني على فنية التنوع من آية لأخرى، ومن نمط تعبيري لآخر في سياق التركيب القرآني، وهذا التنوع في إيراد التعقيبات نمط فريد من ألوان البناء في السياق القرآني، ولذا فالحكم على هذا الشكل من التعقيبات بأنه الأكثر وفرة أمر مقبول لأنه كذلك بالفعل"[2].

لقد استلزم تنوع السياقات التي ورد فيها التعقيب تنوع مقاصده من مدح وذم ووعيد ووعد... نستدل بنماذج مختلفة من باب التمثيل لا الحصر لكثرة هذا اللون من التعقيب، كقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ (العنكبوت 58). والملاحظ للتعقيب:﴿ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ يجد أنه جاء في سياق الحديث عن عباد الله الفائزين بنعيم الجنة، فاستحقوا المدح والثناء.

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 5، ص: 514

[2] أسامة عبد العزيز جاب الله، التعقيب في القرآن الكريم مقاربة جمالية، ص: 71

ومن أمثلة التعقيب الذي جاء بصيغة الذم قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر 72)، وقد جاء التعقيب: ﴿ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ في سياق الحديث عن الكفار الذين كانت جنهم مصيرهم، فاستحقوا الذم .

ومن التعقيب ما جاء دعاء على الكافرين، كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة 89)، ومن أمثلته أيضا ما جاء للزجر والردع، كقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴾(مريم 79/77)، وغير هذه الدلالات كثير.

- **التعقيب الغالب:**

هذا النوع من التعقيب يتكرر بصفة غالبة في سورة الواحدة، مثاله ما جاء في سورة الروم حيث غلب التعقيب الآتي على السورة: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ.... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ ... ﴾، كقوله ﷻ:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم 61)، التعقيب الغالب الأول في هذه السورة: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ جاء بعد تعداد بعض آيات الله العظيمة، من قبيل أصل الإنسان الذي خلق من تراب، ثم صار بشرا في أحسن تقويم " والنقلة الضخمة من صورة التراب الساكن الزهيد إلى صورة الإنسان

المتحرك الجليل القدر... نقلة تثير التأمل في صنع الله، وتستجيش الضمير للحمد والتسبيح لله، وتحرك القلب لتمجيد الصانع المتفضل الكريم"[1] الذي أنعم على عباده نعما لا تحصى كخلق الأزواج ليكونوا سكنا، هذه النعم تستدعي التدبر في خلق الله، هذا المقصد جسده التعقيب الذي جاء بصيغة التوكيد: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهو تعقيب متناسق تمام التناسق مع سياقه، فهذه الآيات البديعة تستلزم التفكر والإقرار بوحدانية الله.

والتعقيب الغالب الثاني جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ (الروم 22)، وهو تعقيب يحمل دعوة للتدبر في آيات الله وتوحيد خالقها؛ حيث جاء بعد بعض آيات الله في الكون: خلق السموات والأرض، وآيتي اختلاف ألسنة البشر واختلاف ألوانهم.

والتعقيب الموالي جاء في سياق نعمة من نعمه تعالى، نعمة المطر الذي يحي الأرض، يقول تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (الروم 24)، التعقيب:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ فيه دعوة لإعمال العقل وتدبر آيات الله في الكون.

والتعقيب الموالي جاء في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (الروم 28)،

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص: 2763

التعقيب: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وهو خطاب للمشركين بالله، فيه دعوة لاستخدام عقولهم لفهم الأمثال التي ضربت لهم، ليدركوا أن الله واحد لا شريك له.

والتعقيب الموالي جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الروم 37)، التعقيب: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وفيه دعوة للإيمان بالله خير الرازقين.

التعقيب الموالي، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الروم 63)، التعقيب: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ جاء في سياق عرض نعمتين جليلتين من نعم الله تعالى على عباده، نعمة الليل وسكينة الناس فيه، ونعمة النهار والسعي فيه، فيه دعوة لتدبر كلام الله وسماعه سماع تبصر لنعمه.

إجمالا، تشترك التعقيبات الغالبة في سورة الروم في مقصد عام وهو الاستدلال على وحدانية الله؛ من خلال تذكير عباده ببعض نعمه الجليلة، كما أن التعقيبات جاءت بصيغة توكيد ودعوة لإعمال العقل لإدراك ضلالهم، فالعاقل من تدبر آيات الله وزادته إيمانا بالله.

- **التعقيب المتكرر في سور مختلفة:**

هذا النوع من التعقيب يأتي بتركيب واحد في سياقات مختلفة، وفي سور مختلفة أيضا، ونستدل في هذا الموضع بقوله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي

ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذي تكرر ست مرات في القرآن الكريم: مرتين في سورة التوبة والباقي في سورة البقرة، وآل عمران، والصف والجمعة، يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة 258). جاء التعقيب بعد حجاج سيدنا إبراهيم عليه السلام مع نمرود المنكر لوجود الله، ويتضمن هذا التعقيب تخصيصا للهداية التي تكون من الله وحده، وتخصيص آخر أن هدايته لا تمس القوم الظالمين، والظلم هنا رفض وجود الله ﷻ .

وجاء التعقيب الثاني في سورة آل عمران، يقول ﷻ:﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آل عمران 86)، جاء التعقيب في سياق الذين كفروا بعد الإيمان، وهو يتضمن معنى التخصيص أيضا حيث يبرز أن الله وحده من يهدي عباده، ونفى أن تشمل هدايته الظالمين، والظلم هنا يخص الذين كفروا بعد الإيمان.

والتعقيب الثالث جاء في سورة التوبة، في قولهﷻ ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التوبة: 19)، وجاء التعقيب أيضا تخصيصا للهداية، ونفي أن تنال هداية الله الظالمين، والظلم هنا يخص" الكفر أعظم الظلم، فلا توجبوا لهم الهداية ولا المساواة بالمهتدين وإن باشروا جميع أفعال المهتدين، ما عدا الإيمان، ومن فعل

ذلك منكم كان ظالما وخيف عليه سلب موجب الهداية"[1].

ومن التعقيبات المتكررة بالتركيب اللغوي نفسه، والدالة على الوعيد ، قوله تعالى:﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ يقول تعالى: ﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ (العنكبوت6)، ويقول تعالى: ﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ (الصافات 170)، ويقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ (غافر 70)، ويقول تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ (الزخرف 89).

جاء التعقيب ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ بصيغة واحدة في سور مختلفة، ليعبر عن معنى الوعيد على الرغم من تعدد السياقات التي ورد ذكره فيها، وهذا دليل على الترابط الحاصل بين التعقيب والسياق.

كما تكررت بعض التعقيبات نفسها في سياقات متشابهة، مثل قوله ﷻ: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ (يس35/33)، وقوله ﷻ في نفس السورة: ﴿ أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴾ (يس 73/71)

والملاحظ للتعقيبين المتكررين يجد أنهما جاء بعد الحديث عن نعم جليلة عظيمة تستدعي الشكر، لأنها من إيجاد الله الواحد، فجاء التعقيب ب ﴿ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴾ مناسبا لسياق " إثبات الوحدانية والإعلام بأن ما

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص: 290/289

عبد من دونه لا استحقاق له في ذلك بوجه، ولا نفع بيده ولا ضر، وأنتج هذا السياق بما دل عليه من تفرده بكل كمال وأنه لا أمر لأحد معه بوجه من الوجوه، تنزهه عما ادعوه من الشرك غاية التنزه"[1]. لهذا جاء التعقيب يحمل دعوة ضمنية للشكر، " لكون نعم الله عظيمه فهي تستدعي الدأب على الشكر بلا انقطاع"[2]، أما التعقيب الثاني فجاء أيضا عقب تعداد لنعم الله" ولما كانت هذه الأشياء من العظمة بمكان، لو فقده الإنسان لتكدرت معيشته، سبب عن ذلك استئناف الإنكار عليهم في تخلفهم عن طاعته، بقوله أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ، أي يوقعون الشكر، وهو تعظيم المنعم لما أنعم هو استفهام بمعنى الأمر"[3]، أي اشكروا نعم الله.

نستشف مما سبق، أن التعقيب القرآني متعالق مع سياق السورة التي تحتويه، وهو يتفاعل معها بتناسق عجيب، فمن جمالياته أنه تكرر بنفس الصيغة، أي الاستفهام، لكنه بقي مترابطا مع سياقه، فالتعقيب الأول جاء في سياق إظهار وحدانية الله التي تجلت في نعم عظيمة، والثاني جاء في سياق الدعوة لطاعة الله، لتفضله بنعم جليلة على عباده.

أما عن التعقيب المتكرر بصفة جزئية في سور مختلفة، فهو الآخر يأتي منسجما مع سياقه، كقوله تعالى: في سورة الأنفال: 69: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج6، ص: 261

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 261

[3] المرجع نفسه، ص: 282

عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (المائده 2)، وفي (سورة الحجرات 12): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾، جاء التعقيبين بتكرار جزئي؛ حيث اختلفا في الجزء الأخير، فجاء التعقيب الأول بقوله: ﴿ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾، والثاني بقوله: ﴿ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ وكلاهما جاء عقب أمر الله عباده بالاتقاء بعد عرض جملة من النواهي، ففي سورة المائدة أمر الله ﷻ" بالاتقاء في جميع الأمور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الأوامر والنواهي، فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ أي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة إن لم تتقوه وإظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من إدخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة"[1]، أما ما جاء في سورة الحجرات، فختم الله التعقيب بـ﴿ تَوَّابٞ رَّحِيم ﴾" لما كان التقدير: فإن الله يتوب عليكم إن تركتموه، علله بما دل على أن صفة له متكررة التعلق، فقال ﴿ تَوَّابٞ﴾ أي مكرر للتوبة، وهي الرجوع عن المعصية إلى ما كان قبلها من معاملة التائب وإن كرر الذنب، فلا ييأس أحد وإن كثرت ذنوبه وعظمت ﴿رَّحِيمٞ ﴾ يزيده على ذلك أن يكرمه غاية الإكرام"[2]، مما سبق يتبين أن التعقيب قد يتكرر بصفة جزئية لارتباطه بسياق الآيات ومقاصدها.

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 3، ص: 5

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 7، ص:235

- **التعقيب المتكرر في السورة الواحدة:**

هذا النوع من التعقيب يلزم صيغة تركيبية واحدة في سياقات مختلفة في سورة واحدة، كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (سورة آل عمران30/28) .

الملاحظ للآيات الكريمة، يجد أن التعقيب تكرر بصيغتين متشابهين، ففي التعقيب الأول جاء معطوفا بصيغة تختلف عن التعقيب الثاني" لأنه وعيد عطف عليه عيد آخر في الآية الأولى؛ فإن ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ معناه: مصيركم إلى الله، والعذاب معد لديه، فاستدرك في الآية الثانية بوعده، وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ الرأفة أشد من الرحمة، وقيل من رأفته تحذيره"[1] وهنا تبرز فاعلية السياق في فهم التعقيب القرآني.

ومن جماليات التعقيب المتكرر في السورة الواحدة ما جاء في سورة الرحمن؛ إذ تكرر إحدى وثلاثون مرة قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في سياقات مختلفة تنتظم في نسق واحد جميل، وعن سورة الرحمن، يقول سيد قطب في مؤلفه في ظلال القرآن:" هذه سورة مكية ذات نسق خاص ملحوظ، إنها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير، وإعلام

[1] الكرماني، في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ص:33

بآلاء الله الباهرة الظاهرة، في جميل صنعه، وإبداع خلقه، وفي فيض نعمائه، وفي تدبيره للوجود وما فيه، وتوجه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم"[1]

فالسياق العام لسورة الرحمن تضمن تعدادا لنعم الله الجليلة، شكل فيها التعقيب مع كل نعمة تناغم جميل؛ إذ " كرر الآية إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها ذكرا عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقبها، لأن في صرفها ودفعها نعما توازي النعم المذكورة، أو لأنها حلت لأعداء وذلك يعد أكبر النعماء"[2]

ولأن نعم المولى تستوجب الشك لا التكذيب، فقد جاء التعقيب بصيغة استفهامية تتضمن توجيه الخطاب لمخاطبين محددين يدل السياق عليهما، " والخطاب للثقلين الإنس والجن بدليل قوله سنفرغ لكم لأيها الثقلان روي أن هذه الآية لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت أصحابه فقال جواب الجن خير من سكوتكم إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا نكذب بشيء من آلاء ربنا وكرر هذه الآية تأكيد ومبالغة وقيل إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله فليس بتأكيد لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات"[3]

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1982، مجلد6، ص:3445

[2] محمد بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، دت، ص: 231

[3] أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995، ج2، ص: 393

إن تكرار التعقيب في سورة الرحمن ليس تذييلا، بل هو" إشهاد عام كله على الثقلين: الإنس والجن المخاطبين بالسورة على السواء، في ساحة الوجود، على مشهد من كل موجود، مع تحديهما إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله ، تحديا يتكرر عَقِبَ بيان كل نعمة التي يعددها ويفصلها، ويجعل الكون كله معرضا لها، وساحة الآخرة كذلك"[1]

ويمكن إجمال القضايا المختلفة التي فصل التعقيب بينها على النحو الآتي:

- الآيات من 1إلى 12: جاء بعد نعم جليلة كنعمة القرآن والبيان وبعض نعمه الكونية.
- الآيات من 13 إلى 30: جاء بعد قدرة الله في خلق الجن والأنس وذكر معادهم وبديع صنعه في الكون.
- الآيات من 31 إلى 45: الحساب وأهوال النار.
- الآيات من 46 إلى 58: ذكر نعيم الجنتان.
- الآيات من 59إلى 60: مدح أهل النعيم وحسن جزاءهم
- الآيات من61 إلى 76: ذكر الجنتين التي دون الجنتين السابقتين.

والملاحظ لقضايا هذه السورة، يجد أنها متنوعة لكن تلزم تعقيبا واحدا متفاعلا معها، ففي قوله ﷻ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد6، ص:3458

١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن 13/1) جاء هذا التعقيب بعد تعداد نعم عديدة استفتحها بنعمة القرآن لعظمتها، " القرآن الذي يقر في أخلادهم أنهم خلفاء في الأرض، أنهم كرام على الله، وأنهم حملة الأمانة التي أشفقت منها السماوات والجبال، فيشعرهم بقيمتهم التي يستمدونها من تحقيق إنسانيتهم العليا، ومن ثم قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان.. فيه يتحقق في هذا الكائن معنى الإنسان"[1]، وبعد نعمة القرآن والتي هي من أجل النعم التي يتحقق للإنسان وجوده، خصه بنعمة أخرى نعمة البيان التي لولاها ما استطاع التعبير عما في نفسه ولا التواصل مع غيره، ثم توالت نعم كونية جليلة تشهد على عظمة الخالق وبديع تصويره في هذا الكون الفسيح كخلق الشمس والقمر بنظام دقيق لا خلل فيه، هذه النعم ظاهرة جلية في الكون فيها دعوة للشكر والحمد وعدم نسيان الخالق، لذا جاء التعقيب متناسقا تناسقا بديعا مع هذه الآلاء.

ونظير ذلك في الآيات من 13 إلى 30: جاء بعد قدرة الله في خلق الجن والأنس وذكر معادهم وبديع صنعه في الكون، من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ إلى قوله تعالى: يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

ومن النعم التي تخص الآخرة ، قوله ﷻ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ٣٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ " وردة حمراء سائلة

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد6، ص:3446

كالدهان"[1]، جاء التعقيب هنا بعد مشهد من مشاهد الآخرة، وهو يتضمن معنى الترهيب من عذاب الله الشديد، يحمل دعوة مضمرة لحمد الله وشكره على نعمة التذكير بمصير من يعصي الله.

مما سبق، يتضح أن سورة الرحمن ارتكزت على تعقيب واحد محوري، تناسق مع سياقات متعددة في إيقاع صوتي جميل متناغم، " وفي ختام السورة التي استعرضت آلاء الله في الكون، وآلاءه في الخلق، وآلاءه في الآخرة، يجيء الإيقاع الأخير، تسبيحا باسم الجليل الكريم، الذي يفني كل حي، ويبقي وجهه الكريم ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، أنسب ختام لسورة الرحمن"[2] سورة النعم.

ومن المهم هنا، التذكير بجماليات الخطاب القرآني وتفرده، فتكرار التعقيب نفسه في سياقات مختلفة، نتج عنه تناغم جميل ترتاح له الآذان، وتناسق بديع بين معاني السورة، حيث يتناسب مع المقاصد العامة لها. فإذا كان السياق العام لسورة الرحمن يدور في فلك تعداد نعم الله الجليلة، فإن سورة المرسلات لها سياق عام مختلف، فهي " حادة الملامح، عنيفة المشاهد، شديدة الإيقاع، كأنها سياط لاذعة، وهي تقف القلب وقفة المحاكمة الرهيبة، حيث يواجه بسيل من الاستفهامات والاستنكارات والتهديدات، تنفذ كالسهام المسنونة"[3]

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد6، ص: 3456

[2] المرجع نفسه، ص: 3458

[3] المرجع نفسه، ص:3789

أما عن القضايا التي تتناولها السورة، فهي تتمحور حول" مشاهد الدنيا والآخرة، وحقائق الكون والنفس، ومناظر الهول والعذاب ما تعرض، وعقب كل معرض ومشهد تلفح القلب لفحة كأنها من نار: ويل يومئذ للمكذبين، ويتكرر هذا التعقيب عشر مرات في السورة، وهو لازمة الإيقاع فيها، وهو أنسب تعقيب لملامحها الحادة، ومشاهدها العنيفة، وإيقاعها الشديد" [1]

ومن هنا جاء التعقيب مناسبا لقضايا السورة ومتناسقا مع الإيقاع الصوتي لها، نستدل بقضية واحدة من تلك القضايا، في قوله تعالى :﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات 15/8) جاء التعقيب ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ بعد جو مهيب ، فهو بمثابة " الإنذار من العزيز الجبار، في مواجهة الهول السائد في الكون، والجلال الماثل في مجلس الفصل بمحضر الرسل، وهم يقدمون الحساب الأخير في الموعد المضروب لهم... هذا الإنذار في هذا الأوان له طعمه وله وزنه وله وقعه المزلزل الرهيب..." [2].

إجمالا يمكن القول أن تكرار التعقيب في الخطاب القرآني سمة أسلوبية تَجَلّت في العديد من السور كسورة الرحمن والمرسلات و الشعراء... إلخ، وهو تكرار يجمع بين جمالية الإيقاع الصوتي وبين التناسق

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 3789.

[2] المرجع نفسه، ص: 3792

البديع بين مقاصد السورة وبين مقاصد التعقيب.

- **التعقيب والسياق القصصي:**

تنوعت أساليب الخطاب في القرآن من حوار ومدح وذم وترغيب وترهيب، ووعد ووعيد ... إلخ، بهدف إيصال مقاصده الجليلة، والتأثير في النفوس وتهذيب السلوك، وتعد القصة القرآنية نمطا تعبيريا محببا للنفوس، يحرك القلوب ويستثير العقول للتدبر في كلام الله وفي عواقب الأمور؛ حيث إنَّ " للقصة تأثيرا نفسيا ووجدانيا ذا طابع خاص لما فيها من عرض حي للفكرة والغرض مجسم في أشخاص يتحركون ويتكلمون ويتحاورون، وفي أحداث تبث فيها الحياة، فتعرض أمام المتلقي كما لو كانت ماثلة أمامه وإن كانت لأقوام مضوا" [1]. هذه السمات الفريدة للقصة القرآنية من صدق وروعة في التصوير...إلخ، جعلت منها وسيلة مثلى لتبليغ الخطاب وتحريك العقول للتفكر والتدبر؛ لأنه خطاب حق لا خيال فيه، يقول تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ (آل عمران 62).

وهو خطاب هادف، فالقصة " جاءت لتساهم فيما يرمي إليه القرآن بعامة من الوعظ والنصح والإرشاد، وليكون فيها معين لا ينضب من الأسى للرسول الكريم، فيصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، وقد أوضح القرآن هذين الهدفين من إيراد القصة فيه حين قال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف 176)، ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ (يوسف111)، وقال(وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ

[1] فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، ط3، 2010، ص:43

مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾(هود 120)"[1]

إضافة إلى ذلك تتميز القصة القرآنية بكونها صادرة من الله تعالى القائل في كتابه: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾(يوسف 3)، والملاحظ لهذه الآية الكريمة يجد فيها خطابا من الله إلى نبيه الكريم ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ لإبراز سمو القصص القرآني الذي هو أحسن القصص، فلا يصل إلى سموه كلام بشر مهما كان نسيجه وتأثيره.

إنّ القصص القرآني شريف الغاية والمقصد، لهذا أمر تعالى نبيه باستعمال القص، لقوله ﷻ :﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف 176 هذه الآية الكريمة والتي هي خطاب للنبي تبرز فاعلية القص في الدعوة، وهي مختومة بتعقيب يؤكد هذا المعنى ويحدد الغاية من القص﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وبهذا تكون" القصة القرآنية هادفة، فهي ليست حلية للنص القرآني أو ترفا فنيا أو تأريخا لمجرد التأريخ أو سردا لمجرد التسلية والمتعة الفنية، وهي وإن كانت ذات خصائص فنية راقية وتأثير فذ في المتلقي، فإنّها صدق لا خيال فيه وحق لا زيف فيه"[2]

وللقص القرآني مقاصدٌ منسجمة مع المقاصد العامة للخطاب القرآني، كما أن للتعقيب الذي ختمت به كل قصة من قصص القرآن الكريم مقاصد هي الأخرى منسجمة مع السياق القصصي الذي جاءت فيه " فالقصص القرآني قد احتوى على جملة من الأحكام الفقهية الذي كان منهلا نهل منه

[1] أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص276

[2] فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 43

العلماء في الاستدلال والاستنباط، وفي عرض الحكم عقب القصص أو أثناءها ميزة عظمى في تصوير الحكم مرتبطا بالأشخاص أو الأحداث مما يعين في تثبيته ويعين على تطبيقه"[1] بوصف التعقيب حكم على قضية أو هو رد على حكم، أو نتيجة.

ومن التعقيبات التي نستشف من خلالها فاعلية السياق القصصي في إبراز دلالات التعقيب قوله تعالى:(وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل 36)، التعقيب هنا قوله ﷻ: ﴿ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ وقد جاء بصيغة الأمر، يحمل دعوة للتدبر في أحوال الماضين من قصص الأنبياء مع أقوامهم،" عبر هنا بالفاء المشيرة إلى التعقيب دون تراخ لأن المقام للاستدلال المنقذ من الضلال الذي تجب المبادرة إلى الإقلاع عنه بخلاف﴿ ثم ٱنظُرُواْ﴾ في الأنعام، وأشار بالاستفهام إلى أن أحوالهم مما يجب أن يسأل عنه للاتعاظ به"[2] وقد تضمنت الآية الكريمة " الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالبعث وتثبيت أسس العقيدة الإسلامية في النفوس، وذلك من خلال ذكر قصص الأنبياء وبيان وحدة دعوتهم إلى هذا وبيان أن ملة الكفر واحدة، وشبهاتهم واحدة على مر العصور والأزمان"[3]، فجاء التعقيب مؤكدا لمضمون القضية، قضية التوحيد التي تعد من أبرز المقاصد القرآنية

[1] أبو بكر محمد فوزي البخيت، خصائص الأسلوب القرآني، ص: 210

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج4، ص: 268

[3] فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 44

والتي اشترك كل الأنبياء في إبلاغها للناس.

سنقتصر في هذا البحث على القصص التي ختمت بتعقيب، من خلال التركيز على فاعلية السياق القصصي في فهم التعقيب، كقوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ (البقرة: 90/87)، جاء التعقيب على هذه الآيات مزدوجا في سياق قصصي يصور تكذيب الكفار للمرسلين، التعقيب الأول: ﴿ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ هو،" جملة دعاء عليهم وعلى أمثالهم والدعاء من الله تعالى تقدير وقضاء لأنه تعالى لا يعجزه شيء، وليس غيره مطلوبا بالأدعية"[1] فصنيعهم الشنيع يستوجب اللعنة.

كما جاء التعقيب الثاني: ﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ منسجما مع التعقيب الأول، حيث جاء تأكيدا للذم من المولى للكافرين الذين استحقوا اللعنة والغضب والعذاب المهين، ومن هذا المنطلق جاء التعقيب منسجما مع سياق

[1] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984، ج1، ص: 603

قصصي يصور أحوال الكافرين الكاذبين المكذبين لرسل الله، وبهذا صار التعقيب دعوة للتدبر في جزاء من يتكبر ويكفر.

وفي سياق قصصي آخر، يقول تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة 124)، إلى قوله تعالى: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ و جاء التعقيب على هذه القصة بقوله: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(البقرة 134)، جاء هذا التعقيب بعد آيات " تضمنت الثناء على إبراهيم وبنيه والتنويه بشأنهم والتعريض بمن لم يقتف آثارهم من ذريتهم وكأن ذلك قد يتحل منه المغرورون عذرا لأنفسهم فيقولون نحن وإن قصرنا فإن لنا من فضل آبائنا مسلكا لنجاتنا، فذكرت هذه الآية لإفادة أن الجزاء بالأعمال لا بالاتكال."[1] وهو المقصد العام للتعقيب الذي جاء فيه " الخطاب موجه إلى اليهود أي لا ينفعكم صلاح آبائكم إذا كنتم غير متبعين طريقتكم"[2]. ومن هنا يظهر ارتباط التعقيب بسياقه القصصي.

وتكرر التعقيب نفسه في قصة بني إسرائيل، يقول تعالى:﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ

[1] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص: 736/735

[2] المرجع نفسه، ص: 736

عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (البقرة 141)، هذا التعقيب " تكرير لنظيره الذي تقدم آنفا لزيادة رسوخ مدلوله في نفوس السامعين اهتماما بما تضمنه لكونه معنى لم يسبق سماعه للمخاطبين فلم يقتنع فيه بمرة واحدة"[1] وهذا لتقارب السياق القصصي، فجاء التعقيب بالآية نفسها.

من التعقيبات التي ختمت بها القصص القرآنية، ما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة 251/247)، وجاء التعقيب بقوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ الذي جاء بعد جملة القصص، وقد استفتح التعقيب باسم الإشارة تنبيها لأهمية تلك القصص، كما جاء التعقيب بصيغة خطاب للنبي" تنويها بشأنه، وتثبيتا لقلبه، وتعريضا بالمنكرين رسالته، وتأكيد الجملة ب (إن) للاهتمام بهذا الخبر، وجيء بقوله: ﴿لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ دون أن يقول (و إنك لرسول الله) للرد على المنكرين بتذكيرهم أنه ما كان بدعا من الرسل، وأنه أرسله كما أرسل من قبله، وليس ما ينقص عن أحوالهم"[2]

[1] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص: 748.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص: 501.

ومن القصص القرآني قصة مريم وعيسى عليه السلام قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ آل عمران 35 إلى التعقيب الآتي في قوله تعالى : (ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران 44)، وهو خطاب للنبي ﷺ، فحواه: هذا القصص الذي تتلوه في القرآن لدليل على نبوتك ودليل على معجزة هذا الكتاب المتضمن لأنباء من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

وفي القصة نفسها وفي السورة نفسها(آل عمران) جاء تعقيبين في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران 45)، حتى قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (آل عمران 57)، وجاء التعقيب الأول على القصة: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأٓيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران 58)، وهو تعقيب متعالق مع التعقيب الثاني الذي جاء بعد آيات مكملة للتعقيب الأول، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (آل عمران 59) إلى التعقيب الثاني بقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران62)

يقتضي فهم مقاصد التعقيب فهم السياق القصصي، بما في ذلك أسباب النزول فقد" حضر وفد نصارى نجران على رسول الله ﷺ، فقالوا له: ما

شأنك تذكر صاحبا ونسبه؟ فقال: من هو؟ قالوا: عيسى، قال: وما أقول؟ قالوا: تقول عبد، قال: أجل هو عبد الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير أب؟ ومن لا أب له فهو ابن الله، ثم خرجوا من عندهﷺ ، فجاءه جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ ﴾ ؛ أي: إن شأن عيسى و صفته في خلق الله تعالى إياه على غير مثال سابق؛ أي: من غير أب ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ أبي البشر"[1].

هذا السياق الخارجي هو معين للوصول إلى أغراض القصص القرآني، فقصص الأنبياء وسيرهم في هداية الناس هي للتدبر وأخذ العبر من أحداثها، منها " قصة مريم، وذكر فيها ما هو أبلغ وأورع في خرق العادات، فذكر قصة ولادة عيسى من غير أب، وهي شيء أعجب من الأول... والغرض من ذكر هذه القصة تبرئة مريم عن ما رمتها به اليهود، والرد على النصارى الذين ادعوا ألوهية عيسى"[2].

وما تجدر الإشارة إليه أن الخطاب في التعقيبين موجه للنبي ﷺ، التعقيب الأول: ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ (آل عمران 58)، حيث أُستفتح التعقيب باسم الإشارة الذي يحيل إلى قصة سيدنا عيسى عليه السلام، وما فيها من دروس وعبر، كما أن قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾" أي من العلامات الدالة على نبوتك يا محمد؛ لأنها أخبار لا يعلمها إلا من يقرأ ويكتب، أو نبي يوحي إليه، وأنت أمي لا تقرأ ولا تكتب،

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج4، ص:335

[2] المرجع نفسه، ص: 298

فثبت أن ذلك من الوحي السماوي الذي أنزل عليك ﴿ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾أي القرآن المحكم"[1].

مما سبق يتبين أن دلالات التعقيب تحمل معان سياقية، وأن القصص القرآني حق لا خيال فيه، وليس مجرد سرد لتاريخ الماضين، وهذا ما يؤكده التعقيب الثاني: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ كما تضمن هذا التعقيب تأكيدا لوحدانية الله الذي لا شريك له، ردا لمن جعل لله ولدا، " فذكر العزيز الحكيم ها هنا إشارة إلى الجواب عن النصارى في الشبهتين لعيسى: القدرة على الإحياء و نحوه، وإخبار الغيوب؛ أي: لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة، والحكمة البالغة، ليشاركه في الإلهية"[2]

من التعقيبات المتكررة بالتركيب نفسه ما جاء في سورة الشعراء؛ حيث تكرر قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عقب قصص مختلفة، وهي:

1. بعد قصة النبيﷺ مع المشركين، من قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ الشعراء3 إلى قوله تعالى:﴿ أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾ الشعراء7، جاء التعقيب بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء9، ردا من المولى عز وجل على عناد المشركين الغافلين الذين " لم يتأملوا في الأرض وكثرة ما فيها من

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ص:335

[2] المرجع نفسه، ص:339

أصناف النبات المختلفة الأشكال والألوان مما يدل على باهر القدرة وعظيم سلطان ذلك العلي الكبير"[1]، ولكن هؤلاء المشركين قد أعمى الغرور بصائرهم، فصاروا عميا عن الحق، لهذا لم يؤمن أكثرهم بما جاء به محمد ﷺ" ثم بشره بنصره وتأييده وغلبته لأعدائه، وإظهاره عليهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿ ٱلرَّحِيمُ﴾ المبالغ في الرحمة، ولذلك يمهلهم، ولا يأخذهم بغتة"[2]، وبهذا يحمل التعقيب دعوة ضمنية للتدبر في خلق الله وبديع صنعه، والذي يستوجب الإيمان والتوحيد، كما يحمل التعقيب معنى التحذير من عواقب الغفلة والضلال.

2. قصة سيدنا موسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الشعراء 10 إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾ الشعراء 66، وجاء التعقيب متكررا مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء 68/67، وهو يحمل دعوة لأخذ العبرة من قصة موسى عليه السلام الذي لم يؤمن له إلا قليلا، وتذكيرا بنهاية الطغاة والتحذير من غضب الله، كما أن هذا القصص تثبيت لقلب النبي ﷺ ، بصبر الرسل قبله على أذى الكفار، و" أن أكثر الناس من كل أمة هم الكافرون، فكون كل قصة آية وعبرة إنما يعتبر بالنسبة إلى من شاهد الواقعة،

[1] محمد الأمين الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج20، ص: 115

[2] المرجع نفسه، ص: 156

ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة، فيدخل فيهم قريش؛ لأنهم سمعوا قصة موسى وفرعون مثلا من لسان النبي ﷺ فكانت آية لهم مع بيانها مع أن بيانها من غير أن يسمعها من أحد آية أخرى موجبة للإيمان، حيث دل على أنه ما كان إلا بطريق الوحي الصادق"[1]، وبهذا تصبح القصة وسيلة إقناع، إذ تعمل الفكر لمعرفة الحق.

3. قصة سيدنا إبراهيم من قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ (الشعراء 69)، إلى التعقيب بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء 104/103)، وهذا التعقيب أيضا يحمل دعوة لأخذ العبرة من قصص الأنبياء عليهم السلام، فحجاج إبراهيم لقومه ودعوته لتوحيد الله، لدليل واضح على صبر الرسل على جحود وإنكار أقوامهم لوحدانية الله، فلم يؤمن لهم إلا قليلا، وفي هذا تثبيت لقلب النبي عليه السلام، فإنكار الكفار لوحدانية الله ليس بجديد، فقد واجه الرسل (عليهم السلام) قبله هذا الإنكار.

4. قصة سيدنا نوح عليه السلام من قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ الشعراء 105 إلى التعقيب المتكرر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء 122) هذا التعقيب فيه إبراز لقدرة الله القاهرة للطغاة، وإغراق العتاة المتكبرين ليبقوا عبرة للعالمين، ونصر الله للمستضعفين المسلمين وإن كانوا قلة .

[1] محمد الأمين الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج20، ص: 216

5. قصة هود عليه السلام من قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء 124/123)، إلى التعقيب المتكرر في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء 139) هذا التعقيب دعوة لإعمال العقل من أجل الاستفادة من عاقبة قوم هود الذين طغوا ونسوا عذاب الله الأليم الذي جاء بعد إرسال هود عليه السلام لهدايتهم، وهذا دليل رحمة الله بعباده، فالتذكير بعواقب الأمور من خلال القصص القرآني نعمة تستحق الشكر.

6. قصة صالح عليه السلام من قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾الشعراء 142/141، إلى التعقيب المتكرر في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٥٨وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء 159) هذا التعقيب هو الآخر يخاطب العقل لأخذ العبرة من هلاك قوم صالح الذين استهانوا بمعجزتهم، " فكانت الناقة علامة لنبوة صالح عليه السلام، فلما أهلكوها، ولم يعظموها صاروا نادمين حيث لا ينفعهم الندم، والقرآن علامة لنبوة محمد ﷺ، فمن رفضه، ولم يعمل بما فيه، و من لا يعظمه يصير نادما غدا، ويصيبه العذاب"[1]. والتعقيب بوصفه آخر ما يقرع الأسماع يؤكد على ضرورة التدبر في آيات الله واستلهام العبر من القصص القرآني.

[1] محمد الأمين الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج20، ص: 294

7. قصة لوط عليه السلام من قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٦٠ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى التعقيب المتكرر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٤وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء 175)هذا التعقيب متناسق مع قصة لوط الذين أهلكهم الله لقبيح صنيعهم، فأبرز التعقيب عقاب الله العظيم لمن تجاهل حدوده وأنكر وجوده، كما أبرز رحمة الله بعباده الصالحين ونصرتهم على أعتى الأعداء.

8. قصة شعيب عليه السلام من قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء 191) وهو تعقيب يتضمن دلالة واضحة على صدق الرسل، أي إن في ذلك الإنجاء لكل ومن أطاعه، والعذاب لكل من عصاه في كل العصور لدلالة واضحة على صدق الرسل"[1] وقوم شعيب من الذين خالفوا الرسل فاستحقوا العذاب الأليم.

خلاصة القول: يرتبط التعقيب بالسياق القصصي، فيأتي منسجما مع المقاصد العامة له، وباعتبار التعقيب خاتمة كلام الله فإنه يحمل معنى التأكيد على ضرورة التدبر في القصص القرآني، لهذا فإن أهم مقاصده، الدعوة إلى إعمال العقل واستلهام العبر من قصص الماضين، وأحوال الأنبياء مع أقوامهم، فيحيا قلبه بأخذ العبر من الأقوام التي هلكت بسبب

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ص: 360.

عنادهم وانتهاكها حدود الله وتكذيبها للأنبياء. وباعتبار القصة وسيلة مثلى لتحريك المشاعر والتأثير في القلوب، فإن الكثير من التعقيبات القرآنية تدعو للتفكر والتدبر. كما يحمل التعقيب القصصي خطابا للنبي عليه السلام لتثبيت فؤاده، من خلال قصص الرسل السابقين وتصوير ما عانوه في سبيل الدعوة إلى توحيد الله والدعوة للامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، كما يحمل هذا النوع من التعقيب مقاصد مضمرة فحواه الترهيب من العقاب الأليم لمن يتجاوز حدود الله. وفي الخطاب القصصي ذكر لمعجزات الله المتنوعة التي أيّد بها رسله، ولطرق العذاب كالإغراق أو الريح العاتية...إلخ، كما جاء في التعقيب ترغيب في نصر المؤمنين في كل عصر وزمان وترهيب شديد من عذابه.

الفصل الرّابع

تداوليّة الأفعال الكلامية في التّعقيب القرآني

توطئة:

تعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم ما جاء به المنجز التداولي، وهي تعنى بالجانب التأثيري للغة؛ أي كيف ننجز أفعالا بالكلام؟ أو كيف تغير الكلمات الواقع؟ وبهذا الطرح تتجاوز التصورات الضيقة للغة بوصفها أداة للتعبير عن الأفكار والمشاعر، أوهي للوصف والتقرير، لتصل باللغة إلى منحى وظيفي جديد، أي التغيير والتأثير باللغة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مصطلح أفعال الكلام هو أحد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي(Speech Acts)، فالمصطلح كغيره من المصطلحات الوافدة من الفكر الغربي عرف ترجمات عديدة، من قبيل: الأعمال اللغوية، الأفعال القولية، والأفعال الكلامية هذا الأخير الذي وقع الاختيار عليه في هذا البحث لرواجه.

وهذا الفصل دراسة تطبيقية لنظرية الأفعال الكلامية في التعقيب القرآني، بوصفه نمطا تعبيريا يخص الخطاب القرآني الذي يسعى لتقويم السلوك وتصحيح المعتقدات الفاسدة والتأثير في النفوس، وهو بهذا الوصف يتضمن أفعالا كلامية تستحق البحث والتحليل بغية الوصول إلى مقاصد التعقيبات القرآنية (محل الدراسة)، ومن الطبيعي أن يسبق الدراسة التطبيقية تقديم نظري يضم أهم ملامح النظرية من الحديث عن إرهاصاتها وأعلامها ومبادئها وأهم تجلياتها في التراث العربي اللساني.

- **المبحث الأول: نشأة الأفعال الكلامية وماهيتها:**

1. نشأة الأفعال الكلامية:

قبل الولوج في تحديد ماهية الأفعال الكلامية لابد من تحديد الإطار العام الذي نشأت في ظله، حيث عرفت هذه النظرية الغربية إرهاصات قبل أن تصل لمرحلة النضج، حيث تعد الفلسفة التحليلية أهم مناخ نشأت في ظله " فقد تأثرت اللسانيات بنظرية فتجشتاين عن الألعاب اللغوية واهتمت بمعنى الكلام في السياق المرتبط به، وقد قام الإنجليزي أوستين، والأمريكي جون سورل، بتطوير نظرية الأفعال اللغوية في الخمسينات والستينيات انطلاقا من نظرية فتجنشتاين"[1]، فقد" أسهمت الفلسفة التحليلية، وتحديدا مع لوديف فتجنتشاين في إثراء الدرس اللساني الحديث، ذلك أن القضايا الفلسفية لم يعد تحليلها وإدراكها ممكنا إلا باعتبارها قضايا لغوية، كما أن تعرف الناس على العالم ومحاولة امتلاكه ثقافيا يظل دائما متأثر بكل أشكال التعبير اللغوي"[2]

ومن هذا المنطلق تبرز أهمية اللغة في الدرس الفلسفي واللساني على حد سواء، بوصفها فعلا إنسانيا وأداة التواصل المثلى التي تكشف خبايا الفكر، و" لقد كانت النماذج اللسانية الأولى، منذ سوسير تعبر أن وظيفة اللغة الأساسية هي الإخبار، ولقد كان مفهوم التواصل يُفهم هو الآخر على أنه نقل للمعلومات إلى المتلقي ، وبذلك يكون فعل الإخبار الفعل

[1] عبد الله بريمي، بين تداوليات سورل وتفكيكية دريدا، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال، تنسيق وجمع حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2014، ص: 260

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

اللغوي الرئيسي، وتكون اللغة مجرد شفرة أو نظام من الرموز، هذا التصور الذي وجدناه عند أصحاب التيار الوصفي في الدلالة"[1] لكن" التصور التداولي للغة الذي نجده عند فلاسفة اللغة من أمثال أوستين وسيرل وغرايس، ونجده في نظرية الأفعال اللغوية بشكل خاص، ويرفض أن تكون اللغة مجرد وسيلة لتمثيل الواقع أو الذهن، إنها جهاز يمكن من إنجاز أفعال من نمط معين: الأمر والوعيد والنهي والاستفهام والنصح والشكر والتهنئة والإنذار والوعد والوعيد"[2].

فاللغة في ظل هذه النظرية ليست لوصف فقط، بل لإنجاز أفعال أو أعمال يتحكم السياق في درجة إنجازيتها وتأثيرها، فقول الزوج لزوجته: أنت طالق، حتما يغير من واقع الزوجين، حيث يحدث الانفصال، بمراعاة الشروط السياقية والدينية المصاحبة للتلفظ بهذه العبارة، فحتى وإن كانت لوصف مشاعر الزوج (كالغضب مثلا)، فإن لها جانب تأثيري على الواقع (الطلاق) .

إن النظرة الجديدة للغة بوصفها أداة لإنجاز الأفعال والتأثير في الآخرين، جعلت من " الفعل الكلامي (acte de parole) أو فعل الخطاب (acte de discours) أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية ويعود الفضل في تنظيره إلى الفيلسوف أوستين خاصة (1970) كما ساهم في تعميقه سورل (1972) "[3]

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص: 113

[2] المرجع نفسه، ص: 16.

[3] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص: 7

والجانب التواصلي الذي تركز عليه نظرية الأفعال الكلامية هو الإنجاز باللغة حيث إن" الفكرة الأصيلة في كتاب أوستين كيف ننجز الأشياء بالكلام 1962 هي أن التلفظ بالصيغة الإنجازية يختلف عن التلفظ بالعبارة الخبرية الوصفية، بينما يمكن أن نقيم التلفظ بالعبارات الخبرية والوصفية ونقدرها حق التقدير بالنظر إلى الحدود التقليدية من الصدق والكذب، فإن الصيغ الإنجازية لا تحتمل صدقا ولا كذبا"[1]، حيث " يرى المفكرون التداوليون في كل العصور أن وظيفة اللغة لا تنحصر في تمثيل القضايا الصحيحة والخاطئة، بل أنها تستعمل للتأثير في الآخرين بطرق معينة وللتواصل مع الآخرين"[2].

إذاً جديد هذه النظرية: أن وظيفة اللغة التأثير والإنجاز، لا الوصف فقط، وفي هذا الشأن يرى سيرل (John Searle) أن" كل تواصل لغوي يستدعي أعمالا لغوية، وأن الوحدة في التواصل اللساني ليست الرمز أو الكلمة أو الجملة ولا حتى الشكل المنجز للرمز وللكلمة والجملة، وإنما هي إنتاج الرمز أو الكلمة أو الجملة أو إصدارها عند إنجاز عمل لغوي"[3].

كما أن معيار الصدق والكذب في التمييز بين الخبر والإنشاء الذي ساد طويلا، لم يعد هو المعيار الوحيد، لوجود جمل لا تقبله، حيث " تُمثّلُ شروط الصدق، لدى المناطقة، معنى القضية التي تستند إليها إحدى قيمتي

[1] جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ص: 231

[2] مجيد الماشطة وأمجد الركابي، مسرد التداولية، ص: 21

[3] سيرل، الأعمال اللغوية، بحث في فلسفة اللغة، ترجمة: غنيم أميرة، منشورات دار سيناترا، تونس، ط1، 2015، ص: 39

الصدق، غير أن اكتشاف الإنشاء أبطل في نظرية الأعمال اللغوية إجراء هذا المقياس لأن العلاقة مع الخارج، مطابقة وعدم مطابقة، لم تعد البعد الوحيد في القول، فالإنشاء مرتبط بمواقف القائل واعتقاداته وحالته الذهنية، فجاءت شروط الصدق الإنشاء قائمة على توفيق في تحقيق العمل أو عدم التوفيق فيه"[1]. بعبارة أخرى المعيار الذي يحكم الإنشاء هو الفشل أو النجاح.

كما أن بعض الجمل الخبرية ليس القصد منها الإخبار فحسب، بل قد تتضمن معنى إنشائيا نستدل بقول السيوطي" القصد بالخبر إفادة المخاطب، وقد يرد بمعنى الأمر نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾ البقرة 233، و﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ ﴾ (البقرة 228)"[2]، أي انتقل الخبر إلى الأمر (الإنشاء)، وفي هذه الحالة كان للسياق دورا بارزا في فهم هذا الانتقال.

2. مفهوم الفعل الكلامي وخصائصه:

تبلورت معالم الفعل الكلامي على يد الفيلسوف أوستين (J.Austin)، انطلاقا من محاضراته " التي ألقاها في جامعة هارفد سنة 1955 وجمعت في كتاب سمي " كيف نفعل الأشياء بالكلمات"، ثم قام جون سيرل (jSearle)، وغيره من البراغماتين بتطوير هذه النظرية أثناء السبعينات

[1] شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010، ص: 89

[2] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص: 193

والثمانيات"[1].

ويلخص أوستين ماهية الأفعال الكلامية بقوله: " النطق بالجمل هو انجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه"[2]. ويرى مسعود صحروي أن " مفهوم الفعل الكلامي speech act نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي، إنجازي وتأثيري"[3] وفي السياق نفسه يوضح أبو بكر العزواي معنى الأفعال الكلامية بقوله:" وهي أفعال لأنها تهدف إلى تحويل الواقع أو تغيير العلاقة مع العالم، وهي كذلك لطبيعتها القانونية والشرعية والمؤسساتية والاجتماعية، ثم إن التكلم واستعمال اللغة هو نوع من التعهد والالتزام ، وتحمل المسؤولية والواجبات"[4] . من خلال هذه التعريفات نستشف أن للغة– في ضوء نظرية الأفعال الكلامية– أداة لتغير الواقع والتأثير في النفوس والسلوكيات.

لقد اهتمت أفعال الكلام بوصفها من أهم منجزات الدرس التداولي" بدراسة الكيفية التي يكون فيها الاتصال أمرا أوسع من مجرد القول، ودراسة الشروط التي تجعل المنطوقات مناسبة وناجحة إنجازيا، ودراسة العلاقة بين أفعال الكلام وسياقاتها غير اللغوية، فهي نظرت إلى الملفوظ بوصفه فعلا لغويا (speech act) يدل عليه قصد المتكلم"[5] بمعنى دراسة الفعل

[1] محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص:34.

[2] أوستين، نظرية الأفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب،1991 ص: 16

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة لبنان، ط1، 2005، ص: 40

[4] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 119

[5] مؤيد آل صونيت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص:101

الكلامي تقتضي الاهتمام بالبعد السياقي، لأن السياق له دور لا يمكن تجاهله في التواصل.

3. مستويات الفعل الكلامي:

حسب أوستين يتضمن الفعل الكلامي في الآن نفسه " 1. فعل التلفظ : حقيقة أن المرء قال شيئا، قول الجملة بشكل مطلق، 2. فعل الإنجاز النظري الذي يشير إلى ما ينبغي أن يعمل بالقول، وما ينبغي أن يحدث، ويرسم هدف الإنجاز النظري للقول، مثلا: يحذر أحدا ويرجو أحدا ... 3. فعل الإنجاز التام الذي يصف أثر القول اللغوي في السامع، أي ما يسببه لدى السامع، مثلا فرح، أو غضب.."[1] أي للفعل الكلامي جوانب ثلاثة تحدد بنيته: حيث " يعد نشاطا ماديا نحويا، يتوسل أفعالا قولية actes loutoires لتحقيق أغراض إنجازية actes illauctoires (كالطلب والأمر والوعيد ....إلخ) وعادات تأثيرية actes perlocutiores تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)"[2].

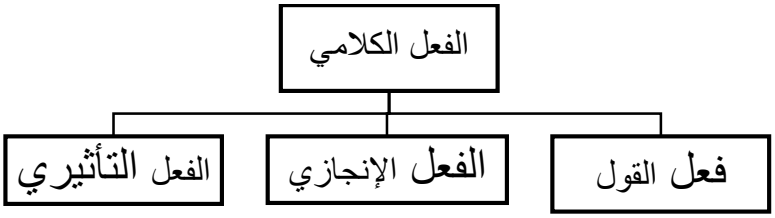

نستدل في هذا السياق لتبين الجوانب الثلاثة للفعل الكلامي بالتعقيب الأتي: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾، والذي جاء عقب قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ

[1] فولفجانج هاينة من ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب، مطابع جامعة، دط، 1999، ص: 63

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص: 40

﴿ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ (النساء 6)، فالفعل الكلامي هنا قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾، وهو فعل كلامي يتضمن ثلاثة أفعال مندمجة:

1. فعل القول: " الفعل الأساسي للتفوه بصيغة لغوية ذات معنى ويسمى فعل القول Louctionary act فإذا كنت تعاني من عوق يمنعك من تجميع الأصوات لإنتاج تفوه ما أو كنت تتكلم بلغة أجنبية لا تجيدها، فستفشل في إنتاج فعل القول "[1]، فهو التركيب الصوتي في شكل عبارة مفيدة لها معنى، حيث يتكون التعقيب﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾، من أربع وحدات لغوية: الواو، كفى، بالله، حسيبا، يشكل مجموعها بهذا النسق عبارة لها معنى.

2. فعل المتضمن في القول : " إننا لا نتتج تفوها سليم التكوين من دون قصد، إذ أننا نضفي على التفوه الذي نكونه قصدا محددا، وهذا هو البعد الثاني أو الفعل القصدي illocoutionay act إننا ننفذ الفعل القصدي عبر القوة التواصلية لتفوه ما، هذا ما يعرف عموما بالقوة القصدية للتفوه"[2] وفي التعقيب ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾، فعل قصدي متضمن في هذا القول، ألا وهو الوعيد الصادر من المولى ﷻ، والتحذير من عاقبة أكل أموال اليتامى وهو فعل إنجازي مستلزم.

3. الفعل التأثيري: "لا نُنْتج طبعا تفوها ذا وظيفة من دون أن ننوي أن يكون له تأثير، هذا هو البعد الثالث، البعد التأثيري perlocutionary act أي

[1] مجيد الماشطة وأمجد الركابي، مسرد التداولية، ص: 90

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تأثير تفوه يستخدم لتنفيذ فعل كلام واعتماد على الظروف"[1]. والتعقيب انطلاقا من معطيات السياق، يتضمن تحذيرا لكل مسلم يقرأ هذا الكلام، من أن يأكل أموال اليتامى ظلما، ومنه فهو يروم التأثير في النفوس بغية معرفة حدود الله.

مما سبق، يمكن القول بأن تطبيق نظرية الفعل الكلامي على الخطاب القرآني بصفة عامة والتعقيب بصفة خاصة يقترن بخصوصية كلام الله؛ فالقرآن الكريم كان له الأثر الواضح على سلوك العرب الجاهلين، فمنهم من أثر فيه كلام الله فأسلم كقصة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ومنهم من تكبر وعاند عند سماعه لكلام الله.

فالبعد التأثيري الخاص بالمتلقين لا يمكن أن يكون رد فعل واحد، فتأثير القرآن على الناس ليس مستوى واحد، فنلاحظ تأثيره على المؤمنين(تقشعر منه الجلود ثم تلين) في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ (الزمر 23).

وفي سياق الحديث عن رد الكافرين يقول تعالى:﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ (الأنفال 54)، انطلاقا من الآية الكريمة اتضح رد فعل الكافرين(آل فرغون) بتكذيبه لآيات الله الذي كانت عاقبته الهلاك.

وما يحسن التنبيه له أن الفعل المتضمن في القول هو أهم ما جاءت

[1] مجيد الماشطة وأمجد الركابي، مسرد التداولية، ص: 91.

به نظرية الأفعال الكلامية، وهو " المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك: السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد، وأمر، شهادة في محكمة..."[1] حتما يكون لها تأثير في المتلقي وواقعه سواء أكان هذا التأثير إيجابيا أم سلبيا، ويبرز الجانب التأثيري للفعل الكلامي عن طريق ردود الفعل التي يصدرها المتلقي. فقول القاضي في المحكمة: رفعت الجلسة، يعد فعلا كلاميا له أثر في الواقع، لأن "الفعل الكلامي يعني التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام"[2] فبموجب هذا القول، ترفع الجلسة حقيقة، هذا الفعل الكلامي اكتسب إنجازيته من سلطة القاضي في فضاء مؤسساتي محدد هو المحكمة، والتي تخول القاضي دون غيره التلفظ بألفاظ إنجازية، فلو تكلم رجل عادي بالجملة السابقة، لكان كلامه فارغا لا تأثير له على الواقع، وفي هذه الحالة يمكن تعريف الفعل الكلامي: "فعل مؤسساتي، فكثير من الأفعال اللغوية يرتبط إنجازها وتحقيقها بالعديد من المؤسسات الاجتماعية، لكن هذه الأفعال تنجز داخل اللغة وبواسطتها ومن هنا تسميتها بالأفعال الكلامية أو اللغوية. إنها أقوال بسبب طبيعتها اللغوية"[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى "أن بعض الأفعال الكلامية يرتبط نجاحها بظروف اجتماعية ومؤسساتية، إضافة إلى احترام القواعد النحوية واللغوية،

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص:56

[2] المرجع نفسه، ص: 8

[3] أبو بكر العزاوي اللغة والحجاج، ص: 119

كعقد الزواج والقرارات الصادرة عن القاضي فهي تحتاج إلى فضاء خارجي مؤسساتي يضمن نجاح وسريان تلك الأفعال الكلامية، على عكس بعض الأفعال الكلامية التي يتم انجازها بالفعل بمجرد التلفظ بها"[1] لكن هذا لا يعني أن التلفظ بأي كلام بدون الدواعي السياقية المناسبة يعد فعلا كلاميا، لأن الكلام في حد ذاته ليس هو المقصود ، بل ما يتضمنه هذا القول من قوى إنجازية في سياق ما، بغية التأثير في الواقع أو في سلوك المتلقي، وبهذا يقترن الفعل الكلامي بالسياق وبالقصدية،" فلا ينحصر الفعل الكلامي وأداؤه في طبيعته البنيوية المحايثة، بل تتعامل التداوليات مع الأفعال الكلامية على أنها تمثل مظاهر التعامل والتفاعل في آن واحد داخل الوسط الاجتماعي الذي بدوره شرطا لمواصفات الأنساق اللسانية، لكن المواصفات الاجتماعية تعد أيضا فضاء مفتوحا لتطور تلك الأنساق اللسانية"[2].

من هنا يتضح البعد الاجتماعي للفعل الكلامي، حيث يستلزم سياقا مشتركا للتفاعل التواصلي بين المتخاطبين، فلا تصدر الأفعال الكلامية بصفة عشوائية، بل لها مسوغاتها وإطارها الزماني والمكاني أو المؤسساتي، كإصدار الأحكام في المحكمة التي تقتضي ظروف مناسبة لذلك ويتفوه بها من له السلطة لذلك، وإلا فلا معنى لها.

---

[1] Dominique Maingueneau, pragmatique pour discours littéraire, Nathan voir, Paris, 2001, p : 14

[2] حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب، ص: 28

فمعلوم أن التداولية تعنى بدراسة اللغة في السياق، لذا " تبحث النظرية(الأفعال الكلامية) عن ضبط المعنى الخاص الذي يكتسبه الملفوظ أثناء فعل تلفظ جملة في وضعية سياقية معطاة، من ثم، فمفهوم فعل الكلام بوصفه فعلا للتلفظ يحظى بأهمية خاصة: اللغة لا تصلح فقط للإخبار أو تمثيل الأشياء أو العالم، بل تصلح أيضا لإنجاز الأفعال، فالتكلم يعني الإنجاز"[1].

ويرى " أوستين أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل:

- إنه فعل دال.
- إنه فعل إنجازي(أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- إنه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا"[2].

كما "يختص العمل في القول عند أوستين وسيرل بخصائص أبرزها طابعه الاصطلاحي واقتضاؤه لظروف مناسبة وقصديته، وهو ما يجعل دراسته دراسة تكشف قواعد تكونه داخل مؤسسة اللغة أمرا ممكنا، لذلك اعتبر العمل في القول الوحدة الدنيا للتخاطب اللغوي كما ذهب إلى ذلك سيرل بالخصوص"[3].

مما تقدم ذكره، يمكن إجمال خصائص الفعل الكلامي في الآتي:

- أنه فعل دال ذو تركيب لغوي سليم مفهوم، له معنى.

[1] إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص: 42

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص 44

[3] شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية مراجعات واقتراحات، ص: 63

- أنه فعل إنجازي، وهي أهم سمة تميزه، حيث تتميز الأفعال الكلامية بإنجاز أفعال معينة في سياق ما، كالتهنئة أو الشكر...
- أنه فعل تأثيري، أي تروم الأفعال الكلامية التأثير في الواقع والسلوكيات.
- أفعال قصدية تعبر عن رغبات أصحابها.
- أفعال سياقية وقد يكون السياق مؤسساتيا، وتعتمد درجة إنجازيتها وتأثيرها على السياق، كما يتم فهم مقاصدها في ظله.

4. أوستين والأفعال الكلامية:

إن الجديد الذي جاءت به نظرية الأفعال الكلامية أن اللغة ليست للوصف والإخبار فقط، بل هي تستعمل للإنجاز أفعالا متنوعة كالوعد والوعيد والتنصيب في العمل... كما تعد أفعالا تأثيرية لما تتركه من آثار في المتلقي أو في واقعه، في هذا الشأن " ميز أوستين بين نوعين من الجمل، أو الملفوظات، يقتصر الأول على الوصف أو التقرير constqtives مثل تناولت طعام الإفطار، بينما يتجاوز الثاني ذلك إلى الأداء و الإنجاز أو الفعل performataves من قبيل أعتذر، افتح الباب من فضلك، بل يرى بعض شراح النظرية أن كل التلفظات والجمل هي في نهاية الأمر أفعال، حتى التقرير والوصف والأخبار أفعال"[1]. وبهذا " في مقابل ثنائية الصدق والكذب للصيغ الوصفية توجد ثنائية النجاح والإخفاق للصيغ الإنشائية"[2]، أي اللغة في ظل نظرية الأفعال الكلامية هي للإنجاز والتأثير.

[1] بهاء الدين محمد يزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص:51

[2] ينظر، جاك موشلار، ربيول آن، القاموس الموسوعي للتداولية: ج1، ص: 57

كما" يصنف أوستين أفعال الكلام إلى خمسة أصناف:

الحكمية: Verdictifs: وتقوم على الإعلان عن حكم، مثل: إخلاء الذمة...

التمرسية Exercitifs: وتقوم على إصدار قرار لصالح، أو ضد، مثل: أمر، وقاد، ودافع عن، وترجى، وطلب، وتأسف، ونصح، وكذلك: عيّن، وأعلن عن بداية جلسة، وأغلق، ونبه، وطالب.

التكليف commissifs: ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثل : وعد، وتمنى، والتزم بعقد، وضمن، وأقسم، والقيام بمعاهدة، والاندماج في حزب

العرضية Expositifs: وتستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات، وضبط مراجع، مثل: أكد، وأنكر وأجاب، واعترض، ووهب، مثل، وفسر، ونقل أقوالا.

السلوكيات coportementaux: ويتعلق الأمر هنا بردود فعل تجاه سلوك الآخرين وتجاه الأحداث المرتبطة بهم، إنها تعابير مواقف تجاه السلوك والمصير، مثال: الاعتذار والشكر والتهنئة، والترحيب والنقد والتعزية، والمباركة..."[1].

5. سيرل والأفعال الكلامية:

لقد تبلورت معالم نظرية الأفعال الكلامية على يد أوستين وطوره تلميذه سيرل الذي" أعاد تناول أوستين وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسة هما: المقاصد والمواضعات، وبالفعل يمكننا اعتبار الأعمال اللغوية والجمل التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد

[1] فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية: ص: 63

وتحقيقها"[1]. وفي هذا إشارة مهمة إلى البعد الاجتماعي للغة، حيث تضبط الأفعال الكلامية في حدود ما يتواضع عليه المتكلمون، للتعبير عن مقاصدهم.

كما أن " لمفهوم القصدية intentionnalité دور في فهم وتحليل العبارات اللغوية، وهو مبدأ أخذه من الفيلسوف هوسرل والظاهراتيين، واستثمره في تحليل العبارات اللغوية، وتتجلى مقولة القصدية بالخصوص، في الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب، في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية"[2]، بعبارة موجزة: للمقاصد دور في تشكيل الأفعال الكلامية وبنائها على نحو معين بما يتوافق ومعطيات السياق، حيث إن" استعمال اللغة أو التكلم سلوك معقد مقصود، وأنه يتمثل في إنجاز أفعال لغوية وفق القواعد التي تحكم استعمال العناصر اللغوية"[3].

وبهذا يمكن القول بأن نظرية الفعل الكلامي لا تخرج عن الإطار العام للتواصل، تقوم على ما تواضع عليه المتخاطبون، كما أنها فعل قصدي يتوخى صاحبه التأثير في المتلقي بشكل من الأشكال.

والجديد الذي جاء به سيرل أيضا أنه " أضاف عنصرا ثانيا في فعل القول وهو المحتوى القضوي ويقصد به القضية التي هي محور الحديث ومرجعه في الفعل النطقي، فتصبح جوانب الفعل الكلامي حسب سيرل:

---

[1] آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص:33

[2] مسعود صحرواي، التداولية عند العلماء العرب، ص:8

[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:117

أ. فعل القول:1. الفعل النطقي: النطق الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح، 2. الفعل القضوي: ويتمثل في المرجع محور الحديث، والقضية المطروحة في الفعل النطقي، ب. فعل الإنجاز: وهو ما يقصده المتكلم بهذا الفعل القولي، ج. الفعل التأثيري: ما يخلفه هذا القول من أثر في المتلقي."[1] يقول سيرل في هذا الشأن: " أ. قول كلمات: إنجاز أعمال قولية، ب. الإحالة والحمل: إنجاز أعمال قضوية، ج. إنجاز أعمال مضمنة في القول، الإثبات، الاستفهام، الأمر، والوعد"[2]، ثم يضيف قائلا: "أود الآن أن أردف هذه المفاهيم الثلاثة بمفهوم أوستين حول أعمال التأثير بالقول، إذ يرتبط مفهوم الأعمال المضمنة في القول بالنتائج والتأثيرات التي يمكن أن تستتبعها هذه الأعمال في أفعال السامعين أو أفكارهم أو معتقداتهم إلخ، فمثلا بواسطة المحاججة قد أحمل شخصا ما على الاعتقاد في شيء ما أو أقنعه به، وعبر تحذيره قد أخيفه أو أفزعه، ومن خلال طلب شيء منه قد أحمله على فعل ذلك الشيء"[3] كما يرى أن هذه الأفعال ليست منفصلة تتم في فترات متباعدة، بل هي أفعال مندمجة تشكل فعلا كلاميا واحدا"[4].

وقد "ركز سيرل اهتمامه على الأعمال المتضمنة في القول، ولم يحفل كثيرا بالأعمال القولية، يتمثل إسهامه الرئيسي في التميز داخل الجملة بين

---

[1] ينظر: علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية في معجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص: 52 وص: 62

[2] سيرل، الأعمال اللغوية، بحث في فلسفة اللغة، ص: 50

[3] المرجع نفسه، ص: 52

[4] ينظر، المرجع نفسه، ص: 50.

ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حد ذاته، وهو ما يسميه واسم القوة المتضمنة في القول"[1] وهو جوهر هذه النظرية؛ أي إنجاز الأفعال بالأقوال، ويقول في هذا الشأن: "الأعمال القولية والأعمال القضوية ليستا بوسائل من أجل بلوغ مآرب، والأحرى أن تكون الأعمال القولية بالنسبة إلى الأعمال القضوية والأعمال المضمنة في القول ما يكونه مثلا وضع علامة (×) على ورقة التصويت بالنسبة إلى عملية الانتخاب"[2].

نستدل بهذا التعقيب القرآني الوارد في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة 91)، التعقيب: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ أي " منزجرون عن إتيانهما، والاستفهام فيه استفهام تهديدي بمعنى الأمر، وهو أبلغ من الأمر صريحا"[3]، والفعل القولي: النطق بهذه الجملة بشكل سليم نحويا ودلاليا، حيث جاء بصيغة الاستفهام، وهو يعبر عن محتوى قضوي: يتضمن خطابا للذين صدهم الخمر والميسر عن ذكر الله وعن الصلاة وفحوى القضية هل ستنتهون عن الخمر والميسر بعد أن عرفت أن الشيطان يريد أو ينشر بينكم العداوة والبغضاء، وهو فعل كلامي طلبي، وهو – انطلاقا من السياق– فعل كلامي غير مباشر، لأن الاستفهام غير مقصود، لكن الفعل المتضمن في هذا القول(المقصود) هو الأمر (أي انتهوا) وهو الفعل الإنجازي لهذا التعقيب، والفعل التأثيري يخص المتلقي

[1] ينظر: آن ريبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 33

[2] سيرل، الأعمال اللغوية، ص:51

[3] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج8، ص:58

قارئ هذه الآية الكريمة، والمفترض منها إحداث ترهيب ونفور من الخمر والميسر بعد الاقتناع بالحجة المذكورة فيها(الشيطان يوقع العداوة والبغضاء).

وبحسب السياق الذي يتحكم في مقاصد الأفعال الكلامية وكيفية التوصل إليها "يصنف سيرل الأفعال اللغوية صنفين: أفعالا لغوية مباشرة وأفعالا لغوية غير مباشرة ويقترح انطلاقا من هذا التصنيف نسقا من القواعد الاستدلالية لوصف قدرة المخاطب على استنتاج وإدراك الفعل غير المباشر في مقام معين أو طبقة مقامية معينة"[1]، أي تعتمد الأفعال الكلامية غير المباشرة على معطيات السياق، وعلى مدى استثمار المتلقي لكفاءته التداولية من استدلال واستنتاج، نستدل بهذا التعقيب القرآني:(أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ الصافات 154/151، التعقيب: ﴿ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ وهو فعل كلامي غير مباشر ظاهره أي الصيغة الحرفية (الفعل النطقي)استفهام وهو غير مقصود انطلاقا من السياق، لكن مقصده الخفي هو إظهار تسفيه وتجهيل الذين يجعلون لله ولدا، لذا يحمل هذا التعقيب أيضا معنى التعجيب من صنيعهم وتجرئهم على الله.

مما سبق يتبين أن الأفعال الكلامية غير المباشرة أفعال سياقية، " فمن الإشكاليات المركزية في تداولية أفعال الكلام إشكالية أفعال الكلام غير المباشرة indirect speech acts جوهر هذه الإشكالية المسافة بين القول

[1] أحمد المتوكل، الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة، من كتاب التداوليات ص: 295

والمقصد وطبقات المعنى المتعدد، بين معنى قضوي حرفي literarl propositional meaning والفعل الذي ينجزه المتكلم في السياق. المتكلم لا يقول ما يعنيه في كل المناسبات"[1]. والسياق في هذه الحال هو الفيصل في ترجيح المقاصد التي يريد المتكلم تبليغها.

كما تتجلى مساهمته في هذه النظرية التداولية " في تحديده للشروط التي بمقتضاها يُكلل عمل متضمن في القول بالنجاح، فيميز بين القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل (يتحدث المتخاطبون اللغة نفسها، ويتحدثون بنزاهة.... إلخ)، وقاعدة المحتوى القضوي (يقتضي الوعد من القائل أن يسند إلى نفسه إنجاز عمل في المستقبل)، وقاعدة النزاهة ذات الصلة بالحالة الذهنية للقائل (ينبغي عليه أن يكون عند الإثبات أو الوعد نزيها)، ويقتضي الوعد أو التقرير التزام القائل بخصوص مقاصده أو اعتقاداته"[2] وهي شروط في عمومها تراعي حيثيات السياق وأحوال المخاطبين ومقاماتهم.

"وفي ظل عدم اكتمال الرؤية ووضوحها لدى أوستين نحو هذه الأفعال تقدم جون سيرل بتصنيف خماسي آخر، حاول من خلاله سد الكثير من الثغرات التي أحاطت بتصنيف أوستين، مثل عدم شمولية هذا التقسيم، وإهماله لبعض الصور الإنجازية التي ضمنها سيرل مجالاته التي قدمها،

[1] محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ص: 314

[2] آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص: 34

كما أن هذه التقسيمات غاب عنها وجود فروق دقيقة توضح ماهية كل قسم على حدة"[1]، فقد صنف سيرل أفعال الكلام إلى خمسة أنواع":

- الإعلانات declarations: أو الأفعال الإيقاعية، وهي أفعال الكلام التي تغير الحالة بمجرد التلفظ بها، مثل: الوصية، القسم، الدعاء... إلخ، وقد يتوجب على المتكلم تقمص دور مؤسساتي في سياق معين، كقول الحكم: أنت مطرود، وباستعمال الإعلانات يغير المتكلم العالم عبر الكلمات.
- الممثلات representatives: أو الإخباريات وهي التي تبين ما يؤمن به المتكلم، وتمثل جمل الحقيقة والجزم والاستنتاجات والأوصاف، وباستعمال الممثلات، يجعل المتكلم الكلمات تلائم العالم.
- المعبرات expressuves: أو التعبيريات وهي التي تبين ما يشعر به المتكلم، فهي تعبر عن حالات نفسية، من حزن ورضى وغضب... إلخ، وباستعمال المعبرات يجعل المتكلم الكلمات تلائم العالم
- الموجهات directives: أو الأفعال الطلبية: الدالة على طلب، وهي التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصا آخرا يقوم بشيء ما، وباستعمال الموجهات يحاول المتكلم جعل العالم ملائما للكلمات.
- الملزمات commissives: أو الأفعال الالتزامية وهي التي يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل مستقبلي، لأنها تعبر عما ينويه المتكلم،

[1] علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص: 212

وهي وعود وتهديدات وتعهدات، وباستعمال الملزمات يأخذ المتكلم على عاتقه جعل العالم ملائما للكلمات"[1].

6. جذور نظرية الأفعال الكلامية في التراث العربي:

صحيح أن الأفعال الكلامية غربية المنشأ، لكن هذا لا يعني غياب ملامح لها في تراثنا اللساني المتشعب، ولعل" علم البلاغة من أهم العلوم التي تؤكد الارتباط بين دراسة اللغة واستعمالها في سياقها التداولي، للوصول إلى قوتها الإنجازية والبلاغة والتداولية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة ووسيلة حجاجية للتأثير في المتلقي"[2] وفي هذا إشارة إلى الجانب التأثيري للبلاغة في مراعاتها لحيثيات المقام، ولعل مقولة لكل مقال مقام، خير دليل على وجود إرهاصات تداولية في البلاغة العربية.

ومن تلك الإرهاصات نظرية الأفعال الكلامية التي تجلت في علم المعاني، وفي هذا السياق يقول أحمد المتوكل:" من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية (الخبر/الإنشاء) التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية (الوصف/الانجاز)، كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء، فالجملة الخبرية عندهم: هي الجملة التي تحتمل الصدق أو الكذب في حين الجملة المتوفرة فيها خاصيتان:

أ. أنها لا تحمل الصدق أو الكذب

[1] ينظر: جورج يول، التداولية، ص:91/90، وخليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص:142، 155.

[2] أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص: 35

ب. أن مدلولها يتحقق بمجرد النطق بها"[1]

كما توجد إشارة ضمنية إلى الأفعال الكلامية غير المباشرة بوصفها أفعالا سياقية ، يتحدد مقصدها حسب السياق الذي ترد فيه، فقد " تنبه القدماء لذلك، كما ورد عند السكاكي فقد حصر قانون الطلب في خمسة أبواب هي: التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء، إذ يتولد عنها معان أصلية، إذا أجراها المرسل بشروطها في سياقات مناسبة، أما إذا امتنع إجراء هذه الأبواب على أصلها، فإنه يتولد منها ما يناسب المقام من معان غير المعاني الأصلية"[2].

إذا كان جديد نظرية الأفعال الكلامية هو الجانب الإنجازي للغة أي: كيف ننجز أفعالا باللغة، وعدم حصر دورها في الوصف والإخبار، فإن هذا نظير هذا موجود في تراثنا؛ حيث توجد " أفعال لا يمكن إنجازها إلا بالتلفظ بالفعل اللغوي صراحة، مثلما يعرف في الفقه الإسلامي، بصيغ العقود، والزواج والطلاق، والتشهد وغيرها كثير"[3]، وهي صيغ تنجز أفعالا في الواقع ولها جانب تأثيري، " لذلك فقد وقع الخلاف بين الفقهاء في مدى الاكتفاء ببعض الخطابات من المرسل وهل تعد إنجازا أم لا، بيد أنهم قننوا صيغا معينة للبعض منها وفرضوا شروطا لغوية وعرفية لا يتأتى إنجاز

[1] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب المتحدة، بيروت، ط2، 2010، ص: 42

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 389.

[3] المرجع نفسه، ص: 138

الفعل اللغوي إلا عن طريق توفر العرفية"[1] وهذا ما يقابل تداوليا السياق ودوره في إنتاج الأفعال الكلامية وفي فهمها.

من المحطات التراثية المهمة التي تجلت فيها مباحث تداولية علم الأصول "فالنص الأصولي نص يعمد إلى تجريد قواعد تتصل بالمكلفين تتصل بفئة من الناس عليهم أن يطبقوا أفعالا وسلوكات وممارسات، وعليه فإن قيمة النص الأصولي بالنسبة إلى الدرس اللساني الحديث عامة، والدرس التداولي خاصة، متمثل في الجانب الذرائعي النفعي في النصوص الشرعية"[2]، إن هذا التوجه البحثي الأصولي يقابل جوانب عديدة النظرية التداولية بمسميات مغايرة، فقد أولى "الأصوليون عناية خاصة بالإنشاء دون غيره من أفعال الكلام بالعناية والتمحيص لما له علاقة بإنفاذ الحكم والتكليف، أي لصلته بالأحكام التي هي هدف المشرع ومناط التكليف، فخصوه دون غيره ببعد نظر وتأمل"[3]، فمعلوم أن الخطاب الأصولي يعنى باستنباط الأحكام والتكليف وما يتعلق بالممارسات والعبادات، بمعنى أنه يهتم بدراسة أفعال كلامية بطريقة وإن لم يوجد هذا المصطلح في البحث الأصولي.

ومن العلوم العربية التي تجلت فيها أبعاد تداولية، علم النحو الذي اهتم بتعابير وتراكيب ذات طابع إنجازي تأثيري، ومن التراكيب النحوية

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري، ص: 41

[3] مختار درقاري، الآليات التداولية لتحليل الخطاب من وجهتي نظر الأصوليين والتداوليين المحدثين، مجلة الندوة الدولية الثانية (قراءة في التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة)، جامعة الملك سعود، السعودية، 2014، ص: 243

التي نستدل بها هنا، الردع: " بمعنى الزجر، نقول لشخص: فلان يبغضك، فيقول: كلا، ردعا لك، أي: ليس الأمر كما تقول"[1]، والردع تركيب نحوي يكون ب"كلا" يؤتى به في سياق الزجر من أجل التأثير في المتلقي، وهو من منظور تداولي فعل كلامي إنجازي تأثيري، يتضمن معنى الطلب(الكف)، ولهذا السبب يصنف ضمن التوجهيات بمفهوم سيرل.

7. الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني:

مما لا شك فيه أن الخطاب القرآني خطاب مؤثر، يروم تغيير المعتقدات الفاسدة والسلوكات المنحرفة، بأساليب لغوية متنوعة متوافقة مع سياقاتها ومقاصد القرآن الكريم، لذا " يمكن القول إن الخطاب القرآني مَثَّلَ فعلا كلاميا واحدا، عبر أفعاله الكلامية المتعددة، ويهدف إلى تغيير واقع المتلقي من الضلالة إلى الهداية"[2]، وإذا كان التعقيب لا يخرج عن المقاصد العامة للسورة أو القرآن بأكمله، فإنه هو الآخر يهدف إلى التأثير في النفوس بوصفه آخر مقطع تختم به الآيات أو القصص، مما جعله يشتمل على أفعال كلامية متنوعة تَنوع القضايا التي جاء عقبها، ونحاول رصد أهم تجلياتها في الخطاب القرآني تجنبا التكرار، لكونه شغلا حيزا كبيرا من آي القرآن وسوره وقصصه.

- **المبحث الثاني: الإخباريات والتوجيهيات في التعقيب القرآني:**

1. الممثلات (الإخباريات):

[1] الرضي، شرح الرضي على الكافية، يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، ص: 478

[2] مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص: 126

جاء هذا النوع من الأفعال الكلامية بصيغ متنوعة في التعقيب القرآني" والغرض منها تحمل المتكلم مسؤولية القضية المعبر عنها، وتتميز التقريريات بأن اتجاه المطابقة يكون اتجاها من القول إلى العالم، أي يكون القول مطابقا للوقائع والأحداث الموجودة في العالم الخارجي، كما تتميز بصدورها عن انطباع عُبر عنه بالاعتقاد"[1]، أي" إن الغرض الإنجازي العام هنا هو التقرير، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها"[2]، ويحسن التنبيه هنا إلى أن كل الإخباريات الواردة في التعقيب القرآني صادقة من دون أدنى شك، لأنها صادرة من الله عز وجل، وهي تشمل كل الجمل الخبرية المثبتة أو المنفية، وهذا مابيرز سمة تميزت بها الإخباريات القرآنية. ولكثرة التعقيبات القرآنية سنقتصر على بعض منها محاولين رصد مقاصد مختلفة تجنبا للتكرار، كما نحاول استنتاج الفعل التأثيري المستلزم في كل تعقيب، بمعنى الفعل التأثيري المفترض؛ لأنه خاص بالمتلقي وردود فعله وبمدى تأثره بكلام الله، وهو تأثر تختلف درجته من شخص إلى آخر.

- **التعقيب بأسماء الله الحسنى:**

من الإخباريات التي تكررت في التعقيب القرآني، ما جاء تركيبها بأسماء الله الحسنى بصيغة التأكيد، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ

[1] المرجع نفسه، ص:103/102

[2] علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية في معجم سياقي، ص:69

نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (النساء 58)، التعقيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾، وهو فعل كلامي جاء بصيغة الإخبار محتواه القضوي: تأكيد السمع والبصر لله عز وجل، أو بعبارة أخرى تقرير قدرة الله التي تحيط بكل شيء، يتضمن فعلا إنجازيا: التحذير من انتهاك حدود الله في أداء الأمانة والحكم بالعدل، والفعل التأثيري المفترض لمن تدبر كلام الله هو الخوف من عواقب مخالفة أوامره عدم أداء الأمانة، والحكم بغير العدل، لأن الله سميع بصير.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ (النساء 56)، التعقيب:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ وهو فعل كلامي إخباري منسجم مع القضية التي جاء عَقِبها، حيث يتمحور محتواها على عذاب الكافرين الذي هو من تقدير المولى عز وجل " ﴿كَانَ عَزِيزًا﴾ أي قادرا غالبا لا يمتنع عليه شيء مما يريده مما توعده به أو وعد، ﴿حَكِيمًا﴾ أي: لا يفعل إلا الصواب، فيعاقب من يعاقبه على وفق حكمته"[1]، إذا المحتوى القضوي هو تقرير العزة والحكمة لله تعالى في تقدير العذاب للكافرين، وبهذا تتجلى القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي في الوعيد للكافرين المكذبين بكلام الله، والفعل التأثيري المستلزم من الفعل الإنجازي هو الخوف والرهبة من عذاب الله الأليم الذي هو حق لا مراء فيه .

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن الكريم، ج6، ص: 139

يقول تعالى:﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (البقرة20)، وهو فعل كلامي إخباري منسجم مع القضية التي تسبقه" إنَّما وصف تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع؛ لأنَّه حذّر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه محيط بهم، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قادر"[1]، بهذا يتجلى الفعل القضوي: توكيد القدرة التامة لله تعالى، والفعل الإنجازي: تقرير عظمة الله تعالى ووحدانيته، وقد تتكرر هذا التعقيب في سياقات مختلفة، تبرز قدرة الله، منها، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾(البقرة 148)، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(النحل 77)، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (النور16)، وقوله تعالى:﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (العنكبوت 20)، والملاحظ لهذه الآيات الكريمة التي ختمت بهذا التعقيب، يجد اشتراكها في دلالة واحدة: دلائل قدرة الله التي لا نظير لها، والفعل الإنجازي: تقرير لعظمة الله ووحدانيته المتجلية في دلائل قدرته أما عن الفعل التأثيري فكما وضحنا سابقا هو خاص بردود المتلقي، وفي هذا

[1] المرجع نفسه، ج1، ص: 199

التعقيب يمكن أن يكون الفعل التأثيري المستلزم هو الشعور بالآمان لأن الله قادر على كل شيء، أو قد يكون في سياق آخر الخوف من الله ومن عقابه.. إلخ.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ (الحج 17)، التعقيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾، الفعل القضوي: جاء مؤكدا بأداة توكيد (إن) تؤكد إحاطة الله بكل شيء، فلا يعجزه اختلاف الملل ولا ينقص هذا شيئا من عظمته، يعلم ما تخفيه الصدور، والفعل الإنجازي: تقرير لعظمة الله القادر على جمع عباده – على اختلاف معتقداتهم– يوم القيامة والفصل بينهم، والفعل التأثيري المستلزم هو الخوف من الله لأنه محيط بكل شيء.

- **التعقيب بالحصر:**

يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾(آل عمران 185)، التعقيب: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ وهو فعل كلامي إخباري جاء بصيغة الحصر، وفعله القضوي: إبراز حقيقة الحياة الدنيا فهي متاع فان، ومن هنا نستنتج الفعل الإنجازي(فعل كلامي غير مباشر) والمتمثل في التحذير من عاقبة اللهث وراء متاع الدنيا ونسيان الآخرة، والفعل التأثيري المستلزم هو التدبر في كلام الله والاستعداد للآخرة والتحرر من قيود الدنيا الفانية.

- **التعقيب المُصَدَرُ ب(بل):**

التعقيب ب (بل) من التعقيبات التي تندرج ضمن الإخباريات، وهي " إضراب عن الأول وإثبات للثاني"[1]، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت 49/47)، التعقيب: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وهو حكم إلهي على ما سبق في الآيات الكريمة، استفتح ب (بل)، أي " إضرابهم عن ارتيابهم؛ أي: ليس القرآن مما يرتاب فيه، لكونه في الصدور، وكونه محفوظا بخلاف غيره من الكتب، فإنه لا يقرأ إلا في المصاحف"[2]، والفعل القضوي : حفظ القرآن في الصدور، ونسبة الجحود (جحود القرآن) للظالمين، الفعل الإنجازي تقرير الثناء على القرآن الكريم، وآية ذلك حفظه من التزيف والتحريف، وتميزه عن سائر الكتب السماوية، الفعل التأثيري المستلزم حب القرآن وتدبره وحفظه.

- **التعقيب المُصَدَر ب(بلى):**

التعقيب ب(بلى) من الإخباريات، فهي "تكون إثباتا لمنفي قبلها"[3]، جاءت في سياق الرد على الكفار في العديد من الآيات، كقوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥ

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص:103

[2] محمد الأمين بن عبد الله الارمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن الكريم، ج 22، ص:21

[3] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص: 103

أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة112/111)، التعقيب:﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهو رد صادر من الله عز وجل، اُستفتح ب(بلى)" إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة؛ لأن بلى لإثبات النفي؛ أي: يدخلها غيركم"[1]. وبهذا يكون الفعل القضوي: يتضمن رد الله عز وجل على اليهود والنصارى والمتمثل في أن الجنة يدخلها من أخلص النية والعمل لله وحده، وهو من الفائزين، والفعل الإنجازي: تفنيد مزاعم اليهود والنصارى والتأكيد والتقرير بأن الجنة يدخلها من أخلص الإيمان بالله وحده لا شريك له، والفعل التأثيري المفترض الترغيب في نعيم الله.

جاء التعقيب ب(بلى) أيضا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (يس 81)، التعقيب:﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ جاء بهذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم، وهو يتضمن فعلا قضويا: الحديث عن قدرة الله على الخلق والعلم، كما يظهر الفعل الإنجازي انطلاقا من سياق الآيات الكريمة في إثبات قدرة الله على الخلق وإعادته وعلمه بكل شيء، والفعل التأثيري المفترض الخوف من الحساب والاستعداد له.

نظير التعقيب السابق في تقرير قدرة الله، قوله تعالى:﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، ج2، ص:208

ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (الأحقاف33)، التعقيب:﴿ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، والفعل الإنجازي هنا: تقرير قدرة الله في إحياء الموتى، ونظيره أيضا ما جاء في سورة التغابن، يقول تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ (التغابن7)، التعقيب: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِير﴾ الفعل الإنجازي: تقرير قدرة الله على البعث والمحاسبة، والفعل التأثيري المستلزم هو الخوف من الحساب والاستعداد له.

- **التعقيب بالنفي:**

من أمثلة التعقيب بالنفي قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ الكهف 49 ، التعقيب: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ ، الفعل القضوي: نفي الظلم عن الله، والفعل الإنجازي: الوعيد من خلال تقرير الحساب العادل يوم القيامة؛ فيومئذ لا يظلم أحد، والفعل التأثيري المستلزم الخوف من حساب الله تعالى.

- **التعقيب بالاستدراك:**

يعد الاستدراك ب (لكنّ) من أمثلة التعقيب بالإخباريات، مثل قول تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(الأعراف 187)، التعقيب:﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، الفعل القولي: التركيب اللغوي الذي جاء بأسلوب استدارك ب (لكن)، والمحتوى القضوي: أكثر الناس لا يعلمون أن أمر الساعة بإذن الله وحده، والفعل الإنجازي:" تعريض بمن يجهلون حقيقة الساعة التي اختص الله بعلم وقتها"[1]، كما يتضمن معنى الحث؛ حث المؤمنين بالساعة على الاستعداد للقاء الله بالعمل الصالح، والفعل التأثيري المفترض حب الله الذي يبصر عباده إلى الصراط المستقيم.

- **التعقيب المُصَدَر ب(لاجرم):**

جاء التعقيب ب(لا جرم) خمس مرات في القرآن الكريم، أربعة منهم صادرة عن الله وواحد غير صادر عن الله تعالى.

التعقيب	السورة و الآية
1﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ 2﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ 3﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ 4﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾	هود 22 النحل 23 النحل 62 النحل 109
﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾	غافر 43 (تعقيب صادر عن الرجل الذي

[1] ينظر، أبو السعود، تفسير إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ج3، ص: 301

	آمن من قوم فرعون)

جاء في الصاحبي لابن فارس:" لا جرم بمعنى حُق، ذكر ناس أنها بمعنى: لا بد ولا محالة"[1]، وجاء في شرح هذا التركيب القرآني في تفسير حدائق الروح والريحان" لا جرم: كلمة مركبة من كلمتين: حرف وفعل، فقد ركبت لا جرم وجعل كلمة واحدة، وتلك الكلمة مصدر بمعنى حقا، أو فعل بمعنى حقَّ وثبت"[2] . وانطلاقا من الجدول أعلاه، يتضح أن لا جرم جاءت في سياقات مختلفة، كقوله تعالى في سورة هود: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ (هود 22)، وهو تعقيب استفتح ب(لا جرم)، وقد جاء في تفسير إرشاد العقل شرح لمدلولاتها في هذه الآية الكريمة: " لا جرم فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك حق (أنهم في الآخرة هم الأخسرون) وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام أي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل ذلك إلا ظهور خسرانهم والثالث: أن لا جرم بمعنى لابد؛ أي لابد أنهم في الآخرة هم الأخسرون، وأيا ما كان فمعناه أنهم أخسر من كل خاسر فتبين

[1] ابن فارس، الصاحبي، ص:107

[2] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن الكريم، ج15، ص: 171

أنهم أظلم من كل ظالم، وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من إنكار"[1]

وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ فعل كلامي محتواه القضوي: خسارة الكفار في الآخرة، وفعله الإنجازي: إثبات عاقبة الذين افتروا على الله الكذب وصدوا عن سبيله والمتمثلة في الخسران يوم القيامة، انطلاقا من سياق التعقيب في قوله:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ١٩ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ (هود 22/18)

وقد تكرر هذا التعقيب نفسه في سورة النحل الآية 109، وفعله الإنجازي أيضا تأكيد وإثبات لخسارة الكافرين، كما جاء تعقيب آخر في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل 23)، وهو فعل كلامي أُستفتح ب(لا جرم)، فعله القضوي: عِلْمُ الله بما يعلن ويسر الكافرون وأنه لا يحب المستكبرين عن توحيده، أما الفعل الإنجازي فهو إثبات قدرة الله في معرفة ما يخفي الكافرون وما يعلنون، هذا الإثبات الذي يتضمن معنى الوعيد للكافرين المستكبرين عن عبادة الله وتوحيده والمنكرين للآخرة، وسياق التعقيب هو قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ص: 1057

يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ (النحل: 22/20).

والتعقيب الآخر جاء في سورة النحل قوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۖ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ (النحل: 62)، وجاء في تفسير التعقيب في نظم الدرر للبقاعي:" ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا ظن ولا تردد في أن ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ التي هي جزاء الظالمين ﴿وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ أي مقدمون معجلون إليها بتقديم من يسوقهم وإعجاله لهم؛ وقال الرماني: متروكون فيها، من قول العرب: ما أفرطت ورائي أحدا، أي ما خلفت وما تركت، وقرأ نافع بالتخفيف والكسر، أي مبالغون في الإسراف والجراءة على الله"[1] مما سبق يتضح أن المحتوى القضوي: إن مصير الكفار النار، والفعل الإنجازي: الوعيد لما تضمنه التعقيب من تأكيد وإثبات لمصير الكاذبين على الله.

إجمالا، الإخباريات التي جاء بها التعقيب القرآني صادقة، لأنها صادرة من الله تعالى، هذا مايبرز تميز الاخباريات القرآنية، وهي تشمل كل الجمل الخبرية المثبتة أو المنفية، مثل التعقيب بأسماء الله الحسنى التي جاءت بصيغة تأكيد، أوالتعقيب ب (لا جرم)، ب(بل) وبلى...

التوجيهات في التعقيب القرآني:

وهي الأفعال الطلبية التي تتضمن توجيها للمتلقي، وقد وردت بكثرة في الخطاب القرآني في سياقات متعددة كالتكليف والتحريم والنهي...إلخ ،

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج4، ص: 282

كما وردت في التعقيب القرآني بأساليب مختلفة و" الغرض منها حمل المخاطب بدرجات مختلفة على أداء عمل معين، ومما تتميز به التوجيهات:

1. أن يكون المُخاطَب هو المسؤول عن إحداث تلك المطابقة.
2. أن يكون الفعل المطلوب من المُخاطَب في زمان المستقبل
3. أن يكون المُخاطَب قادر على الامتثال"[1]، وتسهيلا للدراسة تم تقسيم هذه التوجيهات الواردة في التعقيب القرآني إلى النقاط الآتية:

- **الأمر:**

يصنف بلاغيا ضمن الأساليب الإنشائية الطلبية، لكن ما يهمنا في هذا البحث هو البعد التداولي؛ أي الجانب الإنجازي التأثيري لها في سياق ما"، أما بالنسبة لفعل الأمر، فإن إنجازه يتمثل في محاولة دفع المخاطب للقيام بفعل معين، ومعلوم أن المتكلم لا يصدر أمرا إلى من هو أمامه إلى إذا كان راغبا فعلا في أن ينفذه، ومعلوم أيضا أنه لا يمكن أن يصدر أمرا إلى مُخاطَبه إلا إذا كان قادرا على ممارسة سلطته ونفوذه عليه"[2]، والخطاب في التعقيب القرآني صادر من الله عز وجل بوصف التعقيب حكم إلهي، والأمر قد يكون فعلا كلاميا مباشرا أو غير مباشر حسب السياق.

وما يحسن التنبيه له في هذا السياق، أن " أفعال الأمر في التعقيبات القرآنية هي أكثر صور الأمر القياسي حضورا ؛ إذ يتم توظيف القيمة الدلالية لأسلوب التعقيب لترسيخ بعض الأمور ذات الأهمية البالغة في

[1] مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني، دارسة في البعد التداولي، ص: 106

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 123

الدين" [1]، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ (الحشر2)، التعقيب: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ وهو فعلا كلامي مباشر يتضمن التوجيه، جاء بصيغة الفعل الأمر(اعتبروا)، وهو صادر من الله عز وجل موجه لأصحاب العقول الراجحة ليأخذوا العبرة من خاتمة الأمم الكافرة من أهل الكتاب.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَاَنُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (المائدة2)، التعقيب: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ جاء الفعل الكلامي مستهلا بفعل الأمر(اتقوا) وهو فعل كلامي مباشر، محتواه القضوي: الدعوة إلى الخوف من الله والامتثال لأوامره وعدم انتهاك حدوده، لأن عقابه شديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، ومن هنا يتبين أن الفعل الإنجازي المستلزم من البنية الحرفية(فعل كلامي غير مباشر): وعيد شديد لمن لا يمتثل لأوامر الله في إتباع ما أحل الله والتعاون على البر والتقوى، كما تضمن تهديدا عظيما جَسَّدَهُ التوكيد الآتي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، لمن أتى نواهي الله.

[1] مراد العرابي، التعقيبات القرآنية المفهوم والأشكال والأغراض، ص:159

ومما تجدر الإشارة إليه، أن فعل الأمر(اتقوا) جاء في الكثير من التعقيبات القرآنية، وفي سياقات مختلفة، " ويكثر هذا الأسلوب في القرآني المدني عقب الآيات المتعلقة بالأحكام، متغلغلا في كل تفاصيل حياة المؤمن، بدءاً بأمور القلب والاعتقاد، ثم ما تستقيم به حياته كفرد، وكأسرة، وكمجتمع، وصولا إلى ما يضبط علاقاته بغيره من كفار وأهل الكتاب، وكلها يعقِّب عليها القرآن مشدِّدا على تقوى الله ﷻ"[1] نذكر على سبيل الاستدلال لا الحصر، قوله تعالى في سياق حديثه عن الصوم: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ (البقرة 203)، وقوله تعالى في سياق القصاص: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ (البقرة 194).

ومن أمثلة الأمر أيضا قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ (الأنعام 24) ، التعقيب: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ ، والمعنى بالعودة للسياق العام لهذه الآيات الكريمة" انظر يا محمد كيف كذبوا باليمين الفاجرة بإنكار صدور ما صدر منهم في الدنيا من الإشراك، وكيف ضل وذهب عنهم افتراؤهم، وتلاشى وبطل ما كانوا يظنونه من أن الشركاء يقربوبهم إلى الله

[1] مراد العرابي، التعقيبات القرآنية المفهوم والأشكال والأغراض، ص: 160

حتى نفوا صدوره منهم بتاتا، وتبرؤوا منه غاية البراءة، وهذا تعجيب للرسول ﷺ من حالهم المختلفة ودعواهم المتناقضة"[1] مما سبق يتضح أن التعقيب فعل كلامي توجيهي جاء بصيغة الأمر (ٱنظُرۡ) والخطاب موجه للنبي ﷺ، ومحتواه القضوي: انظر يا محمد إلى كذب الكفار على أنفسهم و ضلالهم، والفعل الإنجازي المستلزم من البنية الحرفية: التعجيب من صنيع الكفار وتناقض أفعالهم وإدعاءاتهم الكاذبة.

و من أمثلة الأمر، يقول تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾ (الطارق 17)، التعقيب: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾ ، وهو فعل كلامي توجيهي جاء بصيغة الأمر من الله إلى "رسوله أن يتأنى عليهم ليرى أخذه تعالى لهم فقال: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: سر في دعوتك، ولا تستعجل عذابهم، فإنا سنمهلهم ليزدادوا إثما حتى إذا أخذناهم لم يبق لهم من راحم، ثم أكد طلب الإمهال وأقّته بوقت قريب، فقال:﴿ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾ أي: إنا سنمهلهم قليلا، وسترى ما يحل بهم من العذاب والنكال"[2]، ومن خلال سياق هذه الآيات الكريمة، يمكن استخلاص الفعل الإنجازي المتمثل في الوعيد والتأكيد على عاقبة الكافرين التي ستحل بهم، مهما فعلوا ومهما طال فجورهم، فإنَّ العقاب الشديد جزاءهم.

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن الكريم، ج8، ص: 249

[2] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن الكريم، ج 31، ص: 331

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة 35)، التعقيب: ﴿ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ وهو فعل كلامي توجيهي جاء بصيغة الأمر(فذوقوا)، محتواه القضوي: عذاب اللذين يكنزون المال ولا ينفقونه في سبيل الله، والفعل الإنجازي المستلزم من السياق: توبيخ الله الذين لا ينفقون المال في سبيله ويكنزونه، وبهذا استحقوا هذا العذاب الأليم، كما يتضمن التحذير من عاقبة هذا الصنيع.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(فصلت 40)، التعقيب:﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وهو فعل كلامي توجيهي بصيغة الأمر (اعملوا) ، ومحتواه القضوي: افعلوا ما شئتم– الخطاب للملحدين– فالله يعلم ما فعلتم، والفعل الإنجازي المستقى من السياق هو فعل كلامي غير مباشر فحواه: التهديد الشديد لهذا الصنف من الكفار، فالله بصير بكل أعمالهم صغيرها وكبيرها، كما أنه وعيد لهم بأن النار مصيرهم .

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة 90)، التعقيب: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فعل كلامي توجيهي مباشر جاء بصيغة الأمر (فاجتنبوه) " أي فاتركوا هذا الرجس ولا تعملوه، وكونوا في جانب غير الجانب الذي هو فيه،﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾،أي رجاء أن تفلحوا وتفوزوا بما فرض عليكم من تزكية أنفسكم وسلامة أبدانكم والتواد فيما

بينكم، فجملة الترجي علة لما قبلها؛ أي فاجتنبوا المذكور لكي تنجوا من العذاب، وتدركوا الفلاح إذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس"[1] ، ومن هنا فإن الفعل الإنجازي: التوجيه بترك هذه المحرمات: الخمر والميسر والأنصاب والأزلام (فعل كلامي مباشر فاجتنبوه)، والتحذير من مخالفة هذا الأمر، لأنه أمر صادر من الله ﷻ، إن أردتم الفلاح والنجاة من العذاب، وهذا ما جسدته لعلّ .

يقول تعالى: (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ٥٤ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(النحل 55/53)، التعقيب: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فعل كلامي توجيهي بصيغة الأمر، المحتوى القضوي: خطاب الله للمشركين: بأن يتمتعوا في الدنيا فحسابهم آت، والفعل الإنجازي (فعل كلامي غير مباشر) مستلزم من السياق، تهديد ووعيد للمشركين والكافرين بسبب جحودهم نعم الله وشركهم وكفرهم بآيات الله.

من التعقيبات المتكررة والتي لزمت صيغة واحدة، وجاءت بصيغة الأمر، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ والذي تكرر سبع مرات في القرآن الكريم.

التعقيب	السورة
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	آل عمران الآية 122/آل عمران الآية160 المائدة الآية 11/التوبة الآية 51

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن الكريم، ج8، ص: 54

إبراهيم الآية 11/المجادلة الآية 10 التغابن الآية 13	

ولتجنب الإطناب في البحث سنقتصر على تحليل تعقيب واحد، يقول تعالى في سورة آل عمران:﴿ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (آل عمران 122)، التعقيب: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فعل كلامي توجيهي جاء لصيغة الأمر عن طريق المضارع المجزوم بلام الأمر محتواه القضوي: دعوة المؤمنين للتوكل على الله، والفعل الإنجازي: التأكيد ومعنى الحصر؛ فحصر توكل المؤمنين على الله، وحصر التوكل على المؤمنين لأن التوكل لا يكون إلا بالإيمان، ومما تجدر الإشارة إليه، أن تكرار هذا التعقيب فيه تأكيد على ضرورة التوكل على الله لأنه سمة من سمات المؤمنين.

إجمالا: الأمر من الأفعال التوجيهية، وقد جاء في القرآن الكريم بمحتويات قضوية مختلفة، كما جاء بصيغة فعل كلامي مباشر في سياق الأحكام والتكليف، وبصيغة فعل كلامي غير مباشر له دلالات مختلفة كالتهديد والوعيد والتأكيد... إلخ.

- **التعقيب بالتحضيض:**

التحضيض من التوجيهات لأنه يتضمن طلبا، ومن أمثلته في التعقيب القرآني ما جاء في سورة الواقعة، يقول تعالى: ﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (الواقعة 57)، التعقيب: ﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ " تحضيض على التصديق: إما بالخلق، لأنهم وإن كانوا مصدقين به، إلا أنهم لما كان

مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فكأنهم مكذبون به، وإما بالبعث؛ لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا"[1]. جاء في تفسير حدائق الروح والريحان: "﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ التفات من الله سبحانه إلى خطاب الكفرة تبكيتا لهم وإلزاما للحجة"[2]، الفعل القضوي: حث الله عباده على التصديق بالخلق والبعث بمعنى صدقوا، والفعل الإنجازي: الوعيد للمكذبين بالخلق والبعث.

والتعقيب الثاني يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الواقعة 62)، التعقيب: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الفعل القضوي: حث الله عباده على تذكر خلق الإنسان ولم يكن شيئا، بمعنى تذكروا، والفعل الإنجازي: هو الوعيد لمن يتجاهل حقيقة البعث ويتناسى الخلق الأول.

والتعقيب الثالث، يقول تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة 70)، التعقيب: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ والفعل القضوي: حث الله عباده على شكر نعمه الجليلة(كنعمة الماء العذب)، بمعنى اشكروا، والفعل الإنجازي: الوعيد لمن لا يشكر نعم الله.

- **التعقيب بالردع (كلّا):**

جاء التعقيب بالردع في التعقيب القرآني في مواضع عديدة من السور القرآنية، كقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ٧٨ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ

[1] الزمخشري، الكشاف، ج6، ص: 32

[2] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج 28، ص: 388

لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾ (مريم 79)، التعقيب: ﴿ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾ وهو فعل كلامي توجيهي، وهو رد صادر من الله ﷻ أُستهل ب(كلّا) " حرف ردع وزجر؛ أي : ليس الأمر على ما قال هذا الكافر من أنه يؤتي المال والولد"[1]، والفعل القضوي: نفي مقولة الكافر، وتبشيره بالعذاب الأليم، والفعل الإنجازي: التهديد والوعيد الشديد لمن يفتري على الله.

وجاءت كلَّا مكررة في سورة النبأ في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾(النبأ5)، التعقيب:﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴾ والفعل الإنجازي: الردع والتهديد الشديد وقد أفاده تكرار جملة التعقيب، كما يبرز الوعيد من خلال الفعل سيعلمون.

وجاء في سورة الهمزة ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴾ (الهمزة 4/1)، التعقيب:﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾، فعل كلامي مباشر جاء مستهلا بحرف الردع والزجر(كلَّا)، الفعل الإنجازي: ردع الهماز واللماز الذي يجمع المال معتقدا أن ماله يكسبه الخلود، كما تضمن وعيدا شديدا له، فالنار(الحطمة) مصيره، فضلا عن الاحتقار له وهذا ما يبينه الفعل (لينبذنَّ)، إجمالا يتمثل الفعل الإنجازي لهذا التعقيب في الردع والوعيد الشديد والاحتقار.

- **النهي:**

[1] محمد الأمين بن غبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج17، ص:219

النهي من الأفعال الكلامية التوجيهية لكونه يتضمن طلبا، فمجال "الطلبيات هو المجال الذي يشتمل على جميع الأفعال الإنجازية التي تمثل محاولة المتكلم توجيه المتلقي، أو التأثير عليه ليفعل شيئا ما، مع عدم احتواء التوجيه غالبا على جانب شعوري، وهذا الطلب يجب أن يكون طلبا قابلا للتنفيذ سواء أرغب المتلقي بتنفيذه أم لم يرغب"[1]

ومن أمثلته في التعقيب القرآني قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة22)، التعقيب: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ فعل كلامي توجيهي لأنه يتضمن طلبا(النهي)، محتواه القضوي: لا تشركوا بالله وأنتم تعلمون، والفعل الإنجازي في هذا التعقيب ليس النهي فحسب بل يتضمن فعلا إنجازيا غير مباشرا انطلاقا من سياق التعقيب، فالآيات الباهرة التي هي من صنع الله كخلق الأرض والسماء وإنزال المطر وإخراج الثمر، تستوجب حمد الله وتوحيده، لهذا جاء النهي عن الشرك بالله، يتضمن معنى التوبيخ جراء صنيعهم، وجاء في نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي في تفسير هذا التعقيب:" وفي تعقيبها لما قبلها غاية التبكيت على من ترك هذا القادر على كل شيء وعبد ما لا يقدر على شيء"[2]، وجاء في غريب الحديث لابن جوزية شرح لكلمة

[1] علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص: 224

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص: 58

تبكيت:" التبكيت: التقريع باللسان، مثل أن يقال له: ما استحييت"[1]، وبهذا يكون الفعل الإنجازي لهذا التعقيب: تبكيت الكافرين.

ومن أمثلة التعقيب بالنهي المتكرر في الخطاب القرآني، قوله تعالى:﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ الذي تكرر مرتين في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (المائدة 26)، التعقيب: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ وهو فعل كلامي توجيهي جاء بصيغة النهي، وبالعودة لسياقه يتبين أنه" تسلية لموسى عليه السلام عنهم لما ندم على الدعاء عليهم، وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم؛ أي لا تحزن يا موسى على هلاكهم وعقوبتهم؛ لأنهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة، فهم فاسقون متمردون مستحقون لهذا التأديب الإلهي، وقيل الخطاب لمحمدﷺ ، والمراد بالفاسقين معاصروه؛ أي خذه فعال أسلافهم، فلا تحزن أنت بسبب أفعالهم الخبيثة معك"[2]، ومن هذا المنطلق يتضح لنا الفعل القضوي: لا تحزن يا موسى بسبب أفعال الفاسقين، والفعل الإنجازي: تسلية لقلب سيدنا موسى عليه السلام وتثبيتا له جراء ما فعله قومه من أفعال شنيعة، وهو فعل كلامي غير مباشر لأن النهي في سياقه التداولي خرج إلى تثبيت قلب موسى وتسليته، بهذا يمكن استخلاص الفعل التأثيري المتمثل في سكينة موسى عليه السلام بعد خطاب الله له.

[1] ابن الجوزي، غريب الحديث، تح: عبد المعطي آمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص: 83

[2] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج7، ص: 196

والتعقيب الثاني في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة 68)، التعقيب: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، في سياق هذا التعقيب جاء في نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي:" لما كان ﷺ شديد الشفقة على خلق الله، سلاه في ذلك بقوله ﴿فَلَا﴾ أي فتسبب عن إعلام الله لك بذلك قبل وقوعه ثم عن وقوعه كما أخبر أن تعلم أنه بإرادته وقدرته فقال لك: لا تَأْسَ (أي تحزن) عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ"[1]، ومن هنا نستخلص الفعل القضوي: خطاب الله تعالى لنبيهﷺ: بعدم الحزن على الكفار، والفعل الإنجازي: تسلية النبي عليه السلام، والفعل التأثيري المستلزم حصول السكينة في قلب النبي عليه السلام.

- **التعقيب بالاستفهام:**

الاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية، وقد "ورد الاستفهام في القرآن الكريم على أصل معناه، وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾الأعراف 187 وقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ "[2]، كما خرج إلى أغراض سياقية أخرى، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (هود 14/13)، وهو

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج2، ص:508

[2] أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص:126

تعقيب جاء بصيغة الاستفهام" للتوبيخ المضمن للأمر؛ أي: فهل أنتم أيها المشركون بعد أن قامت عليكم الحجة، داخلون في الإسلام الذي أدعوكم إليه، بهذا القرآن، مؤمنون بما فيه من عقائد، ووعد، ووعيد، وأحكام، وحكم وآداب؛ أي: اسلموا، وأخلصوا لله العبادة"[1]. الملاحظ لسياق الاستفهام في هذا التعقيب، يجد أن دلالته نقلت إلى الأمر، وعليه فإن الفعل الإنجازي لهذا التعقيب هو الأمر المتضمن معنى التوبيخ، أي توبيخ الكافرين على افتراءهم على الله.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (المطففين 36)، جاء في ظلال القرآن لسيد قطب تفسير لهذا التعقيب:" أجل، هل ثوبوا؟ هل وجدوا ثواب ما فعلوا؟ وهم لم يحدوا الثواب المعروف من الكلمة ، فنحن نشهدهم اللحظة في الجحيم؟ ولكنهم من غير شك لاقوا جزاء مافعلوا، فهو ثوابهم إذن، وياللسخرية الكامنة في كلمة الثواب في هذا المقام"[2]، ومن هنا يكون الفعل القضوي: السؤال عن ثواب الكفار جراء ما فعلوا بالمؤمنين، والفعل الإنجازي هو التقرير؛ أي لا شك في معاقبة الكفار يوم الحساب، كما يظهر معنى السخرية انطلاقا من سياق التعقيب.

[1] محمد الأمين بن عبد الله الارمي، تفسير في حدائق الروح والريحان، ج13، ص: 25

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص:3861

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف 28)، التعقيب:﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ، الفعل القضوي: كيف تتجرؤون وتقولون على الله ما لا تعلمون، الفعل الإنجازي: التوبيخ جراء افتراءهم والإنكار لصنيعهم الشنيع، وقد تكرر هذا الفعل الإنجازي في استفهامات عديدة من الخطاب القرآني، من قبيل قوله تعالى:﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (الذاريات 21)، التعقيب: ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، الفعل القضوي: الآيات الباهرة في الأرض وفي أنفسكم تستوجب التدبر، أما الفعل الإنجازي فهو التوبيخ لمن يتناسى نعم الله الجليلة ويكفر بخالقه وخالق كل شيء. وأيضا في هذه التعقيبات: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل 17)، وفي قوله تعالى: ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ (الأنبياء 44)، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ (يونس 56)

يقول تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (القصص72/71)، جاء في تفسير التحرير والتنوير:" من أبدع الاستدلال أن اختير للاستدلال على وحدانية الله هذا الصنع

العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والذي يستوي في إدراكه كل مميز، والذي هو أجلى مظاهر التغيير في هذا العالم"[1]

ما يعني أن السياق العام للتعقيبين الواردين في هذه الآيات الكريمة هو الاستدلال على وحدانية الله من خلال الدعوة للتدبر في آياته العظيمة كتعاقب الليل والنهار، التعقيب الأول:﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، " وإذ قد استمر المشركون على عبادة الأصنام، بعد سطوع هذا الدليل وقد علموا أن الأصنام لا تقدر على إيجاد الضياء جعلوا كأنهم لا يسمعون هذه الآيات التي أقامت الحجة الواضحة على فساد معتقدهم، ففرع عن تلك الحجة الاستفهام الإنكاري عن انتفاء سماعهم بقوله:﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، أي أفلا تسمعون الكلام المشتمل على التذكير بأن الله هو خالق الليل والضياء"[2]، وعليه الفعل القضوي: الاستفهام عن سماع المشركين لكلام الله، والفعل الإنجازي: التوبيخ والإنكار، توبيخ للمشركين الذين لا يسمعون كلام الله وهم عنه معرضون، وفيه إنكار لصنيعهم وشركهم بالله. والتعقيب الثاني: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ محتواه القضوي: الاستفهام عن تدبر المشركين في آيات الله، والفعل الإنجازي: التوبيخ والإنكار أيضا مثل التعقيب الأول، وتحسن الإشارة هنا إلى دقة التعبير القرآني وجماله، حيث اقترن ذكر السمع بالليل، والنهار بالبصر وفي هذا السياق يقول ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير:" السمع دليل فرض سرمدة الليل لأن الليل لو كان دائما لم تكن للناس رؤية فإن رؤية الأشياء مشروطة بانتشار شيء من النور على سطح

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص: 168

[2] المرجع نفسه، ص: 170

الجسم المرئي، فالظلمة الخالصة لا ترى فيه المرئيات، ولذلك جيء في جانب فرض دوام الليل بالإنكار على عدم سماعهم، وجيء في جانب فرض دوام النهار بالإنكار على عدم إبصارهم"[1]

يقول تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٖ ٧فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ الحاقة8، التعقيب: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴾ الفعل القضوي: الاستفهام عن بقاء أحد من القوم الظالمين، والفعل الإنجازي: تقرير عذاب الله للطاغين، والفعل التأثيري المستلزم المفترض ممن تدبر القرآن الخوف من عذاب الله. وليس ببعيد عن دلالة الاستفهام السابق، قوله تعالى:﴿ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الأنعام 47، التعقيب: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الفعل القضوي: يهلك الله الظالمين، وفعله الإنجازي: تقرير العذاب على وجه التخصيص للظالمين، والفعل التأثيري المستلزم المفترض ممن تدبر القرآن الخوف من عذاب الله.

يقول تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ٣٥مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (القلم 36)، التعقيب:﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ "الاستفهام وما بعده من التوبيخ والتخطئة والتهكم على إدلالهم الكاذب، مؤذن بأن ما أنكر عليهم ووبخوا عليه وسُفهوا على اعتقاده كان حديثا قد جرى في نواديهم أو استسخروا به على المسلمين في معرض جحود أن يكون بعث وفرضهم أنه على تقدير وقوع البعث والجزاء لا يكون للمسلمين مزية وفضل عند

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 171

وقوعه"[1]، من هذا المنطلق يتحدد الفعل القضوي: لا تحكموا بمساواة المسلمين للمجرمين في الجزاء، والفعل الإنجازي: التوبيخ والتهكم على نمط تفكير المشركين وسفاهة حكمهم. ونظير هذا التعقيب جاء أيضا في سورة الصافات، يقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ١٥١وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ١٥٢أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾(الصافات 154/151)، الفعل القضوي: لا تحكموا سفاهة بأن الله اصطفى البنات على البنين، والفعل الإنجازي: التوبيخ والتهكم.

ومن أمثلة الاستفهام في التعقيب القرآني، يقول تعالى:﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (المطففين 6/1)، الفعل القضوي: اعتقاد المطففين بأنهم لا يحاسبون عن أعمالهم، الفعل الإنجازي: الوعيد للمطففين يوم الحساب، والفعل التأثيري المستلزم لمن تدبر هذه الآيات الكريمة هو الخوف من عذاب الله وترك التطفيف.

يقول تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر 60)، التعقيب: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾، الفعل القضوي: إن جهنم مصير كل متكبر، والفعل الإنجازي: تقرير مصير المتكبرين عن أوامر الله وإذلالهم.

ومن أمثلة الاستفهام في التعقيب القرآني، يقول تعالى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ (التين8)، الآيتان الكريمتان تعقيب

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 29، ص: 91

لسورة التين" تفريع على جميع ما ذكر من تقويم خلق الإنسان ثم رده أسفل السافلين، لأن ما بعد الفاء من الكلام مسبب عن البيان الذي قبل الفاء، أي فقد بان لك أن غير الذين آمنوا هم الذين رُدّوا إلى أسفل السافلين فمن يكذب منهم بالدين الحق بعد هذا البيان"[1] الفعل القضوي: الله أحكم الحاكمين صنعا وتقديرا، والفعل الإنجازي: التهديد والوعيد للكافرين بمحمدﷺ وبالبعث، كما ينجز هذا الاستفهام تقريرا لحكمة الله الباهرة.

إجمالا: الاستفهام من الأفعال الكلامية التوجيهية لأنه يتضمن طلبا؛ أي محاولة المتكلم دفع المخاطب للقيام بعمل ما، وقد جاء في التعقيب القرآني على شكل أفعال إنجازية متنوعة تبعا للسياق الذي وردت فيه.

- **المبحث الثالث: المعبرات والوعديات والإعلانيات:**

1. المعبرات (الإفصاحات):

يقصد بها الأفعال الكلامية التي تختص بالتعبير عن المواقف النفسية، حيث يرى سيرل بأنها تختص" بالتعبير عن الحالة النفسية المحددة في مواقف معينة، كالتهنئة والشكر والتعزية والاعتذار عن التأخير والترحيب، وهي لا تحتاج لمطابقة الكلمات للعالم"[2] ولهذا " هي مجموعة منوعة تدور حول التوجهات والسلوك الاجتماعي لاسيما تجاه الوقائع الخاصة التي تمثل مضمون القول، ولا تتخذ الأفعال الكلامية صورة بعينها من صور

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص: 430

[2] John. Searle, a classification of illocutionary acts, language in society, vol 5, no 1, 1976. P: 12 look at,

البناء الشكلي ضمن المعبرات، وإنما تتنوع تبعا لقصد الخطاب"[1]، ومن أمثلة ذلك في التعقيب القرآني يقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (البقرة 175)، التعقيب: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ الخطاب موجه للكافرين الذين استحقوا النار بسبب أفعالهم في الدنيا، فكان الفعل القضوي: عذاب الله شديد، فكيف للكافرين أن يصبروا ويتحملوا، والفعل الإنجازي لهذا الفعل الكلامي التعبيري (الصبر) هو التهديد الشديد لكفار، فعذاب النار لا صبر لأحد عليه، والفعل التأثيري المفترض لمن تدبر القرآن الخوف من عقاب الله.

- **ثناء الله على نفسه:**

جاء التعقيب متضمنا ثناءً على الله في العديد من آي الذكر الحكيم بصيغ لغوية مختلفة، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾(المؤمنون 14)، التعقيب: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، " ﴿فَتَبَارَكَ﴾ أي ثبت ثباتا لم يثبته شيء، بأن حاز جميع صفات الكمال، فتنزه عن كل شائبة تقص، فكان قادرا على كل شيء، ولو دانه شيء من عجز لم يكن تام الثبات، ولذلك قال﴿ ٱللَّهُ﴾ فعبر بالاسم العلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى، وأشار إلى جمال الإنسان بقوله: ﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ أي المقدرين، قدر هذا الخلق العجيب هذا التقدير"[2] الفعل القضوي: ثناء الله على نفسه وفحوى الثناء: الله أحسن الخالقين، والفعل

[1] مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص: 110

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص: 188

الإنجازي: تعظيم الله المستوجب لتوحيده، فهو الذي حاز كل صفات العظمة والتفرد. ومن أمثلة ثناء الله على نفسه، يقول تعالى:﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (يونس 18)، التعقيب:﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، "﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ أي تنزيها له تعالى عن كل ما لا يليق به﴿ وَتَعَٰلَىٰ﴾ أي ترفع وعلا ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي: عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى، والمعنى: تنزه ربنا، وعلا علوا كبيرا، عما يشركون به من الشفعاء والوسطاء، وما يفترونه عليه "[1]، وعليه الفعل القضوي: تعالى الله عن شرك الكفار وافتراءاتهم، والفعل الإنجازي: تعظيم الله المستوجب لوحدانيته.

ومن صيغ الثناء على الله الصيغة الآتية: ﴿ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ التي تكررت مرتين، الأولى في سورة الأنفال يقول تعالى: ﴿إِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الأنفال 40)، فعله القضوي: الثناء على الله بأنه المولى والنصير، والفعل الإنجازي: تعظيم الله ﷻ، وقد تكرر هذا التعقيب في سورة الحج الآية 78.

- **التعقيب بالمدح:**

جاء التعقيب بصيغ مختلفة للمدح تعبيرا عن علو منزلة الممدوحين، فالله من خصَّهم بالمدح، كمدح الأنبياء، وجاء في التعقيب القرآني ذكر نَبِيْين فقط، هما سليمان وأيوب عليهما أزكى التسليم، واللذان خصهما

[1] محمد بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج 12، ص: 180

بالخطاب الله تعالى بهذا التركيب اللغوي: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾، يقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص 30)، المخاطب في هذا التعقيب سيدنا سليمان عليه السلام، ويقصد بالأواب "أي رجّاع إلى الله تعالى بالتوبة أو إلى التسبيح، مرجع له تعليل للمدح"[1]، ومن هذا المنطلق الفعل القضوي: مدح الله لسليمان عليه السلام لأنه أواب، والفعل الإنجازي: تخصيص بالمدح لسيدنا سليمان عليه السلام، وتكرر التعقيب نفسه في السورة نفسها، يقول تعالى:﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص 44)، المقصود بالمدح حسب سياق التعقيب هو سيدنا أيوب عليه السلام.

ومن صيغ المدح التي تخصُّ أعمالَ الصالحين، يقول تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ (آل عمران 136/133)، التعقيب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ الفعل القضوي: جزى الله عباده المؤمنين المتصفين بالصفات المذكورة في الآيات الكريمة جنات تجري من تحتها الأنهار، وغفر خطاياهم، الفعل الإنجازي: ثناء الله تعالى على عباده المؤمنين ومدح أعمالهم.

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم ج7، ص:1992

يقول تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الذي تكرر ثلاث مرات في القرآن الكريم، جاء في سورة آل عمران، يقول تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (آل عمران 136)، التعقيب: جاء مستهلا ب(نِعْمَ) الدالة على المدح، وفعله القضوي: مدح جزاء المؤمنين المتقين الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والمستغفرين لذنوبهم بلا إصرار على الذنب، هذا ما جاء في السياق العام للتعقيب في الآيات التي تسبقه: من الآية 132إلى الآية 135، وفعله الإنجازي: المدح لأعمال المؤمنين والتعظيم لجزائه الموفور يوم القيامة، وقد تكرر التعقيب نفسه في سورة العنكبوت، يقول تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(العنكبوت 58)، فعله القضوي: مدح أجر المؤمنين العاملين للصالحات، وفعله الإنجازي نفسه في التعقيب السابق، كما تكرر هذا التعقيب في سورة الزمر، يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (الزمر 74)، وهو يتضمن الفعل الإنجازي نفسه.

ومما تحسن الإشارة إليه أن الله تعالى مدح الجنة ورغَّب فيها بتعقيبات مختلفة الصيغ اللغوية: كقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ الذي جاء مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الرعد، يقول تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد24) التعقيب جاء بعد ذكر صفات المؤمنين وذكر جزاءهم في الآيات التي تسبق التعقيب: 22و23، فعله

القضوي: مدح جزاء المؤمنين، وفعله الإنجازي: مدح الله لحسن خاتمة المؤمنين. ومن أمثلة مدح الجنة قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (النحل 30)، الفعل القضوي: مدح جزاء المؤمنين المحسنين، والفعل الإنجازي: مدح الجنة (جزاء المحسنين) وتعظيم نعيمها.

- **التعقيب بالذم:**

اشتمل العديد من التعقيبات القرآنية على تعابير للذم، كقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾ (المائدة 66)، التعقيب: ﴿سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾ وجاء مستهلا بالفعل (ساء) للتعبير عن ذم الكفار، " أي مقول في حقهم هذا القول أي بئسما يعملون وفيه معنى التعجيب أي ما أَسْوءَ أعمالَهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة وهم الأجلاف المتعصبون"[1] الفعل القضوي: ذم الله ﷻ لأعمال الكافرين، كتحريف كلام الله، والفعل الإنجازي: ذم الكافرين والتعجيب من أعمالهم الشنيعة.

ومن التعابير التي جاءت مستهلة بالفعل ساء، وفيها ذم للكافرين قوله تعالى:﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ (الجاثية 21)، التعقيب:﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ الفعل القضوي: ذم الله ﷻ للكافرين الذين اعتقدوا بأنهم كالمؤمنين، والفعل الإنجازي: الذم وإنكار صنيعهم.

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ج3، ص:608

بناء على ماسلف يمكن القول: بأنّ المعبرات تجلت في التعقيب القرآني من خلال صيغ الثناء والتنزيه (تبارك، سبحان)، وفي أسلوبي المدح والذم، كما تنوعت المقاصد لتنوع السياقات التي جاء فيها التعقيب.

2. الوعديات (الملزمات):

وهي نوع من الأفعال الكلامية " الغرض منها التزام المتكلم القيام بعمل ما في الزمان المستقبل، ويكون اتجاه المطابقة مماثلا للتعهدات، أي من العالم إلى القول، وتتميز الوعديات بكون المسؤول عن إحداث المطابقة هنا المتكلم، وأن يكون قادرا على أداء ما يلزم به نفسه"[1]

ومن تجليات الوعديات في التعقيب القرآني ما جاء في سياق الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين، يقول تعالى(إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴾ (الانفطار 14/13)، ويعد الوعد والوعيد من الأساليب القرآنية التي ترمي إلى الترغيب في نعيم الآخرة والترهيب من عذاب الله، وفي ذلك إصلاح للأعمال، فالوعد والوعيد خطابٌ للعقل وللقلب، فمن يُعْمل عقله ويتدبر كلام الله، ويعتبر بقصص الأمم السابقة، يجد في قلبه خوفا من الله ومن عذابه الأليم، كما أن الحديث عن نعيم الجنان والفوز برضا الله يرغب المؤمن في العبادات ويقوي قلبه على تحمل الصعاب في سبيل الله، وخطاب الملزمات (الوعد والوعيد) خطاب صادق، لأنه صادر من الله، يقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (يونس 55).

[1] مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص: 114

- **الوعد القرآني:**

يقصد بالوعد" كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل"[1] كقوله تعالى:(إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين 28/22)، والمخاطبون في سياق الوعد هم المؤمنون الصادقون، يقول تعالى:(قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (المائدة119)، وهم الذين يطيعون الله ورسوله، يقول تعالى:﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (النساء1)

وتجدر الإشارة إلى أن آيات الوعد جاءت بتراكيب لغوية مختلفة في التعقيبات، كذكر الجزاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمران 145)، وفي قوله تعالى: يقول تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (النساء 40)

أو الآيات التي جاء الوعد فيها بكلمة الفوز منعوتة بالصفات الآتية: العظيم، المبين، الكبير، في قوله تعالى:﴿ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾، وقوله

[1] القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1996، ض: 134

تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ ويوضح الجدول الآتي السور التي تضمنت كل تعقيب:

التعقيب	الآية/السورة
﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾	﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ النساء 13 ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ المائدة 119 ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾التوبة 89 ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾التوبة100 ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾الصف12 ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ التغابن 9

﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾	﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾الأنعام 16 ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الجاثية 30
﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ البروج11

الملاحظ لهذا الجدول، يجد أن التعقيبات السابقة جاءت في سياقات مختلفة، لكن تشترك في دلالة الوعد وتبشير المؤمنين بنعيم الجنات، فالتعقيب ب﴿ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾، ولم يلزم سياقا واحدا، بل ورد ست مرات في الخطاب القرآني في سياقات مختلفة، ففي سورة النساء جاء الوعد بالفوز العظيم بعد أعمال محددة: طاعة الله ورسوله وعدم تجاوز حدود الله. وفي سورة المائدة اقترن الفوز العظيم بالصدق في الإيمان. وفي سورة التوبة جاء هذا التعقيب مرتين: مرة اقترن الفوز بالمؤمنين الذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ومرة أخرى اقترن الفوز بالمؤمنين المهاجرين والأنصار. وفي سورة الصف اقترن بالإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله بالمال والنفس، وفي سورة التغابن اقترن الفوز العظيم بالإيمان بالله والعمل الصالح.

والفعل القضوي لهذا التعقيب المتكرر هو الفوز العظيم الذي حازه المؤمنون، والفعل الإنجازي هو الوعد، وهو وعد صادق(خاصية انفرد بها

الوعد القرآني) من الله لعباده المؤمنين، يعد ترغيبا لعباده، فلا يتجاوزا حدوده، ويطيعوا أوامره ويتجنبون نواهيه.

والتعقيب الآتي: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ جاء مرتين في الخطاب القرآني، وقد اقترن في سورة الأنعام بصرف عذاب النار، وفي سورة الجاثية الإيمان والعمل الصالح، والفعل القضوي فيهما: الفوز البين الواضح الذي حازه المؤمنون، والفعل الإنجازي: الوعد والترغيب في نعيم الآخرة. أما التعقيب الآتي: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ جاء مرة واحدة في الخطاب القرآني، وقد اقترن بالإيمان والعمل الصالح، الفعل القضوي له: الفوز الكبير الذي حازه المؤمنون، والفعل الإنجازي: الوعد والترغيب في نعيم الله.

ومن أنماط التعبير عن الوعد قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ والذي تكرر مرتين في الخطاب القرآني: الأولى في سورة فاطر، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ (سورة فاطر 32)، والثانية في سورة الشورى: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ (الشورى 32)، الفعل القضوي: الفضل الكبير حازه المؤمنون، والفعل الإنجازي: الوعد والترغيب في نعيم الجنان، هذا المعنى الذي يتجلى في كلمة الفضل الموصوف بالكبير؛ أي نعيم لا يخطر على بال بشر.

الوعيد القرآني:

الوعيد " كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل"[1] ، والوعيد في القرآن الكريم خطاب صادر من الله تعالى وهو حق لا مراء فيه، فيه ترهيب من عاقبة انتهاك حدود الله، وبهذا فهو خطاب ردعٍ يهدف لإصلاح النفوس وتقويم السلوك والعودة لجادة الصواب، بما تضمنه من آيات تبين جزاء الكافرين والمنافقين ... يوم الحساب.

والوعيد في التعقيب القرآني مثل الوعد لم يلزم تركيبا لغويا واحدا، بل جاء بتراكيب متنوعة تنوع السياقات، منها ما جاء على التركيب الآتي: (ذلك+ هو)، في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ (إبراهيم 18)، التعقيب: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾، جاء في الكشاف للزمخشري تفسير له: " إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق والثواب، كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء"[2]، والفعل القضوي: الكافرون في ضلال بعيد، الفعل الإنجازي: الوعيد من الله للكافرين الذين يحسبون أن أعمالهم تنجيهم من عذاب الله، وهو بهذا ترهيب لكل من ضل عن الحق. وتكرر هذا التعقيب في سورة الحج، يقول تعالى:﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ (الحج 12)، وهو يشترك في الفعل القضوي والإنجازي ويختلفان في السياق، فالكافر في هذه الآية هو في ضلال مبين لأنه يدعو غير الله دفعا للضرر وطلبا للنفع.

[1] القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص:135

[2] الزمخشري، الكشاف، ج3، ص: 371

ومن التعقيبات التي جاءت بصيغة: ذلك+ هو:﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (الزمر 15)، الفعل القضوي: الخسارة الفادحة للمشركين الذين يعبدون ما دون الله، والفعل الإنجازي: الوعيد لهؤلاء المشركين والترهيب من عذاب الله، وأن الخسران المبين هو خسارة النفس والأهل يوم لا ينفع مال ولا بنون. وتكرر هذا التعقيب بهذه الصيغة في سورة الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (الحج11)، وهو فعل كلامي يصنف ضمن الملزمات يشترك مع التعقيب السابق في صيغة الفعل القضوي والإنجازي، ويختلفان في السياق، حيث جاء هذا التعقيب في سياق الحديث عن الذين ارتدوا عن دينهم، فخسروا الدنيا والآخرة، هذا وهو الخسران المبين.

ومن أساليب الوعيد ما جاء على هذا التركيب (إن+ جهنم)، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (التوبة49)، التعقيب: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الفعل القضوي: جهنم محيطة بالكافرين الذين تخلفوا عن الجهاد مع الرسول عليه السلام، والفعل الإنجازي: الوعيد الشديد من خلال التذكير بعذاب جهنم، وهو يتضمن ترهيبا لكل من يتحايل عن أوامر الله. وتكرر التعقيب نفسه في سورة العنكبوت، يقول تعالى:﴿ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (العنكبوت 54)، " والإحاطة كناية عن عدم إفلاتهم منها، والمراد بالكافرين المستعجلون، واستحضروا بوصف الكافرين

للدلالة على أنه موجب إحاطة العذاب بهم"[1]، والفعل القضوي: جهنم محيطة بالكافرين الذي يسخرون من كلام الله ويستعجلون عذابه، والفعل الإنجازي: الوعيد للكافرين الذين سخروا من عذاب الله واستعجلوه، فيوم القيامة لا أحد منهم يفلت من نار جهنم التي تحيط بهم من كل صوب وحدب.

ومن التعقيبات التي جاءت على الصيغة السابقة، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر 43/42)، التعقيب: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ والفعل القضوي: الغاوون الذين اتبعوا إبليس مصيرهم النار أجمعين، الفعل الإنجازي: الوعيد للضالين الذين أغواهم إبليس، هذا الوعيد يتضمن ترهيبا من اتباع إبليس لعنة الله عليه.

ومن أساليب الوعيد، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ الأعراف 183، التعقيب: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ ، " ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، تقرير للوعيد وتأكيد له أي قوي لا يدفع بقوة ولا حيلة والمراد به إمّا الاستدراج والإملاء مع نتيجتهما التي هي الأخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما أن ظاهره لطف وباطنه قهر "[2]، الفعل القضوي: يمهل الله المكذبين بآياته ليأخذهم بذنوبهم، الفعل الإنجازي: الوعيد الشديد للمكذبين بآيات

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص: 19

[2] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ج3، ص:846

الله. ونظير التعقيب السابق ما جاء في سورة القلم، يقول تعالى:﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٤ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (القلم 45/44) .

ومن أمثلة الإلزاميات التعقيب بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الذي جاء ست مرات في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(الحجر3)، الفعل القضوي: سوف يعلم الكافرين الذين غرتهم الحياة الدنيا عاقبةَ غفلتهم، والفعل الإنجازي: الوعيد للذين غرَّهم متاع الحياة الدنيا، وتكرر التعقيب نفسه في السورة نفسها، يقول تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر96)، الفعل القضوي: سوف يعلم المشركين بالله وبال عاقبتهم، والفعل الإنجازي: الوعيد للمشركين بالله. والتعقيب نفسه تكرر في سورة العنكبوت، يقول تعالى:﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(العنكبوت66)، الفعل القضوي: سوف يعلم الكافرين بآيات الله وبال عاقبتهم، والفعل الإنجازي: الوعيد للكافرين بآيات الله. وقد جاء التعقيب نفسه في سورة الصافات، يقول تعالى:﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الصافات 170)، الفعل القضوي: سوف يعلم الكافرين وبال عاقبتهم، الفعل الإنجازي: الوعيد للكافرين بكلام الله، والتعقيب نفسه جاء في سورة غافر، له الفعل القضوي نفسه والفعل الإنجازي نفسه، ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر70)، وآخر تعقيب متكرر ماجاء في سورة الزخرف، يقول تعالى:﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ٨ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(الزخرف

89/88) "﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ فاعرض عن دعوتهم واقنط عن إيمانهم﴿ وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾ أي أمري تسلم منكم ومتاركه﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ حالهم البتة وإن تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله عليه السلام"[1]. وبهذا يكون الفعل القضوي: سيعلم الكافرون عاقبة كفرهم يوم الحساب، والفعل الإنجازي: وعيد للكافرين، وتسلية لقلب النبي عليه السلام.

3. الإعلانات (الحكميات):

وهي صنف من الأفعال الكلامية" الغرض منها إحداث تغيير في الكون، بحيث يطابق الكون مضمون القضية بمجرد الإنجاز الناجح لمضمون الفعل الكلامي"[2] كما أن الأداء الناجح لها بما يتوافق ومعطيات السياق يؤدي إلى التوافق بين المحتوى اللفظي والواقع، فالإعلان المتضمن لتنصيب رئيس معين من طرف جهة مخولة لذلك، يجعله رئيسا بالفعل بموجب هذا الإعلان"[3]

أما بالنسبة لتجليات هذا الصنف من الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني، فإنه " يمكن تصنيف جميع آيات الأحكام ضمن هذه الفئة من الأفعال اللغوية"[4]. وفي التعقيب القرآني جاءت الإيقاعيات بصور مختلفة، نحاول رصدها :

- **الدعاء على الكافرين:**

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ج 8، ص: 2112

[2] مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص:118

[3] look at, John. Searle, a classification of illocutionary acts, P: 12

[4] مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص:118

يعد التعقيب بالدعاء من الإعلانيات لأنَّ فعل الدعاء يتحقق بمجرد التلفظ به، وقول الله حق متحقق، فمن لعنه الله فهو ملعون طرده الله من رحمته، وقد تحقق هذا الفعل لا محالة، وجاء الدعاء على الكافرين في الكثير من الآيات القرآني بصيغ عديدة: ويل، لعنة الله، سحقا، بعدا...إلخ.

- **قاتلهم الله أنى يؤفكون:**

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (التوبة 30)، التعقيب: ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾، الفعل القضوي: لَعْنُ الله للمشركين. وبالعودة لسياق الآيات الكريمة يَتَبَينُ أنَّ المقصد منها: " دعاء عليهم بالهلاك؛ لأن من قاتله الله هلك، وقيل: هو تعجب من شناعة قولهم، وقيل معنى قاتلهم الله : لعنهم الله تعالى، وطردهم من رحمته، ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ ؛ أي: كيف يصرفون عن توحيد الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به"[1]. وعليه يكون الفعل الإنجازي: الدعاء على المشركين والتعجيب من صنيعهم. وتكرر التعقيب نفسه في سورة المنافقون الآية 4، في سياق الحديث عن المنافقين، ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (المنافقون 4).

- **ويل:**

وهي من صيغ الدعاء على الكافرين، تكررت مرات عديدة في التعقيب، ومنها ما كان الخطاب موجه بصريح العبارة للمشركين في قوله تعالى:

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج11 ص:209

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (فصلت 6)، وفي خطاب الكافرين في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴾ (إبراهيم 2).

ستقتصر الدراسة على نماذج من هذا النوع من التعقيب، يقول تعالى:﴿ أَوَ لَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ (البقرة 79/77)، المحتوى القضوي: الويل للذين يحرفون كلام الله، ويقصد بالويل: " عذاب شديد، أو واد في جهنم، والويل كلمة يقولها كل من وقع في هلكة بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب؛ أي: عقوبة عظيمة وهلكة شديدة، أو واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا، قبل أن يبلغ قعره"[1]. ومن سياق الآيات الكريمة يَتبين أن الفعل الإنجازي: الدعاء بالهلاك والعذاب الشديد للذين يحرفون كلام الله، وقد تكررت كلمة الويل ثلاث مرات تأكيدا على شناعة صنيعهم الذي يستحق العذاب الشديد، وبهذا تضمن هذا التعقيب دلالة الوعيد الشديد لكل من يتجرأ ويحرف كلامَ الله.

- **التعقيب باللعن:**

من صيغ الدعاء على الكافرين اللعن، والذي جاء هو الآخر بصيغ متنوعة، منها لعنة الله، كقوله تعالى:﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ

[1] محمد بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، ج2، ص:22

لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة 89)، أو بالفعل يلعن في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (البقرة 159)، التعقيب:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ وهو فعل كلامي محتواه القضوي: اللعنة للذين يكتمون الهدى، ويقصد بقوله تعالى:" ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يبعدهم الله من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ من الملائكة والمؤمنين، أو جميع الخلائق؛ أي يسألون الله أن يلعنهم ويطردهم من رحمته، ويقولون: اللهم العنهم"[1]، وبهذا يتبين أن الفعل الإنجازي: الدعاء على الكاتمين الهدى، ولعنهم أي طردهم من رحمة الله.

- **التعقيب ب(سحقا):**

ومن صيغ الدعاء على الكفار كلمة (سحقا) كقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك 11)، التعقيب: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، ومن هنا يتبين الفعل الإنجازي: الدعاء على الكافرين وإبراز عاقبتهم في الآخرة.

- **التعقيب ب(بعدا):**

من صيغ الدعاء أيضا كلمة (بعدا) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون 44)، التعقيب: ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، المحتوى القضوي: البعد للقوم الكافرين برسل الله، وبهذا يكون

[1] المرجع نفسه، ج3، ص:63

الفعل الإنجازي: الدعاء على المكذبين برسل الله وتبين عاقبتم. وتكرر التعقيب بلفظة (بعد) في سور أخرى في سياق الحديث عن بعض الأقوام الكافرة كقوم هود: كقوله تعالى:﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴾ (هود 60)، وفي قوله تعالى:﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المؤمنون 41).

- **الشهادة:**

يعد فعل الشهادة في الخطاب القرآني من الإعلانيات لتحققه بعد صدوره، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (التوبة 107)، التعقيب: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾، وهو رد الله تعالى على المنافقين الذين ادعوا حسن النية، وقد جاء الفعل اللغوي على الشكل الآتي: اسم الله+ الفعل يشهد+ أداة التوكيد(إن)+ ضمير الغائب للجمع (هم)+ لام التوكيد+اسم الفاعل كاذبون، فتحقق فعل الإنجاز (الشهادة) بواسطة الفعل يشهد والشهادة هنا حق يقين لأنها صادرة من الله تعالى علام الغيوب . وتكرر هذا التعقيب في سورة الحشر، في سياق الحديث عن المنافقين، فجاء التعقيب فاضحا للنواياهم الخبيثة ، يقول تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدٗا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ (الحشر 11)، وجاء تعقيب آخر يشبه التعقيب السابق في سورة المنافقون، يقول تعالى:

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ (المنافقون 1)، التعقيب رد من الله تعالى والمتضمن تكذيبا لشهادة المنافقين بأن محمد رسول الله.

- **القسم:**

معلوم أن القسم من أساليب توكيد الكلام، وهو بلاغيا من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، أما تداوليا فالقَسمُ من الأفعال الإعلانية، فبمجرد التلفظ به يتحقق فعله، وعن الفرق بين الحلف والقسم، تقول عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ:" إن القسم لليمين الصادقة– حقيقة أو وهما– والحلف لليمين الكاذبة على إطلاقها، فلا أقل من يكون بين دلالتهما الفرق بين العام والخاص : فيكون القسم لمطلق اليمين بعامة، يختص الحلف بالحنث في اليمين، على ما اطرد استعماله في البيان القرآني"[1].

والقَسمُ في الخطاب القرآني عامة وفي التعقيب خاصة جاء بصيغ مختلفة لتحقيق مقاصد معينة حسب سياقاتها، نحاول رصدها وفهم مقاصدها على ضوء نظرية الأفعال الكلامية، كقوله تعالى: ﴿أَوَ لَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا﴾ (مريم 68/67)، التعقيب: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا﴾، " الفاء تفريع على جملة(أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه)، باعتبار ما تضمنته من التهديد، وواو القسم لتحقيق الوعيد، والقسم بالرب مضافا إلى ضمير المخاطب وهو

[1] الإعجاز البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف مصر، دط، دت، ص: 207

النبي ﷺ إدماج لتشريف قدره"[1] ، الفعل القضوي: القسم للرسول عليه السلام بأن الكافرين سيحشرون هم والشياطين الذين أضلوهم حول جهنم جثيا صاغرين، والفعل الإنجازي: تشريف الرسول من خلال القسم ووعيد شديد للكافرين المكذبين بالبعث.

وجاء قسم آخر مستهلا ب(وربك) في سورة الحجر، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (الحجر 92/91)، الفعل القضوي: القسم لرسول الله عليه السلام، بأن الله سيسأل الكفار المشككين في القرآن الكريم بالعودة لسياق التعقيب، والفعل الإنجازي: تشريف للرسول من خلال القسم، ووعيد شديد للكفار المكذبين لكلام الله.

وآخر تعقيب نختم به، يقول تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ (الذاريات 23/20)، الفعل القضوي: قَسمُ خالق السماء والأرض بأن البعث وما يعدهم به الله لحق لا مراء فيه كحقيقة نطقهم التي لا يمكن تجاهلها، الفعل الإنجازي: التأكيد على حقيقة البعث.

تأسيسا على ماسلف ذكره يمكن القول بأن الإعلانيات تجلت في الدعاء على الكافرين، لأن دعاء الله حق متحقق لا محالة، جاء بصيغ متنوعة: سحقا، وبعدا، ولعنة الله... إلخ، إضافة إلى التعابير الدالة على الشهادة من قبيل: والله يشهد، وكذلك تجلت في أساليب القسم.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 146

في ختام هذا الفصل يمكن القول: بأن الأفعال الكلامية من أهم منجزات الدرس التداولي ، وهي نظرية تقدم رؤية جديدة وظيفية للغة؛ بحيث تصبح أداة لتغير الواقع أو إنجاز أفعال بالكلام، وهي بهذا الطرح لا تتعامل مع اللغة كأداة للوصف والإخبار.

وقد تبلورت معالمها على يد الفيلسوفين أوستين وسيرل، وانطلاقا من جهودهما وما كتب عن هذه النظرية التداولية، توصل الفصل إلى تحديد ماهية الفعل ومستوياته وخصائصه، والحديث عن الأفعال المباشرة وغير المباشرة، فضلا عن البحث عن تجليات الأفعال الكلامية في التراث اللساني، كما اعتمدنا تصنيف سيرل لهذه الأفعال في الجانب التطبيقي، من خلال البحث عن مقاصد التعقيب وفق التصنيف الخماسي لسيرل.

الفصل الخامس

تداولية الإشاريات في التعقيب القرآني

توطئة:

يعد مفهوم الإشارة من المباحث التي استرعت اهتمام الباحثين والدارسين، فهي " من القضايا التي شغلت كلّ من اهتم بالنشاط الفكري عند الإنسان من الفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس، وشغلت كذلك كل من اهتم بالنشاط اللغوي من النحاة والبلاغين وعلوم اللسان، بمختلف فروعه وغيرهم، وهي ظاهرة تقع في أساس كل منظومة فكرية"[1] لأهميتها في تشكيل الخطابات. ومن الجدير بالذكر أن" اللغة نفسها نظام إحالي؛ إذ يحيل على ما هو غير لغوي، وهي نفسها تشتمل على نوعين من العناصر: إشارية وإحالية، وهما وجهان لابد من النظر فيهما عند دراسة الدلالة اللغوية؛ إذ هما أساسها، وقد درس اللسانيون والمناطقة هذه الناحية ونظروا فيها من حيث اتصالها بالمقام، لكنهم لم يتجاوزا مستوى الجملة"[2]، وهي ليست مبحثا تداوليا؛ لأن الإشاريات في التداولية تتجاوز الجملة إلى الخطاب ويرتكزُ فهمها على السياق.

– المبحث الأول: الإشاريات في الدرس التداولي:

تندرج الإشاريات ضمن الدرجة الأولى من الدرجات الثلاثة للتداولية حسب تصنيف هانسون لها، يتم البحث فيها عن طريق استحضار حيثيات السياق " فالمقام التخاطبي إطار يتحدد زمانا ومكانا بلحظة التخاطب، والعلاقة بينه وبين التخاطب علاقة جدلية إذ يحدد أحدهما الآخر ويتأثر به، فالتلفظ لا يكون إلا في مقام ما، والمقام لا يتعين إلا بعملية التلفظ

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 115

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بحدث خطاب يحدد لحظة زمانية معينة هي الآن"[1]، فالتداولية تهتم بدراسة الخطابات في سياقاتها.

1. مفهوم الإشاريات:

تهتم الإشاريات بدراسة الرموز الإشارية –بوصفها تعابير مبهمة في ذاتها– في سياق استعمالها"[2]، فالخطاب " يتجسد باللغة في مستوياتها كافة، والكلمات جزء من نظام اللغة، فتحيل كل كلمة على مدلول معين، إلا أن بعضا منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلوله إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين"[3] الذي يكسبها دلالة محددة، ويبعد عنها الإبهام، هذا ما ينطبق على الإشاريات، فبدون العودة إلى سياقها تصبح مبهمة غامضة.

وهي "من الوحدات اللغوية التي يقتضي الإلمام بمعناها معرفة خارجية، إلماما بعناصر محيطة بعملية التواصل لتحديد دلالتها، فلو قام خطيب في الناس قائلا مثلا: هذا يوم أغر... فإنه ينبغي لحصول الدلالة كاملة، أن يكون السامعون كالخطيب عالمين بطبيعة اليوم وذكراه أو الحدث الذي يمثله"[4]، لأن اسم الإشارة (هذا) وظرف الزمان (يوم) لا معنى لهما في ذاتهما إلا في سياق واحد يجمع المتكلم بالمتلقي.

---

[1] نرجس باديس، المشيرات المقامية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2009 ص: 35

[2] ينظر: فرانسوز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ص: 39

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 79

[4] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية الشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة، ط1، 2012، ص :54

يعرف جورج يول (George Yule) الإشاريات بقوله: " التأشير deixis يعني الإشارة من خلال اللغة، ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح التعبير التأشيري deictic expression عندما تلاحظ شيئا غريبا وتسأل ما هذا؟ فإنك تستعمل تعبيرا تأشريا (هذا) للإشارة إلى شيء ما في السياق المباشر، وتسمى التعابير التأشرية أيضا الإشاريات indexicals "[1]. وهو تعريف يربط الإشاريات بالسياق أيضا، " فمفتاح فهم الإشارة هو العملية التداولية التي يختار فيها المتكلم تعبيرا لغويا معينا بقصد تحديد كيان معين على افتراض أن السامع سيتعاون لتفسير هذا التعبير كما يقصده المتكلم"[2]" بعبارة أخرى يقترن فهم الإشاريات بالسياق وبمدى تعاون المتكلمين، حيث "يعتمد اختيار نوع معين من تعابير الإشارة دون غيره بشكل كبير على مقدار ما يفترضه يعني المتكلم من أن المستمع يعرف ذلك الشيء المشار إليه "[3].

والمعرفة المشتركة بين المتكلم والمتلقي لا تكون إلّا في ظل سياق مشترك يجمعهما، حيث" تعتمد في تفسيرها على المتكلم والسامع اللذان يشتركان في سياق واحد واللذين يعرفان تبعا لذلك ما المقصود بالتفوه الذي يرد في تحاورهما: سأضعها هنا، هذه الجملة غامضة للشخص الغائب الذي لا يعرف أوليات السياق الذي قيلت فيه، غير أن السامع يعرف بحكم ألفته بالسياق أن ليلى تريد أن تخبر أحمد أنها ستضع ساعة والدتها على

[1] جورج يول، التداولية، ص: 27

[2] مجيد الماشطة وأمجد الركابي، مسرد التداولية، ص: 65

[3] جورج يول، التداولية، ص: 39

المنضدة الموجودة في المطبخ"[1]" فلو غيبنا معطيات السياق استحال فهم المقصود من الإشارة بظرف المكان (هنا).

فاعلية السياق في فهم الإشاريات:

إن الإشاريات مفهوم تداولي يرتكز على السياق،" حيث يجسد هذا المفهوم بطريقة واضحة علاقة اللغة بالسياق، من خلال تراكيب اللغة نفسها، فكل لغة لها بنيات تقوم على الترميز تشير إلى مدلولات مرتبطة بالسياق، مثل الضمير الذي لا يشير إلى كيان معين في جميع التعابير، بل له دلالات تتنوع تبعا للسياق الذي يرد فيه"[2] فضمير المخاطب (أنت) له تركيب لغوي ثابت، لمن دلالته تتنوع حسب السياق، كما يختلف المرجع بحسب ما يشير إليه(رجل، امرأة، الاستعمار...إلخ)، وهو لا يحمل دلالة في ذاته.

فقد" حرصت اللسانيات البنيوية على المقاربة العلمية لمستويات اللغة المختلفة، مما جعلها تصطدم على المستوى الدلالي بمجموعة من الإكراهات المتعلقة بتفسير وظائف الموجهات المرتبطة بالمتحاورين كضمائر المتكلم والمخاطب (أنا، أنت) وظروف الزمان والمكان (الآن، هنا، هناك...) وهي الموجهات التي تحيل على التلفظ ومكوناته "[3]، لأنها خالية من الدلالة إذا كانت مقتطعة من سياقها، فلو قال الطالب: يوم تخرجي الخميس، لن يستطيع السامع لهذه العبارة المقتطعة من سياقها

---

[1] مجيد الماشطة وأمجد الركابي، مسرد التداولية، ص: 50

[2] look at, Stephen.C Levinson, combridge university, New York, 1983, p:54

[3] إلفي بولان، المقاربة التداولية، ص: 6

تحديد يوم التخرج بالضبط، لأنه بدون العودة للسياق التخاطبي يستحيل معرفة تاريخ هذا الخميس على وجه الدقة، ومن هنا يعد استثمار السياق بجميع معطياته أمر لابد منه، لأنه يشكل أرضية مشتركة بين المرسل والمرسل إليه التي تضن للخطاب سيرورته . "فنحن لا نستطيع أن نتخيل على سبيل المثال أن يحصل تفاهم بين شخصين لا يمتلكون خبرات مشتركة فيما بينهما، فالتناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل يعتمد إلى حد ما على المشترك من هذه الخبرات"[1].

وفهم الإشاريات تداوليا لا يلغي المستوى الدلالي، لأن التأشير يكون باللغة، كقوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ (البقرة 157)، هذا التعقيب اشتمل على جملة من الإشاريات(أولئك، عليهم، ربهم، هم)، والتي يقتضي فهم إحالاتها العودة إلى السياق النصي بمعرفة السابق واللاحق لهذا التعقيب، وبالعودة للآية السابقة نجد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة 156)، الملاحظ لهذه الآية الكريمة، يجد أنها جملة موصولة توضح التعقيب من خلال بيان إحالة الإشاريات ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾، وكما هو معلوم أن اسم الموصول من المبهمات يحتاج إلى سياق يوضحه، لذا فالعودة إلى ما سبق هذه الآية أمر لا بد منه، يقول تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة

[1] عرفات فيصل المناع، السياق والمعنى، دراسة في أساليب النحو العربي، منشورات الاختلاف، ط1، 2013، ص: 93

155)، وبهذا أسهم السياق النصي في فهم إحالات الإشاريات الواردة في التعقيب.

أما عن البعد التداولي للتعقيب:(أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ فهو يتجاوز الدلالة المباشرة، ليصل إلى المقصد السياقي، والمتمثل في مدح عباد الله الصابرين، جاء في تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: " أولئك إشارة إلى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للإيذان بعلو ﴿عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ الصلاة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة " [1] وفي تكرار الإشاريات دلالة للتنويه بهم وبجزائهم الموفور عند ربهم.

وهنا يحسن التذكير بأنَّ "العنصر الإشاري deictic element يشمل كل ما يشير إلى ذات أو مواقع أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة، فيمثل العنصر الإشاري معلم index لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره "[2]. مثل الإشاريات التي اشتملها التعقيب القرآني الذي ختمت به الآيات الآتية، يقول تعالى ﷻ:﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (البقرة 5/1) تضمنت الآيات الكريمة تعقيبا جاء بصيغة إشارية: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ج1، ص: 181/180

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 116

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ وهو مدح وثناء للمؤمنين الذين التزموا بأوامر الله، وهذا ما يفسره سياق هذا التعقيب الذي جاء بعده، فقد " أخبر الله تعالى عن أفعالهم الظاهرة والباقية أخبر بثمرتهم (أولئك) أي الموصوفون بتلك الصفات الظاهرات، أولئك: أي العالو الرتبة"[1].

والملاحظ للآيات المرتبطة بالتعقيب، يجد أنها تضمنت صيغا إشارية شكلت حقلا إشاريا يحيل على مرجع واحد يعود على عباد الله المتقين، استفتحت الآيات بعنصر إشاري ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ حيث تكرر اسم الموصول (الذين) مرتين، وضمير الغائب (هم) ثلاث مرات، ولا يفسر كل عنصر إشاري منهم غيره، بل يرتبط بالمرجع (المتقين) الذين ارتبط وصفهم بصيغة إشارية تخصصهم وهي هدايتهم بالقرآن " وخص المتقين لأن الألد لا دواء له والمتعنت لا يرده شيء، فقال ﴿ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ أي الذين جبلوا في أصل الخلقة على التقوى، فأفهم ذلك أن غيرهم لا يهتدي به، بل يرتاب وإن كان ليس موضعا للريب أصلا "[2] الذي عبر عنه عز وجل بقوله: ﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ " ذلك الكتاب لعلو مقداره بجلالة آثاره، وبعد رتبته عن نيل المطرودين، ولما علم كماله أشار إلى تعظيمه بالتصريح بما ينتجه ويستلزمه ذلك التعظيم ﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾"[3]

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص: 34

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص: 33.

وبهذا يتضح أن مدلول الإشاريات يحتاج إلى استحضار السياق، ولا يقترن فهمها بما قبلها من العناصر الإشارية، فهي لا تفسر بعضها بعضا، وتشكل في مجموعها حقلا إشاريا " تمثل العناصر الإشارية فيه جملة الذوات التي تكون العناصر الأساسية الدنيا في عالم الخطاب، وتتصل هذه الذوات مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية، فهي ترتبط بالحقل الإشاري diectic field ارتباطا آنيا محدودا مباشرا لا يتجاوز ملابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل"[1] وفي ظل تلك الملابسات تتحدد المقاصد، فالإشاريات بغير سياق استعمالي كلمات مبهمة غامضة لا تشير إلى محدد بعينه.

2. الإشاريات والكفاءة التداولية:

مفهوم الكفاءة اللغوية أو اللسانية من المفاهيم التي جاء بها تشومسكي لدلالة على " القدرة التي يتمتع بها الناطقون بلغة ما والتي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل العديدة، غير أنه لا يمكننا في مجال تحليل الخطاب، الاكتفاء بهذه الملكة النحوية، ذلك أنه تضاف إليها الملكة التداولية التي تنطوي على قواعد تسمح للمتكلم بتأويل ملحوظ بالنسبة إلى السياق بعينه"[2]. وبوصف الإشاريات بالمبهمات إذا أُقتطعت من سياقها، فإن فهمها لا يعتمد على دلالتها النحوية فقط ، "فالإشارة الناجحة تعني أنه تم التعرف على القصد عبر الاستدلال، وهذا ما ينطوي

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 116

[2] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص: 22.

على نوع من المعرفة المشتركة والترابط الاجتماعي"[1]، وهما بعدان سياقيان خارج النص، يتم استثمارهما إلى الجانب اللغوي.

فالوصول إلى مدلولات الإشاريات يعتمد على استثمار المعطيات السياقية، حيث يعتمد المتكلم على الكفاءة التداولية للمُخاطَب، لأن المعنى الحرفي المعجمي ليس بمقصود دائما في الخطاب، " فالمفهوم الإشاري يتولد عن اللغة عندما تتجاوز وظيفتها الرئيسة إلى أن تكون موظفة لرسم شبكة من العلاقات مع معنى بعيد عن منطوقاته يمكن إدراكه من خلال إسهام عناصر السياق والمقام والمعرفة الخلفية إسهاما فاعلا فضلا عن اللغة، من هنا ظهرت قضية عدم كفاية اللغة وحدها لتأدية هذا المعنى اللاقولي"[2] مما يؤكد على ضرورة البحث عن البعد التداولي لها، حتى نصل إلى مقاصد الخطاب.

ومن أجل الوصول إلى مقاصد الإشاريات تتكامل الكفاءة اللغوية مع الكفاءة التداولية، " فإذا كانت اللغة تسهم في عملية التخاطب بتزويد المتخاطِبين بالمادة اللغوية الخام، فإن الكفاية اللغوية للمخاطب كفيلة بتركيب الرسالة المبلغة تركيبا سليما، لأداء مهمة الإبلاغ والإفادة وإحداثا وإفهاما، وتتكفل كفايته التخاطبية بنجاحه في استخدام المقولات اللغوية استخداما مناسبا للسياقات المختلفة، معينا على تحصيل غاية التفاهم بينه

[1] مجيد الماشطة وأمجد الركابي، مسرد التداولية، ض: 65

[2] نوار محمد إسماعيل، تأويل الجملة القرآنية، دار الراية، عمان، ط1، 2010، ص: 146

وبين مخاطبه"[1]، فكم من خطاب ظاهره المدح وباطنه السخرية، وكم من خطاب ظاهره التعظيم وباطنه الذم، ومثل هذه الخطابات تثبت قدرة المتخاطبين على فهم الدلالات السياقية غير القولية مستعينين بكفاءاتهم التداولية.

ومن التعقيبات القرآنية التي تستدعي الإحاطة بمعطيات السياق، قوله تعالىﷻ: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ (الدخان 49)، فالضمير (أنت) للمخاطب عنصر إشاري تخصيصي يتضمن معنى مضمرا يحتاج إلى إعمال السياق، فهو يعود على الأثيم حسب سياق النصي للآيات الكريمة، وبالعودة للسياق الخارجي يتبين المقصود بالأثيم، وهو تحديد يحتاج إلى توضيح أكثر، فمن يكون هذا الأثيم، وبالعودة لأسباب نزول هذه الآيات الكريمة، نجد " أن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد، فيقول: تزقموا، فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد عليه السلام، فنزلت: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴾، وقوله: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ سبب نزولها: لقي النبي ﷺ أبا جهل، فقال : إن الله أمرني أن أقول لك: ﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴾ قال فنزع ثوبه من يديه، فقال ما تستطيع لي أنت وصاحبك من شيء، لقد علمت أني أمنع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله يوم بدر، وأذله،

[1] محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007، ص:152

وعيره بكلمته، ونزل فيه: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ "[1]، فالكفاءة التداولية للمتلقي في هذه الحالة نستثمر معطيات السياق (النصي والخارجي)، فنفهم فحوى الخطاب والمخاطَب، وأن التعبير الإشاري في هذه الحالة خطاب سخرية .

لا يكفي التركيب النحوي والدلالي لفهم التعابير الإشارية، إذ تحتاج إلى استحضار السياق الداخلي(النصي)، والخارجي بما فيه أحوال المتخاطبين والإطار الزمكاني لأن مفهوم الإشارة " مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة، أو الزمن أو المكان حيث ينجز الملفوظ الذي يرتبط معناه"[2] ويتحدد نوع الإشاريات بحسب المرجع المقامي للخطاب الذي تتم الإحالة له.

ومثال ذلك اسم الإشارة (أولئك) الذي جاء في مواضع عديدة، تتنوع دلالته بحسب السياق، جاء في قوله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران 104)، التعبير الإشاري ب(أولئك) تضمن دلالة المدح للمتصفين بالصفات المذكورة في بداية الآية، لأن التعقيب فيه تبين لجزاء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وفي دلالة أخرى سياقية لاسم الإشارة أولئك، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، حدائق الروح والريحان، ج 26، ص: 381

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 116

يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ الأعراف179، التعقيب ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ جاء مستهلا باسم الإشارة (أولئك) الذي يعود على طائفة من الجن والإنس غفلت عن طريق الهداية، فجاءت الصيغة الإشارية تحمل معنى الاحتقار؛ فهم يشبهون الأنعام في عدم إعمال العقل، بل أكثر ضلالا منها، ويختم التعقيب مرة أخرى باسم الإشارة تأكيد للاحتقار وإبرازا لمنزلتهم عند الله.

ونستدل بمثال آخر للتعقيب بالتأشير، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سبأ 43)، تكرر العنصر الإشاري (هذا)، وهو يحيل إلى الرسولﷺ ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾، ويحيل إلى القرآن الكريم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾، يحيل إلى الحق في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، انطلاقا من سياق هذه الآية الكريمة يتبين أن الصيغة الإشارية تتضمن معنى الاستخفاف بالرسولﷺ " واستحضروه بطريق الإشارة دون الاسم إفادة لحضوره مجلس التلاوة وذلك من تمام وقاحتهم فقد كان النبي ﷺ يقرأ عليهم القرآن في مجالسهم كما ورد في حديث قراءته على عتبة بن ربيعة سورة فصلت وقراءته على عبد الله بن أبي بن سلول للقرآن بالمدينة في القصة التي تشاجر فيها المسلمون والمشركون"[1]، هذا يصور حقد المشركين ورفضهم لرسالة محمد عليه السلام، وهذا ما تعلله المواصفات

[1] محمد بن الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج22، ص: 226

التي وصفوا بها القرآن الكريم فمرة نعتوه بالإفك وأخرى بالسحر، والهدف من كلامهم هذا التقليل من قيمة الرسولﷺ والحط من قيمة القرآن الكريم.

إجمالا: إن تحليل الخطاب في مجال الإشاريات يقتضي البحث في الجوانب الاجتماعية والتفاعلية بين المتخاطبين في سياق بعينه، فالتحليل التداولي للتعابير الإشارية يرتكز على السياق، حيث تمثل معطياته أرضية ينطلق منها المتلقي لفهم مقاصد الإشاريات، مستعينا بكفاءته التداولية فعن طريق الاستدلال يفهم مراد المتكلم، لأن البنية النحوية واللغوية قد لا تكون مقصودة، فيتخذ العنصر الإشاري الواحد في سياقات مختلفة عدة دلالات كالاحتقار أو التعظيم...إلخ

- **المبحث الثاني: أنواع الإشاريات وإرهاصاتها في التراث اللساني:**
- **أنواع الإشاريات:**

من المعلوم أن للإشاريات دورا مهما في تشكيل الخطاب وترابطه وفي إيصال المقاصد، " فلا يمكن أن تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الإشارية الثلاثة: وهي (الأنا، الهنا، الآن)، ويمثل كل منها نوعا من الإشاريات، وهي: الإشاريات الشخصية، الزمانية، المكانية، ولأنها موجودة في كفاءة المرسل اللغوية، فإن المرسل لا ينطقها في كل حين، ولنرى أن خطابا مثل: افتح الكتاب، يتضمن هذه الإشاريات الثلاث؛ فبنية الخطاب في صورتها العميقة، هي : أنا أقول لك، هنا، افتح الكتاب الآن"[1]، أي الإشاريات قد تكون ظاهرة أو مضمرة، كما تصنف الإشاريات بحسب

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 82

مرجعيتها إلى: الشخصية والزمانية والمكانية، وسنقتصر في هذا البحث على هذه الأنواع الأساسية لاقتصار البحث على التعقيب القرآني فقط.

1. الإشاريات الشخصية:

يتحدد هذا النوع من الإشاريات بموقع المتكلم في السياق، "وهي بشكل عام، الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، فالذات المتلفظة، تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا"[1]. ومن أهم هذه الإشاريات في العربية بعض أسماء الإشارة التي تشير إلى ذوات والأسماء الموصولة والضمائر، هذه الأخيرة "تتفرع في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب(أي حسب مشاركة الأشخاص المشار إليهم في عملية التلفظ أو عدم مشاركتهم فيها) إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المستقبل"[2]

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 82

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص: 117

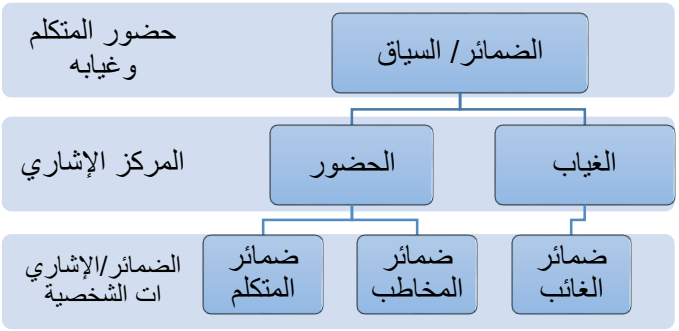

كما يمكن تقسيم هذه الضمائر وفق معيار آخر " فكل مجموعة منها تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة، أما ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد، فضمائر الحضور أكثر تفصيلا من ضمائر الغياب، وهذا ما يرتبط كما أسلفنا بأولوية الشخوص المشاركة في عملية التلفظ" [1]. ومعيار هذا التقسيم بهذا الوصف لا يخرج عن إطار السياق لاسيما العنصر الشخصي فيه؛ أي المرسل والمرسل إليه.

وما تحسن الإشارة إليه، أن البعد التداولي للإشاريات (الضمائر في هذا الموضع) لا يرتكز على البحث عن الإحالات، أو الأبعاد النحوية واللغوية، إنما يهتم بالبعد السياقي، أي دلالة توظيف الضمائر في سياق معين، وفي هذا الشأن يرى جون سيرفوني في كتابه الملفوظية أن: " أنا(je) الذي يستخدمه الصحفي المعروف في الصحافة الرائجة وفي نقد الفن، هذا ال أنا، ليس له دور في إضفاء الطابع الشخصي البارز والذاتي على الأحكام المطروحة، بل على العكس فإنه يهدف إلى إعطائها وزنا فعليا

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 117

من حيث إنّه يمثل الموقف الاجتماعي للمؤلف"[1] من خلال هذا الطرح، فإن إحالة الضمير تعود على الصحفي وهو معطى نصي داخل النص، لكن البعد التداولي؛ أي الموقف الاجتماعي هو دلالة سياقية خارج النص.

ومن أمثلة الإشاريات الشخصية في الخطاب القرآني، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾، (الأنعام 78)، بحسب سياق هذه الآية نستخلص أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) الذي ورد ذكر اسمه في بداية الخطاب، قد أحالت عليه جملة من الإشاريات الشخصية: الضمير المستتر(هو) في الأفعال مثل: رأى وقال، والضمير المتصل(الهاء) وياء المتكلم(ربي، إني)، فمحور الخطاب في هذه الآيات الكريمة هو سيدنا إبراهيم الذي" حاور وداور وتلطف في القول، وأرخى لخصمه العنان حتى وصل إلى ما أراد بألطف وأحسن طريق متبرئا من تلك المعبودات التي جعلوها أربابا وآلهة مع الله، وبعد أن تبرأ من شركهم، ففي تلك البراءة بيان عقيدته عقيدة التوحيد الخالص"[2].

وعليه يمكن القول أن تنوع الإشاريات الشخصية في هذا الخطاب،

[1] جون سيرفوني،الملفوظية، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، دط، 1998، ص: 50

[2] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج8، ص: 425

كان منسجما مع مقاصده، فالإشاريات العائدة على سيدنا إبراهيم(عليه السلام)، جاءت متسلسلة؛ حيث نجد في بداية كل آية من الآيات الكريمة ذكرا له، كما يجد القارئ سلاسة في الخطاب بحيث يفهم المراد ولا يجد لبسا في فهم الإحالات التي تحيل عليها الإشاريات سواء الشخصية التي تحيل إلى محور الخطاب (سيدنا إبراهيم عليه السلام) أو الإشاريات التي لها صلة بفحوى الخطاب؛ أي حجاجه مع قومه.

مجمل القول: الإشاريات الشخصية هي كل ما يحيل على المتكلم في السياق، وتجسده الضمائر المختلفة بحسب الحضور والغياب، وبعض أسماء الإشارة والموصولة التي تحيل إلى المتكلم ، وتتحدد هويتها في السياق الذي على ضوءه تتجلى مقاصد الخطاب.

2. الإشاريات المكانية:

يقصد بها الإشاريات التي تحيل إلى مكان له صلة بالخطاب؛ بحيث يدركه المتكلم والسامع، مثل: هنا، هناك، قرب...إلخ، " فهي لواحق تشير إلى كل مكان ينبغي أن تشمله دلالة المتكلم، يدركه السامع لتنجح العملية التواصلية"[1]. كقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴾ (الفرقان 13)، يحيل اسم الإشارة للمكان البعيد (هُنَالِكَ) إلى مكان في جهنم، يتحدد من سياق الآية: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ١١ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴾ (الفرقان 12/11).

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية، ص: 56

فالمخصص بالخطاب في هذه الآيات الكريمة هم الكفار المكذبين بالساعة " وقد أعد لمن كذّب بالساعة نارا مستعرة، وإذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد... سمعوا صوت غليانها، وإذا طرحوا في مكان ضيق، وهم مقرنون في السلاسل والأغلال... تمنوا الهلاك ليسلموا مما هو أشد منه، كما قيل: أشد من الموت ما يتمنى منه الموت، فيقال لهم حينئذ: لا تدعوا هلاكا واحدا، فإنه لا يخلصهم، بل اطلبوا هلاكا كثيرا لتخلصوا به"[1]، فيتضح مما سبق أن اسم الإشارة للمكان (هُنَالِكَ) يحيل إلى مكان ضيق في جهنم، تزداد شدة التعذيب فيه، وبهذا تقترن الصيغة الإشارية في التعقيب انطلاقا من السياق بالوعيد للكفار المكذبين بالساعة، هذا الوعيد المتضمن التهويل من خلال تصوير العذاب الشديد لدرجة تمني الهلاك الكثير للتخلص منه.

جاء اسم الإشارة (هنالك) بدلالة أخرى في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٖ ١١٦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾ (الأعراف 119)، اسم الإشارة(هناك) الدال على مكان يبقى مبهما بدون فهم سياق هذه الآية، والتي جاءت في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع السحرة، فالمقصود بالخطاب في هذه الآية هم سحرة فرعون الذين غلبوا وفُضحت أسحارهم، وأيقنوا أن القوة لله وحده ، واسم الإشارة (هُنَالِكَ) " اسم إشارة دال على المكان أي غلبوا في ذلك المكان، فأفاد بداهة مغلوبيتهم وظهورها

[1] محمد الأمين عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج 19، ص: 492

لكل حاضر"[1]. ومن هذا المنطلق تدل الصيغة الإشارية على قدرة الله القاهرة للباطل، ونصر الله لأنبيائه، ف(هنالك) يحيل على مكان اجتماع السحرة الذي غلبوا فيه وانصرفوا منه مقهورين مغلوبين.

-الإشاريات الزمانية:

هي ما يحيل على زمن له صلة بالخطاب؛ بحيث يدركه المتكلم والسامع من خلال السياق مثل: أمس، يوم، الساعة..إلخ وتعَرف أيضا بأنها " لواحق تدل على ما يرتبط بزمان الخطاب، وما ينبغي أن يدركه السامع من الدلالات الزمنية الضرورية لإدراك المعنى كاملا "[2]، ويتحدد المعنى التداولي لها في سياق معين، كقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس 24)، الإشاريات الواردة في هذه الآية الكريمة: ليلا، ونهارا، والأمس، وهي ظروف زمان تشير إلى زمن محدد في دلالاتها المباشرة، لكن دلالاتها التداولية تختلف من سياق إلى آخر، جاء في تفسير التحرير والتنوير في تبيين المقصود بالليل والنهار" وقوله ليلا أو نهارا ترديد في الوقت لإثارة التوقع من إمكان زوال نضارة الحياة في جميع الأزمنة؛ لأن الشيء المؤقت بمعين من التوقيت يكون الناس في أمن من حلوله في غير ذلك الوقت"[3]، والتعبير الإشاري الزماني فيه دلالة

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص:51

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية، ص:57

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 11، ص: 143

" لإرادة الاستئصال فهو ينذر بالتهديد للكافرين، ويجعل التمثيل أعلق بحياتهم"[1]، و "المراد بالأمس في الآية مطلق الزمن الذي مضى" [2]، ومن هنا نخلص إلى أن التعبيرات الإشارية تحمل دلالة الوعيد والدعوة للاعتبار من فناء الدنيا، فالبعد التداولي للإشاريات الزمانية يتجاوز الدلالة المباشرة لزمن معين، ليصل إلى دلالات سياقية تنسجم فيها الإشاريات مع المقاصد العامة للآية أو الآيات المقصودة.

يقول تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ٤١ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًۢا﴾ (النساء 42/41)، الاشارة الزمانية في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، تحتاج لفهم السياق، " وقوله ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ استئناف بياني؛ لأن السامع يتساءل عن الحالة المبهمة المدلولة لقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ ويتطلب بيانها، فجاءت هذه الجملة مبينة لبعض تلك الحالة العجيبة، وهو حال الذين كفروا حين يرون بوار الشر: من شهادة شهداء الأمم على مؤمنهم وكافرهم، ويوقنون بأن المشهود عليهم بالكفر مأخذون إلى العذاب، فينالهم من الخوف ما يودون منه لو تسوى بهم الأرض"[3]، انطلاقا من هذا السياق يتضح أن الصيغة الإشارية تحمل دلالة سياقية تتمثل في التهويل المناسب ليوم الحساب، وإظهار اليوم العصيب على الكفار (يوم الحساب والشهادة).

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 11، ص:143

[2] المرجع نفسه، ص:144

[3] المرجع نفسه، ج5، ص:58

3. إرهاصات الإشاريات في التراث اللساني:

إن الحديث عن الإشاريات من منظور تداولي لا يعني غياب هذا المفهوم في تراثنا العربي، وإن اختلف المصطلح" فقد عالج العلماء العرب المكونات الإشارية وأطلقوا عليها (المبهمات) التي أرادوا بها (أسماء الإشارة والموصولة والضمائر) أيضا؛ لأنها لا تخص شيئا دون آخر، ولا يتحدد مقابلها الدلالي إلا بوجود ما يحيل إليه كل صنف من هذه الإشاريات، فضلا عن إشارتهم المتفرقة إلى أصناف هذه الإشاريات "[1]

وعن هذه المبهمات في اللغة يقول سيبويه: "اعلم أن الأسماء المبهمة التي توصف بالأسماء التي تنزل منزلة أي، وهي هذا وهؤلاء وأولئك وما أشبهها، وتوصف بالأسماء، ذلك قولك، يا هذا الرجل، ويا هذان الرجلان، صار المبهم وما بعده بمنزلة اسم واحد"[2]. وعليه، فآية إبهامها حاجتها للتوضيح أو الوصف، إذا كانت منقطعة عن سياق معين، ومن المبهمات التي نستدل بها في هذا الموضع، الاسم الموصول، وهو " ما افتقر إلى الوصل، بجملة خبرية أو ظرف أو مجرور تامين، أو وصف صريح، وإلى عائد"[3] مما يؤكد حاجة المبهمات (الإشاريات) لسياق تنتظم فيه دلالتها.

كما أن " بالتمعن في الإرث اللغوي العربي يلحظ أن القدماء كانت لهم إسهامات قيمية في معالجة تلك الإشاريات الشخصية الموسومة عندهم ب

---

[1] دلخوش جار الله حسين دزه يي، التأشير بين القدماء والمحدثين، مجلة جامعة زاخو (العراق)، 2015 المجلد 3، العدد 2، ص: 448

[2] سبويه، الكتاب، تح: هارون عبد السلام، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط3، 1988، ج2، ص: 189.

[3] ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص: 80

(الضمائر) التي تفطنوا إلى أنها تتسم بالخفاء والدقة واللطافة الدلالية بحيث لا يزول إبهامها إلا بتغلب السياق عليها وتحكمه في تحديد محورها، وقد فصل القدماء القول في مفهوم الضمير وأصنافه حسب حضور في المقام أو الغياب، أو حسب مشاركة الأشخاص أو الذوات في عملية التخاطب"[1] وهذه كلها معطيات سياقية تكسب الإشاريات دلالات متنوعة.

لم يكتف القدماء بتحديد المبهمات وتصنيفها، من قبيل الضمائر والأسماء الموصولة فحسب، بل توجد إشارات لعلاقة بعض المبهمات بالواقع وأحوال المخاطب، حيث" إن القدماء قد أشاروا إلى هذه المحددات الإشارية الاجتماعية ضمن أبواب وفصائل نحوية وصرفية وبلاغية متفرقة مثل فصيلة النداء والتصغير، ولاسيما ذكرهم لأغراض التصغير الدلالية، فضلا عن معالجتهم لمفاهيم هذه الإشاريات الاجتماعية في أثناء تناولهم لبعض موضعات ندائية كيفية استعمال بنية (أيها) للنداء، والنداء ب(وا) الندبة و النداء الدال على الاستغاثة والتعجب"[2]، فقد جاء في الكتاب لسيبويه: " اعلم أن المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها، وإن شئت لم تلحق كما لم تلحق في النداء، واعلم أن المندوب لا بد من أن يكون قبل اسمه يا أو وا[3]" . وهذا يبرز العلاقة بين تركيب المبهمات بسياق الكلام، فالندبة والاستغاثة تكون بصيغ محددة لدواع سياقية.

---

[1] دلخوش جار الله حسين دزه يي، التأشير بين القدماء والمحدثين، ص:451

[2] المرجع نفسه، ص: 459

[3] سيبويه، الكتاب، ج2، ص: 220

إضافة إلى ذلك، توجد إشارة للدلالات السياقية للإشاريات في مفتاح العلوم للسكاكي إلى تباين دلالات أسماء الإشارة (بوصفها نوعا من الإشاريات) تبعا للسياق الذي وردت فيه: " أن تقصد العناية بالتميز والتعين، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ ، أو أن تقصد بذلك أن السامع غبي لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس، كقول الفرزدق في خطابه جريرا: أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع أو تقصد بقربه تحقيره واسترذاله [...] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ ﴾ العنكبوت 64 ، كما تقول في مقام التعظيم: ذلك الفاضل، وأولئك الفحول"[1]. مما سبق يتضح من كلام السكاكي أن للسياق دورا هاما في تحديد مدلولات أسماء الإشارة، فقد يكون مدلولها التعظيم أو التحقير أو التعيين... إلخ، وفي هذا إشارة مهمة إلى اهتمام القدامى بمفهوم الإشاريات وصلته بالسياق.

- **المبحث الثالث: الإشاريات في التعقيب القرآني:**

1. الإشاريات الشخصية:

- **الضمائر:**

تعد الضمائر من أكثر الإشاريات توظيفا في الخطاب القرآني عامة وفي التعقيب خاصة، فهي تساهم في ترابط النسيج النصي، ولا تتقيد بإحالة واحدة، بل تتعدد إحالاتها وأبعادها التداولية تبعا للسياق الذي جاءت فيه، وما يهمنا في هذا البحث البعد التداولي المرتكز على فاعلية السياق في

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 277

فهم الإشاريات، " كقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ (القدر 1)، فالضمير في أنزلناه يعود على القرآن ذلك لأن الفعل أنزل يقتضي شيئا منزلا والضمير أنا يدل على أنه منزل من عند الله، أيضا ذِكر ليلة القدر تدل عليه، فهناك آيات أخرى في القرآن فيها كلمة ليلة وصُرح فيها بكلمة كتاب وبعدها الفعل أنزل، وهي قوله تعالى: ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ الدخان 3/1 "[1]، وبهذا يتبين أن فهم الضمائر –بوصفها نوعا من الإشاريات– على السياق بنوعيه الداخلي والخارجي؛ فالسياق الداخلي يقتضي العودة إلى السابق واللاحق لفهم المراد، أو العودة إلى خارج السورة من سور القرآن، والسياق الخارجي يخص القرائن المقامية، فقد ارتكز فهم الضمير المتصل (الهاء) في الفعل أنزل على السياق، لأن المرجع غير مذكور، والبعد التداولي" في الإتيان بضمير القرآن دون الاسم الظاهر إيماء إلى أنه حاضر في أذهان المسلمين لشدة إقبالهم عليه فكون الضمير دون سبق معاد إيماء إلى شهرته بينهم"[2]، وإضمار القرآن(أنزلناه) مرتبط بالمقاصد العامة للسورة، والتي أجملها صاحب تفسير التحرير والتنوير بقوله:" التنويه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلى الله تعالى، والرد على الذين جحدوا أن يكون القرآن منزلا من الله تعالى، ورفع شأن الوقت الذي انزل فيه ونزول الملائكة في ليلة إنزاله"[3].

[1] محمد حسنين صبرة، مرجع الضمير، دار ضريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 2001، ص: 17

[2] محمد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص: 456

[3] المرجع نفسه، ص: 455

مما سبق يتضح أن البحث عن الأبعاد التداولية للإشاريات يقتضي الإلمام بعناصر السياق بنوعيه النصي والمقامي، ولتسهيل البحث عن الأبعاد التداولية للضمائر في التعقيب القرآني يحسن تنظيمها في أصناف:

❖ **ضمير الغائب:**

ومن الإشاريات الشخصية التي تحيل على المولى ﷻ، قوله تعالى:﴿ و ۦإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾ (الأنفال 61)، حيث تضمن التعقيب ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ تأشيرا بضميرين : الأول ضمير غائب متصل (الهاء)، والثاني ضمير غائب منفصل (هو)، وهما يحيلان على المولى (عز وجل)، وقد جاء ضمير الغائب في سياق التوكيد ب(إن، وتكرار الضمير)، وعليه تحمل الصيغة التأشيرية تعظيما لله عز وجل، وإبرازا لقدرته في معرفة ما تخبئه الصدور، " (هُوَ ٱلسَّمِيعُ) فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع، (ٱلۡعَلِيمُ) فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم"[1]. مما يعني أن ضميري الغائب في هذه الآية الكريمة يشكلان مركزا إشاريا واحد يحيل على الله تعالى القادر على كل شيء.

يقول تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ٤٤ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (الروم 45)، تضمن التعقيب ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ عنصرين إشارين أولا: الضمير المتصل (إنَّهُ)، وثانيا: الضمير المستتر(هو) في الفعل (لا يحب)، وهما حسب سياق هذه الآية الكريمة يحيلان على الله عز وجل،

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ص: 33، ج: 4

وانطلاقا من سياق الآية الكريمة تحمل الصيغة الإشارية معنى التوكيد والوعيد، فالله تعالى يتوعد الكفار، " فالآية من وادي الاحتباك، وهو أن يؤتى بكلامي يحذف من كل منهما شيء ويكون نظمهما بحيث يدل ما أثبت في كل ما حذف من الآخر، فالتقدير هنا بعد ما ذكر من جزاء الذين آمنوا أنه يحب المؤمنين ويجزي الذين كفروا وعملوا السيئات بعدله، لأنه لا يحب الكافرين، فغير النظم ليدل مع دلالته كما ترى على ما حذف على أن إكرام المؤمنين هو المقصود بالذات، وهو بعينه إرغام الكافرين"[1]، وعليه فإن التأشير بضمائر الغائب في التعقيب يتضمن دلالة التأكيد على الجزاء الموفور للمؤمنين، والوعيد للكافرين.

ومن الإشاريات التي تحيل على الشيطان لعنة الله عليه، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة 168)، التعقيب: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ وتضمن عنصرين إشاريين: المخاطب الجمع (كم): وتضمن خطابا من الله للناس" والخطاب بيأيها الناس موجه إلى المشركين كما هو شأن خطاب القرآن بيأيها الناس، والأمر في قوله ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مستعمل في التوبيخ على ترك ذلك وليس للوجوب ولا للإباحة، إذ ليس الكفار بأهل للخطاب بفروع الشريعة فقوله ﴿كُلُواْ﴾ تمهيد لقوله بعده ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ " [2]، والهاء: في (إنّه) يحيل إلى الشيطان عليه لعنة الله، وقد جاء الضمير بالغائب مع أداة التوكيد (إن) تقريرا لعداوة

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص: 635

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 104

الشيطان وإشارة لخفاء أعماله بالوسوسة، كما يبينه الوصف بأنه عدو مبين، فهو تحديد دقيق لهذا العدو﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾، " بتكبره على أبيكم ومكره به وسؤاله الإنظار لإضلالكم ﴿مُّبِينٌ﴾، أي ظاهر العداوة فلا تتبعوا العدو في منابذة الولي، ثم علل إبانة عداوته والنهي عن إتباعه بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة 169"[1]. مما سبق يتضح أن الصيغة الإشارية التي جاءت مرتكزة على الضمير الغائب المتكرر الذي يحيل على الشيطان، تحمل تحذيرا من خطورة هذا العدو والتأكيد على وجوب الحذر منه ومن وسوسته بالسوء والفحشاء.

وقد جاء هذا التعقيب في العديد من سور القرآن الكريم، وفي سياقات مختلفة تشترك جميعها في التحذير من مكر الشيطان والتذكير بعداوته الأبدية، من قبيل قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ويَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (البقرة 208)، فجاء التأشير بضمير الغائب (هو) وضمير المخاطب(كم) العائد على الذين آمنوا، وهم المقصود بالخطاب الذي فحواه: دعوة للدخول في السلم، والتحذير الواضح من الشيطان وخبثه، والتذكير بعدواته، خصصه الضمير الغائب (هو).

وجاء التعقيب السابق أيضا في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص: 306

(الأنعام 142)، تضمن التعقيب إشارة، فيها تخصيص لعداوة الشيطان البينة، والتحذير من إتباعه في تحريم ما أحله الله من نعمة الأنعام على اختلافها، كما جاء هذا التعقيب بعد تحذير المولى ﷻ من عبادة الشيطان واستفتح التعقيب بتوكيد (إنَّهُ) يتضمن إشارة لعداوة الشيطان ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يس 6).

من الإشاريات التي جاءت بصيغة الجمع الغائب، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة 34) تضمن التعقيب: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ عنصرا إشاريا(هم) يعود على الأحبار والرهبان الذين يتحايلون في جمع المال بالباطل، وعطف عليهم الذين يكتنزون المال ولا ينفقونها في سبيل الله، فجاءت الإشارة إليهم بضمير الغائب المتصل بالفعل بَشَّرَ " والتبشيرُ مستعار للوعيد على طريقة التهكم" [1] . ومن هذا المنطلق يتبين أن الضمير الغائب في التعقيب يتضمن تحديدا للمخصوص بالخطاب أي تلك الطائفة من الرهبان والأحبار التي تأكل أموال الناس، إضافة إلى الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، وفحوى الخطاب: الوعيد بالعذاب الأليم لهذين الصنفين من الناس.

ونظير التعقيب السابق الذي تضمن وعيدا بتركيب مشابه، قوله تعالى:﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران 176)، جاء

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص: 178

التعقيب ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يتضمن حكم الله عز وجل على صنيع الكفار الذين يسارعون في الكفر، بأن جهنم مصيرهم، واحتوى التعقيب عنصرا إشاريا الضمير الغائب (هم)، وتخصيص العذاب الشديد لهم، كما يوحي تنكير العذاب ووصفه بالعظيم بهوله المناسب لجرم الكافرين.

يقول تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ (الأعراف 64)، جاء التعقيب: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ يجسد حكما إلهيا، يخص قوم نوح انطلاقا من سياق الآية في سورة الأعراف، فقد استحقوا الوصف بالعمى، " عمى القلوب غير مستبصرين، قال ابن عباس رضي الله عنه: عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد"[1]. بهذا ضلوا عن طريق الله، وقد وضحه العنصر الإشاري (إنَّهم) الذي جمع في التركيب بين أداة التوكيد (إنَّ) والضمير الغائب (هم) وبواو الجماعة في (كانوا)، لتخصيص قوم سيدنا نوح عليه السلام بعمى البصائر.

ومن التعقيبات المتكررة بالصيغة الإشارية نفسها في سياقات مختلفة، وفي سور مختلفة أيضا، قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ والذي تكرر أربع مرات في القرآن الكريم: مرة في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ (النمل 12)، هذا التعقيب حكم المولى (عزَّ وجلَّ) بأن قوم موسى عليه السلام فاسقين؛ لأنّهم أنكروا

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 3، ص: 237

وكفروا بالآيات التي جاء بها موسى لهم، وبهذا يكون التعقيب " تعليل للإرسال أي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان"[1]. وهذا ما وضحه العنصر الإشاري (إنهم، كانوا)، الذي تضمن التحديدَ الدقيق والحكمَ الصريح من الله، وقد تكرر هذا التعقيب نفسه وفي سياق الحديث عن موسى عليه السلام وفرعون وقومه، في سورة القصص، يقول تعالى: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ (القصص 32)، والتعقيب يخص قوم موسى، ويقصد به" خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين"[2]، والعناصر الإشارية نفسها التي جاءت في سورة النمل والمقصود بالخطاب قوم سيدنا موسى عليه السلام.

كما تكرر التعقيب نفسه في سورة الزخرف، فيه يخاطب الله قوم موسى عليه السلام، وهذا التعقيب أيضا يتضمن حكم الله عز وجل عليهم بالفسوق، لأنهم اتبعوا فرعون الذي استخف بعقولهم، يقول تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ الزخرف 54، والتعقيب نفسه تكرر في سورة الذاريات، في سياق ذم الكفار، قوم نوح، يقول تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ الذاريات 46.

مما سبق نستشف أن التعقيب بقوله:﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ تكرر في سياقات مختلفة، وهو يحمل معنى إشاريا متوافقا مع مقاصد التعقيب، ألا

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج6، ص:275

[2] المرجع نفسه، ج7، ص: 13.

وهي الذم والتخصيص؛ تخصيص الفسوق لقوم أنكروا آيات الله وكذبوا الرسل: قوم سيدنا موسى وقوم سيدنا نوح عليهما السلام.

❖ **ضمائر المخاطب:**

جاء التعقيب القرآني بضمائر المخاطب في مواضع عديدة من الآيات القرآنية، نستدل بنماذج، كقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٣٢ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ (الأنعام 134/131)، التعقيب: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ وهو يتضمن إشاريات شخصية بضمير المخاطب (توعدون، أنتم، معجزين)، والتعقيب خطاب للعصاة الغافلين عن آيات الله، وفحوى الخطاب: أن البعث والجزاء حق لا مراء فيه، والله وحده القادر على ذلك، ولهذا جاء التعبير الإشاري يتضمن الوعيد والتهديد لكل عاص غافل .

ومن أمثلة ضمائر المخاطب ما جاء في صيغة النهي كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة 22)، التعقيب: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جاء في سياق تعداد بعض نعم المولى (عزّ وجلّ): خلق السماء والأرض وإخراج الثمرات، هذه النعم الجليلة تستوجب التوحيد لا الشرك بالله، لذا جاء التعقيب نهيا عن الشرك بالله. ومن هذا المنطلق جاء التعبير الإشاري بضمير المخاطب (أنتم)

المكرر مرتين، وفيه تخصيص للخطاب(النهي عن الشرك) وتحديد للمخاطب (المشركين)، والتعقيب هنا " توبيخا لهم على ما أهملوا من مواهب عقولهم وأضاعوا من سلامة مداركهم"[1] حتى يشركوا بالله ويتناسوا نعمه العظيمة التي تبرز بوضوح أن الخالق واحد لا شريك له.

ومن أمثلة النهي بصيغة المفرد، قوله تعالى :﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة 68)، والخطاب في التعقيب جاء نهيا بمعنى: " لا تحزن يا محمد على عدم إيمان﴿ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: دع عنك التأسف على هؤلاء، فإن ضرر ذلك راجع إليهم، ونازل بهم، وفي المتبعين من المؤمنين غنى لك عنهم"[2]، وبهذا يكون التعبير الإشاري تسلية لقلب الرسول عليه السلام بسبب إدعاءات أهل الكتاب.

ومن أمثلة ضمائر المخاطب ما جاء في أساليب الأمر، كقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (الحشر 2)، التعقيب:﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ والخطاب فيه جسّده فعل الأمر(اعتبروا) والنداء(يا أولي الأبصار)، و" الخطاب في قوله: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ موجه إلى غير معين، ونودي أولو الأبصار بهذه الصلة ليشير إلى أن العبرة بحال بني النضير

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص: 335

[2] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، ج 7، ص: 373

واضحة مكشوفة لكل ذي بصر ممن شاهد ذلك، ولكل ذي بصر يرى مواقع ديارهم بعدهم، فتكون له عبرة بقدرة الله على إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال، وفي انتصار الحق على الباطل وانتصار أهل اليقين على المذبذبين"[1]. ومن هنا جاء التعبير الإشاري يتضمن أمرا صادرا من الله بإعمال العقل والاعتبار من قصص الأمم السابقة.

من أمثلة ضمائر الخطاب التي جاء بصيغة المفرد، قوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (المائدة 75)، التعقيب: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ وهو خطاب صادر من الله عز وجل (انظر) وهو" استئناف للتعجيب من حال الذين ادعوا الإلهية لعيسى، والخطاب مراد به غير معين، وهو كل من سمع الحجج السابقة، واستعمل الأمر بالنظر بالعلم لتشبيه العالم بالرأي والعلم بالرؤية في الوضوح والجلاء، ويجوز أن يكون الخطاب للرسول عليه السلام والمراد هو وأهل القرآن"[2] وبهذا تضمن التعبير الإشاري دلالة التعجيب من الذين ادعوا الألوهية لسيدنا عيسى عليه السلام وأمه، وهو يحمل أيضا دعوة لأخذ العبرة من القصص القرآني.

ومن أمثلة ضمائر المخاطب ما جاء في أسلوب استفهام أو نفي ، قوله تعالى ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٥٢ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 28، ص: 72

[2] المرجع نفسه، ج 6، ص: 287

بِمُعْجِزِينَ﴾ (يونس 53/52)، تضمنت الآيتين الكريمتين تعقيبين: الأول: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ، وهو استفهام بمعنى" النفي؛ أي: لا تجزون إلا بما كنتم تكسبون، باختياركم، من الظلم والكفر والفساد، في الأرض، والعزم على الثبات عليه، وعدم التحول عنه، وليس في هذا الجزاء شيء من الظلم؛ لأنه أثر لازم لما عملوا، فلم يعودوا أهلا للكرامة وجوار المولى في جنة الخلد"[1] بهذا يضمن التعقيب خطابا للذين ظلموا فحواه: أنهم يستحقون العذاب الأليم جراء ما فعلوا، والعنصر الإشاري الذي ارتكز عليه هذا الخطاب هو ضمير المخاطب أنتم (تجزون، كنتم، تكسبون) الذي جاء في سياق استفهام إنكاري مشتمل على دلالة التهديد والوعيد، والتعقيب الثاني ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ جاء العنصر الإشاري في سياق النفي؛ نفي العجز عن الله تعالى وهو خطاب آخر للظالمين بأن الله قادر على عذابهم ولن يعجزه أمرهم، انطلاقا من مدلول التعقيبين يتبين أن الإشاريات جاءت بصفة متكررة سواء ضمائر مستترة أم ظاهرة، لتخصيص الخطاب الذي اكتنفه معنى الوعيد المناسب لسياق الآيتين ولتجاهل الكفار ليوم الحساب.

ومن التعقيبات المتكررة في الخطاب القرآني، ما جاء بأسلوب استفهام للجمع المخاطب بالصيغة الآتية: أفلا + تعقلون/ أفلا تتفكرون/ أفلا + تتقون / أفلا + تتذكرون/ أفلا يتوبون/ ، والصيغة أفلا تعقلون تكررت ثلاثة عشر مرة في سياقات مختلفة وفي سور مختلفة، كقوله تعالى في

[1] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج12، ص:260

سورة البقرة:﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (البقرة 44)، التعقيب فيه خطاب" للأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد ﷺ ولا يتبعونه، وقيل: كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون"[1]، والمقصد المضمر لهذا الخطاب هو" توبيخ عظيم بمعنى: أفلا تفطنون، لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه، وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول؛ لأن العقول تأباه وتدفعه"[2]، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن التأشير بضمير المخاطب المستتر (أنتم) في التعقيب أسهم في توجيه الخطاب، كما تضمن مقصدا سياقيا يتمثل في التوبيخ المتوافق مع قبح الصنيع الذي جاء به الأحبار.

وقد تكرر التعقيب نفسه في سورة الأنعام وهو أيضا يحمل دلالة الإنكار في قوله تعالى:﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾(الأنعام 32)، فالتأشير بالضمير المخاطب هو إنكار للذين غرّتهم الحياة الدنيا ونسوا العمل للآخرة، فالانغماس في ملذات الحياة الدنيا، مما نتج عن ذلك تغييب للعقل لذا جاء الخطاب بهذه الصيغة الاستفهامية. وقد بين الله تعالى عاقبة الانغماس في متاع الدنيا في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ (يونس 8/7).

[1] الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص: 260

[2] المرجع نفسه، ص: 261/260

وجاءت صيغة(أفلا+ تتفكرون) مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الأنعام، يقول تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام50)، الخطاب في التعقيب للمكذبين بآيات الله، حيث جاء بصيغة استفهام،" تقريع وتوبيخ داخل تحت الأمر"[1] ، وبهذا تتضمن هذه الصيغة الإشارية توبيخ الكفار المجادلين للرسول عليه السلام؛ لأنهم لا يُعْمِلون عقولهم، فإتباعهم الهوى أعمى بصائرهم، لذا تضمن هذا الاستفهام دلالة الأمر بالتفكر.

ومن أمثلة الصيغة الآتية: أفلا + تتقون، قوله تعالى:﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (المؤمنون 32)، جاء في تفسير حدائق الروح والريحان: " أي أوجدنا من بدء مهلك قوم نوح قوما آخرين، وهم عاد، فأرسلنا فيهم رسولا منهم، وهو هود عليه السلام؛ داعيا لهم، قائلا: يا قوم اعبدوا الله، وأطيعوه دون الأوثان والأصنام، فإن العبادة لا تنبغي إلا له، ولا تصلح لسواه، أفلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره"[2]. وبهذا يكون الخطاب للمشركين جاء التأشير فيه بضمير المخاطب(أنتم)، والاستفهام للإنكار وفحوى الخطاب أمر بمعنى: اتقوا الله، أي خافوا عقابه الشديد، وخذوا العبرة من الأمم السابقة كقوم نوح، وانظروا كيف أهلكهم الله وأنشأكم من بعدهم، فهو الله المستحق للعبودية والتوحيد وحده لا شريك له.

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ج3، ص: 685

[2] محمد بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، ج 19، ص: 64

أما صيغة (أفلا + تتذكرون) فقد جاءت مرتين في القرآن الكريم؛ الأولى في سورة الأنعام والثانية في سورة السجدة، يقول تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام 80)، التعقيب يتضمن صيغة إشارية جسدها ضمير المخاطب(أنتم)، وقد جاء في سياق حجاج سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه، وفحوى الخطاب فيه: " أي تعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر، أفلا تتذكرون أنها غير قادرة على إضراري وفي إيراد التذكر دون التفكر ونظائره إشارة إلى أن أمر أصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف إلا على التذكر"[1]، مما سبق ، يتبين أن التعبير الإشاري الذي جاء بصيغة الاستفهام هو خطاب لقوم سيدنا إبراهيم عليه السلام، بأن يتذكروا ويتدبروا في حالهم، حيث يعبدون ما لا ينفع ولا يضر، ويتركون عبادة الله سبحانه وتعالى، وبهذا يكون التعقيب توبيخا لهم جراء فعلهم الشنيع.

يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة4)، هذا التعقيب يتضمن التعبير الإشاري نفسه، أي بضمير المخاطب للجمع، حيث جاء الخطاب موجها لكل منكر لوحدانية الله، بأن يُعمل عقله ويترك ما يعبد من أنداد لله، فالله وحده لا شريك له خالق كل

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ج3، ص: 703

شيء، القادر على نصرة عباده، والتعقيب في هذا السياق وبهذا التعبير الإشاري يتضمن معنى التوبيخ لكل من يشرك بالله.

وصيغة (أفلا + يتوبون) جاءت مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة المائدة، يقول تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (المائدة 74/73)، جاء التأشير في التعقيب أيضا بالمخاطب للجمع، حيث تخاطب الآية النصارى الذين أشركوا بالله، وقالوا الله ثالث ثلاثة، فتوعدهم الله بعذاب شديد، ثم استهل التعقيب باستفهام " لإنكار الواقع واستبعاده لا لإنكار الوقوع وفيه تعجيب من إصرارهم، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة، والأقاويل الباطلة، فلا يتوبون إلى الله تعالى ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه إليه من الإتحاد والحلول، فمدار الإنكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة"[1]، وبهذا تضمن التأشير دلالة التخصيص لتحديد المقصود بالخطاب، ودلالة الإنكار الذي جسدها الاستفهام.

- **أسماء الإشارة:**

وهي من الإشاريات الشخصية التي تتغير دلالاتها تبعا للسياق، فتحيل إلى الأشخاص، أو الزمان أو المكان، فنقول: هذا الرجل، وهذا اليوم، وهذا البلد، أما عن حضور أسماء الإشارة في التعقيب القرآني، فقد

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، ج 3، ص:615

عرف تنوعا في التوظيف حسب السياق الذي يكتنف القضية المعقب عليها، ومن أسماء الإشارة التي عرفت حضورا في التعقيب القرآني:

❖ **التأشير ب(ذلك):**

تكرر التعقيب باسم الإشارة (ذلك) كثيرا في الخطاب القرآني في سياقات مختلفة، نحاول رصد بعضها تجنبا للتكرار:

- **التعقيب بقوله تعالى:**﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً...﴾:

التعقيب بهذه الصيغة تكرر في القرآن الكريم في مواضع عديدة: كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة 248)، التعقيب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الملاحظ لهذا التعقيب يجد أنه جاء في سياق قصصي بعد قصة طالوت مع بني إسرائيل،" التعبير الإشاري ب(ذلك) جاء بصيغة تأكيد لأهمية السرد القصصي، ففيه دعوة للتدبر في قصص السابقين والتفكر في آيات الله ومعجزاته ونصرته للحق.

ومن أمثلة التعقيب بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً...﴾، قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ١٠٠ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ١٠١ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود 103/100)، والذي جاء هو الآخر في سياق قصصي، وجاء بعد عرض

جملة من قصص الأنبياء مع أقوامهم حيث عقب عليها التعقيب:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ وفيه تكرر العنصر الإشاري (ذلك) ثلاث مرات، فضلا عن استفتاح التعقيب بأداة توكيد(إن)، للدلالة على الأمر العظيم الذي ختمت به القصص(إهلاك القرى الظالمة)، والتعقيب من هذا المنطلق أمر لترك ما فعل الماضون مع أنبياء الله من كفر وظلم ومكابرة...إلخ، والالتزام بما جاء به محمد ﷺ.

يقول تعالى:﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (فصلت12)، التعقيب: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ العنصر الإشاري(ذلك) يُحيل إلى بديع صنع الله من خلق السموات وتزينها وحفظها، لذا جاء التعقيب مُبرزا تقدير الله المتصف بالعزة والعلم، وهو يتضمن معنى التقرير بقدرة الله وعظيم تقديره، لأنه جاء في سياق نعم عظيمة، خلق السموات وتزينها،" ولما كان هذا أمرا باهرا، نبه على عظمته ومدارها: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر الرفيع والشأن البديع ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء﴿ ٱلْعَلِيمِ﴾ المحيط علما بكل شيء"[1] ومن هنا فالمقصد غير المباشر يتمثل في تعظيم الله والإقرار بوحدانيته.

يقول تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(الحديد 21)، التعقيب: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج6، ص: 558

يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ وقد اُستفتح بعنصر إشاري(ذلك)، الذي يبرز نسبة الفضل العظيم(المغفرة والجنة) إلى الله الذي لا يشاركه أحد في إيتاء هذا الفضل من يشاء من عباده، وهو بهذا يتضمن مقصدا يتجلى في تقرير فضل المولى عز وجل، وهو فضل يؤتيه من يشاء، وانطلاقا من سياق هذا التعقيب، يمكن تحديد المقصد غير المباشر الثاوي في البنية الحرفية والمتمثل في الترغيب في نعيم الله الذي أعدّه لعباده المؤمنين؛ حيث يدل العنصر الإشاري (ذلك) في هذا السياق على الرفعة، لأن فضل الله عظيم.

من الإشاريات التي جاءت باسم الإشارة (ذلك)، قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ (آل عمران 13)، التعقيب هنا: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ جاء التأشير فيه (ذلك)، " أي الأمر الباهر، وهي أداة البعد، إشارة بعد إلى محل علو الآية"[1]، فالتأشير هنا يحمل دلالة التخصيص بعظمة الأمر الذي تضمنته الآية ، والذي يستحق التدبر وأخذ العبرة، كما أن هذا التأشير هو خطاب مخصص لصنف محدد من الناس(أولو الأبصار).

ونظير التعقيب السابق قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ (يونس67)، فالتعقيب قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾، فالتأشير (ذلك) يحمل دلالة البعد المناسب لعلو آيات الله في خلق الليل والنهار وتعاقبهما،

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج2، ص:33

والخطاب انطلاقا من التأشير موجه لقوم يسمعون لأن" هذه الآيات من الظهور بحيث لا تحتاج إلى أكثر من سماعها"[1]

❖ **التأشير ب(تلك):**

كقوله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ (البقرة 229)، التعقيب هنا قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ، اُستفتح هذا التعقيب بعنصر إشاري (تلك) وهو يحيل بدقة لأحكام تضمنتها الآية، أي " تلك أي الأحكام العظيمة التي تولى الله بيانها من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وغيرها (حُدُودُ ٱللَّهِ) أي شرائع الملك الأعظم الذي له جميع العزة من الأوامر والنواهي التي بينها فصارت كالحدود المعروفة في الأراضي، ولما كانت شرائع الله ملائمة للفطرة الأولى السليمة عن نوازع النقائض وجواذب الرذائل أشار إلى ذلك سبحانه بصيغة الافتعال في قوله: (فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ) أي لا تتكلفوا مجاوزتها، وفيه أيضا إشارة إلى العفو عن المجاوزة من غير تعمد"[2]. بهذا اقترن التأشير(تلك) بدلالة التحذير من تجاوز حدود الله، وهذا ما يؤكده الشرط الذي خُتم به التعقيب ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لهذا جاء التأشير (أولئك) يحمل حكما واضحا لمن يتجاوز تلك الحدود، ألا

[1] المرجع نفسه، ص: 263

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص: 432

وهو الظلم، حيث يحمل هذا العنصر الإشاري معنى "الإبعاد المناسب للتهديد"[1]، مما سبق يمكن القول أن هذا التعقيب المركب تضمن عنصرين إشاريين: تلك/أولئك، وقد وردا في سياق التحذير من انتهاك حدود الله.

ومن الإشاريات التي جاءت تعقيبا على قصة قرآنية، قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام 83)، هذا التعقيب جاء بعد عرض قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد أُستفتِح التعقيب باسم الإشارة (تلك) وهي" إشارة إلى ما احتج به إبراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله أتحاجوني إلى قوله مهتدون وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار إليه بعلو طبقته وسمو منزلته"[2]. مما سبق يتضح أن مقاصد هذا التعبير الإشاري تستند على السياق؛ حيث يستحيل فهمها في منأى عنه، وبهذا يتضمن التعقيب دلالة التعظيم والمدح؛ تعظيم الله الذي منح إبراهيم عليه السلام الحجج الباهرة ، ومدح لإبراهيم عليه السلام لأنه بلَّغ رسالة الله (عزّ وجل) وتحمل الابتلاء في سبيلها.

❖ التأشير ب أولئك:

كقوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ (الأنعام 70)، أُستفتح

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[2] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص: 156

التعقيب : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾ بعنصرين إشارين: أولئك/ الذين أفادا التخصيص والدقة في الخطاب، " أولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا وحرموا الثواب وأسلموا للعذاب، وحبسوا عن دار السعادة، بسبب ما كسبوا من الأوزار والآثام"[1] وتضمن التعقيب أيضا عقاب هذا الصنيع ﴿ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ وتضافرت جملة من المشيرات الشخصية: هم (لَهُمۡ)، واو الجماعة (كَانُواْ يَكۡفُرُونَ)، في تحديد المقصود بالخطاب وفحواه.

يقول تعالى:﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ (البقرة 177)، التعقيب هو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ تكرر اسم الإشارة (أولئك) مرتين إضافة إلى عناصر إشارية أخرى: الذين/ هم/ واو الجماعة، وكل هذه المشيرات تشير إلى عباد الله الصادقين المتصفين بالصفات السالفة، وتكرار هذه المشيرات يبرز معنى المدح والثناء، و تُجَلِي الحكم صادر من رب العالمين ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾.

❖ **الأسماء الموصولة:**

[1] محمد الأمين عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج 8، ص: 393

من الأسماء الموصولة التي تكررت في التعقيب القرآني (الذين) ما جاءت مقترنة باسم الإشارة (أولئك)، زيادة في التخصيص، بوصف التعقيب آخر ما تختم به الآية أو القضية القرآنية، ومثاله يقول تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾، والتعقيب هنا قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾، ويحيل التأشير إلى المفسدين في الأرض وقاطعي الأرحام، ويبن عاقبة أمرهم، فقد استحقوا اللعنة والنعت بالغفلة. وبهذا يحمل التعقيب دلالة الذم.

ومن الإشاريات التي جاءت باسم الموصول الذين، في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ (النمل 5/4)، التعقيب: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ يحيل اسم الموصول (الذين) إلى المكذبين بيوم الآخرة الغافلين، وقد تضافرت في هذا التعقيب جملة من المشيرات إضافة إلى الاسم الموصول: اسم الإشارة (أولئك)، ضمير الغائب(هم) الذي تكرر ثلاث مرات، في تخصيص الدلالة على عاقبة الغفلة والتكذيب بيوم الدين.

2. الإشاريات الزمانية في التعقيب القرآني:

تنوعت المشيرات الزمانية في التعقيب القرآني، وتبعا لذلك تنوعت مقاصدها، كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ (هود 103/102)، التعقيب: ﴿

ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ التأشير الزماني يحيل على يوم القيامة؛ يوم الحساب الذي تجمع فيه كل الخلائق ويشهده الجميع، وفي تكرار (ذلك يوم) تحذير وإنذار من الله تعالى لعباده من عواقب نسيان هذا اليوم، ولنا في القرى الظالمة عبرة، فقد كان عقابها شديدا.

يقول تعالى:﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (الأعراف8/4)، التعقيب:﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ العنصر الإشاري في هذا التعقيب (يَوۡمَئِذٍ) ويحيل إلى يوم الحساب، وكلمة يومئذ فيها تحديد زمني ليوم يكون فيه الحساب حسابا دقيقا يحاسب فيه المرء على مثقال ذرة خيرا أو شرا، ثم أثنى الله على عباده الصالحين الذين ثقلت موازينهم. ومن هنا تضمن التعقيب دعوة للاستعداد لهذا اليوم العظيم، لأن الوزن فيه الحق، ولا يظلم أحد مثقال ذرة.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (النور25/24/23)، التعقيب: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ وجاء فيه تحديد للعقاب الشديد لقاذف المؤمنات المحصنات، وجاء التأشير الزماني(يومئذ) يحيل إلى يوم الحساب، أي" يوم إذ تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم القبيحة،

يعطيهم الله جزاءهم الثابت الواجب الذي هم أهله وافيا كاملا "[1]. ومما سبق، يحمل التعقيب دلالة الوعيد الشديد لكل من يقذف المؤمنات المحصنات، بتذكيرهم بيوم الحساب الذي تشهد فيه الألسنة والأرجل والأيدي على كل عمل.

يقول تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦ فَيَوْمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (الروم 57/56/55)، التعقيب: ﴿فَيَوْمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، يحيل التأشير الزماني يومئذ إلى يوم الفصل، يوم الحساب لا العمل، يوم الحق لا ينفع فيه العتاب ولا المعذرة، وهذا التعقيب يتضمن تذكير بحتمية الحساب ولمثل هذا اليوم فليعمل الفاطنون الصالحات، ويتركوا الظلم وما حرم الله.

مما سبق يتضح أن التأشير الزماني (يومئذ) جاء في سياقات مختلفة، يحيل إلى يوم القيامة، مما جعله يرتبط بمعان سياقية مختلفة كخطاب الوعيد بأساليب مختلفة: كالحساب والشهادة، وعقاب الظالمين.

يقول تعالى:﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (الصافات 177)، التعقيب: ﴿ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾، يحيل العنصر الإشاري(صباح) إلى وقت إنزال العذاب بالكفار، وبهذا يتضمن التعقيب وعيدا شديد لمن أنكر إنذار الله، فالعذاب الأليم هو عقابهم.

[1] الأمين عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج19، ص:272/271

ليس ببعيد عن التعقيب السابق، يقول تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾ (مريم 37)، التعقيب: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ يحيل العنصر الإشاري (يوم) إلى يوم القيامة، وقد نعته الله بالعظيم لأهواله، فجاء التعقيب يحمل ترهيبا من عظمة هذا اليوم.

3.الإشاريات المكانية في التعقيب القرآني:

تنوعت الصيغ الإشارية التي تحيل إلى المكان في التعقيب القرآني، منها قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴾ (التكوير 26)، التعقيب:﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾ وفيه خطاب لأهل مكة المشركين انطلاقا من سياق الآيات،" استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق: أين تذهب؛ مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل"[1]. وعليه تحمل الصيغة الإشارية معنى التوبيخ للمشركين؛ لأنهم ضلوا عن سبيل الله واستكبروا على آياته البينة.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ٥٥هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ (الواقعة 56/51)، التعقيب: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾، بمعنى " هذا عذابهم كله، قيل تهكما

[1] الزمخشري، الكشاف، ج6، ص: 327

بهم ونكاية لهم: هَٰذَا نُزُلُهُمْ، أي ما يعد لهم أول قدومهم مكان ما يعدّ للضيف أول حلوله كرامة له يوم الدين، أي الجزاء الذي هو حكمة القيامة، وإذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يأتي بعده على طريق من يعتني به فما ظنك بما يكون لمن هو أغنى منهم من المعاندين، وهو في طريق التهكم"[1]، وبهذا يحمل التعبير الإشاري معنى التهكم وإبراز عاقبة المتكبرين المكذبين بيوم الدين.

من الإشاريات المكانية المتكررة في سياقات مختلفة، تلك التي تحيل إلى جهنم، وقد جاءت بصيغ إشارية مختلفة منها قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (الحديد15)، التعقيب: ﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، تحيل كلمة مأوى إلى مكان الكفار، وقد تضمن التعقيب الإشارة إليها بكلمة مأوى والضمير المنفصل (هو)، كما زاد أسلوب الذم﴿ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ التعبير الإشاري قوة.

يقول تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ المجادلة 8، التعقيب: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ و هو حكم إلهي على صنف من الكفار، جاء في الكشاف أن سياق هذه الآية الكريمة: " كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم يتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، يريدون أن يغيظوهم، فنهاهم

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج7، ص: 338

رسول الله ﷺ فعادوا لمثل فعلهم، وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته، وقرئ: ينتجون بالإثم والعدوان، بكسر العين، ومعصية الرسول ﴿ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني أنهم يقولون في تحيتك: السام عليك يامحمد؛ والسام: الموت؛ وكانوا يقولون: ماله إن كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول"[1]، فجاء التعقيب ردا على سخريتهم، وتبينا لعاقبتهم (النار)، بتعبير إشاري يحيل إلى مكان عذابهم يوم القيامة، وترهيبا من هذا المكان جاء التعبير ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

يقول تعالى:﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ (غافر76)، والتعقيب نفسه جاء في (الزمر60)، وقد جاء بتعبير إشاري يحيل إلى مكان المتكبرين، فعاقبة تكبرهم وكفرهم جهنم، وهي نزلهم يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا) (الفتح6)، التعقيب: (عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴾ وهو تعقيب يتضمن حكما إلهيا يجسد عاقبة النفاق والشرك وسوء الظن بالله، والمتمثل في اللعنة والغضب، كما حدد التعقيب مأواهم بتعبير إشاري لمكان هذا المأوى: جهنم، وترهيبا من هذا المصير ختم التعقيب بقوله: ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾.

[1] الزمخشري، الكشاف ج6، ص: 63

إجمالا لما احتواه هذا الفصل: الإشاريات مفهوم تداولي يقصد به تلك الموجهات والمحددات التي لا يمكن فهمها بلا عودة إلى السياق التخاطبي، وهي أنواع أهمها: الإشاريات الشخصية والزمانية والمكانية، وقد تجلت هذه الأنواع في التعقيب القرآني متضمنة مقاصد مختلفة بحسب سياقها، من قبيل المدح، والذم والوعيد... إلخ

الخاتمـــة

إذا كانت خاتمة البحث حوصلةٌ لأهم نتائجه، فإن المقاربة التداولية للتعقيب القرآني أفضت إلى جملة من النتائج، نجمل أهمها في النقاط الآتية:

-توصل البحث إلى أن التعقيب القرآني حكم صادرٌ من الله (عزّ وجلّ) على قضية من قضايا القرآنية المتنوعة، وهذا الحكم منسجم مع السياق الذي يحف القضية القرآنية وتعقيبها، ومنسجم أيضا مع السياق العام للسورة التي جاء فيها التعقيب. فقد يكون الحكم الإلهي ردا، أي توكيدا أو نفيا أو تفنيدا... كما يمكن أن يكون الحكم نتيجة للقضية القرآنية التي تسبقه. هذا مايبرز تداولية التعقيب القرآني؛ من خلال التفاعل السياقي الوطيد بين القضية القرآنية وتعقيبها، مثل التعقيب الجامع الذي خُتمت به سورة الرحمن، والذي جاء متناسقا مع المقاصد العامة للسورة في قوله تعالى:﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ (الرحمن 78).

-كما كشف البحث عن دور التعقيب القرآني في التناسب المعنوي بين آيات السورة الواحدة؛ بحيث تتناسق مقاصد التعقيب مع المقاصد العامة للسورة، كما له دور في التناسق الصوتي في السياق النصي الذي يرد فيه، فخواتيم السور والآيات التي تحمل تعقيبا فيها من الجمال الباهر ما يتناغم مع الايقاع الصوتي للسورة.

-ومن الأبعاد التداولية للتعقيب التي كشف عنها البحث فاعلية السياق بنوعيه النصي والخارجي في الوصول إلى مقاصد التعقيب؛ بمعنى أن التعقيب مرتبط بسياقه وهو ليس تذييلا ولا فاصلة ولا مثلا، فقد توصل البحث إلى أن التعقيب من أوفر الأساليب القرآنية عددا، كما أنه لم يلزم

تركيبا لغويا محددا، بل جاء منتوع البنى اللغوية تبعا للسياق الذي جاء فيه، ومن هنا تبرز أهمية السياق في فهم التعقيبات القرآنية.

-إنَّ القضية القرآنية تعد أساسا نصيا تَرتكزُ عليه عملية البحث عن مقاصد التعقيب، لهذا فمن الضروري الالمام بمعطيات السياق النصي الداخلي وبمعطيات السياق الخارجي من قبيل: أسباب النزول، أو الأحاديث النبوية الشريفة التي تدور في فلك تلك القضية.

-توصل البحث أيضا إلى أنَّ أنواع التعقيب القرآني(المتكرر، والغالب، والمتنوع) جاءت لصيقة بالسياق، وهذا دليل على تداولية التعقيب القرآني، فتكرار التعقيب أو غلبته أو تنوعه مقترن بالسياقات التي يرد فيها، فقد يتكرر التعقيب بالتركيب نفسه في سياقات متنوعة، ومن جماليات هذا التكرار تعدد المقاصد والتعقيب واحد، مثل التعقيب المتكرر في سورة الرحمن، كما أن التعقيب الغالب يرتبط بالمقاصد العامة للسورة لهذا غلب تعقيب محدد دون بقية التعقيبات، وبالنسبة للتعقيب المتنوع فإنّه يرجع لتنوع القضايا القرآنية التي تشتمل عليها السورة، أي تنوع السياقات اقتضى تنوع التعقيبات.

-للتعقيب دور في ترسيخ المقاصد القرآنية بوصفه آخر ما يقرع السمع، كما أنه يتناسب مع الجو النفسي للسورة، فيأتي متوافقا مع معطيات السياق توافقا دلاليا وإيقاعيا.

-تميز التعقيب الذي جاء في سياق قصصي بِدعوة القارئ على ضرورة التدبر في القصص القرآني، وأخذ العبر من الأقوام السالفة، إضافة إلى

ارتباط هذا النوع من التعقيب بالترغيب في نعيم الله والترهيب من عذابه انطلاقا من قصص الرسل و أقوامهم. كما جاءت بعض التعقيبات تحمل تسلية لقلب الرسول عليه السلام لتثبيت فؤاده، من خلال قصص الرسل عليم السلام وتصوير ماعانوه في سبيل الدعوة إلى سبيل الله.

-كما توصل البحث إلى تداولية الأفعال الكلامية في التعقيب القرآني، والتي تجلت بكثرة فيه، بوصف التعقيب خطابا قرآنيا يروم التأثير في النفوس وتغيير السلوك، فالقرآن الكريم منذ نزوله كان له تأثير واضح في سلوك العرب الجاهلين، فمنهم من أثرت فيه كلمات الله فأسلم كقصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنهم من كان رد فعله العناد والمكابرة على الرغم من إقراره في نفسه بتميز القرآن.

-توصل البحث إلى أن الإخباريات نوع من أفعال الكلام، تقوم على نقل المتكلم لواقعة أو وصفها، وفعلها الإنجازي التقرير، وشرط الإخلاص فيها النقل الصادق لتلك الواقعة، وبما أن التعقيب حكم صادر من الله عز وجل، فإن الصدق متوفر في كل الإخباريات، وهذا يبرز تفرد الاخباريات القرآنية بصدقها. وما تحسن الإشارة إليه هنا، أن الإخباريات في التعقيب القرآني جاءت بتراكيب عديدة أكسبته الثراء والتنوع، من قبيل: أساليب التوكيد المتنوعة، والنفي، والاستدراك،... إلخ، وتبعا لهذا التنوع في التركيب تنوعت الأفعال الإنجازية والتي قد تخرج إلى أفعال كلامية أخرى كخروج الخبر إلى التوجيه كالأمر، وفيما يخص الأفعال التأثيرية فهي خاصة بالمتلقي ومدى تأثره بكتاب الله، قدمنا بعض الأفعال التأثيرية التي يستلزمها

السياق، لذا تم التركيز على الأفعال الإنجازية بوصفها جوهر الأفعال الكلامية.

-كما وقف البحث عند التوجيهيات بوصفها أفعالا طلبية تتضمن توجيها للمتلقي، فقد تجلت في الخطاب القرآني بكثيرة في سياقات متنوعى كالتكليف والتوجيه والتحريم، من خلال أساليب الأمر المختلفة، والتحضيض ب(لولا)، والردع ب(كلا)، والنهي، والاستفهام، وجاءت لتحقيق مقاصد مختلفة كالتوجيه أو الوعيد أو التبكيت...

-أما بالنسبة للتعبيريات فهي نمط من الأفعال الكلامية يتضمن تعبيرا عمّا هو نفسي أو معنوي، كالتعبير عن الرضا أو الغضب، الحب... إلخ وقد تجلى في التعقيب القرآني في أساليب الثناء والمدح والذم، فالثناء اختص به الله تعالى؛ حيث أثنى على نفسه في مواضع عديدة من الخطاب القرآني بصيغ تعبيرية مختلفة كسبحان، وتبارك...إلخ، ومدح عباده الصالحين أو مدح للجزاء الموفور الذي حازوه بفضل الله، وفي المقابل جاءت أيضا العديد من التعقيبات تشتمل على صيغ تعبيرية لذم الكفار وأعمالهم.

-وتجلت الوعديات في التعقيب القرآني من خلال أسلوبي الوعد والوعيد. يعد أسلوب الوعد في القرآن الكريم من الالتزاميات أو الوعديات، لأن كلام الله الحق، فوعده حق، وهو بهذا منفرد عن كل الوعديات. وقد جاء أسلوب الوعد مبثوثا في ثنايا الخطاب القرآني عامة، وفي التعقيب القرآني وهو مناط البحث، والذي جاء بتراكيب لغوية متنوعة تنوع السياقات التي تتاسق معها تحقيقا لمقاصد جليلة يتوخى الخطاب القرآني إيصالها، كالترغيب في

نعيم الآخرة، أو مدح الصالحين، أو تقويم سلوك الضالين... إلخ، والوعيد بوصفه مقابلا للوعد فإنه بصنف من الوعديات الصادقة لكونه صادر من الله (عزّ وجلّ)، وقد جاء بصيغ لغوية متنوعة التراكيب والمقاصد.

-الإعلانيات نمط من الأفعال الكلامية تختص بتحقق الفعل بمجرد التلفظ به، ومن تجلياته في التعقيب القرآني الأفعال الدالة على الدعاء للكافرين وهي تتسم بالثراء والتنوع، وكذلك أفعال تخص الشهادة والقسم بشتى صيغه.

-لقد توصل البحث من خلال الأفعال الكلامية في التعقيب القرآني إلى مقاصد مختلفة، من قبيل: التقرير والإنكار، والوعيد والتهديد، والدعاء بالهلاك...إلخ

-لقد وقف البحث عند تداولية الإشاريات في التعقيب القرآني، فبينا أن فهم الإشاريات لا يلغى المستوى الدلالي لها، لأن التأشير يكون باللغة، بل يستثمره كسياق نصي يعين في فهم إحالاتها ومن ثَمَ الوصول إلى بعدها التداولي.

-كما يرتكز فهم الإشاريات على السياق، لأنها بغير سياق كلمات غامضة مبهمة، لهذا فإن استحضار السياق وخلفياته أمر ضروري لفهم مقاصدها، إضافة إلى استخدام الكفاءة التخاطبية(التداولية) للمتلقي لأن مدلولات الإشاريات سياقية .

-ارتبطت مقاصد الاشاريات بقضايا مختلفة منها القصص القرآني الذي كثر التعقيب عليه بالأسماء الإشارة، وما تجدر الإشارة إليه أن التعقيب

بالإشاريات تضمن مقاصد مختلفة، من قبيل المدح وإبراز علو المنزلة، وتخصيص الخطاب...إلخ

في الختام نذكر بأهمية موضوع البحث (التعقيب القرآني)، بوصفه دراسة جديدة لم تنل نصيبها الكافي من البحث، من حيث التأسيس للمصطلح والتفصيل في المفهوم وأبعاده المختلفة لغة وبلاغة وأسلوبا، لأن تجليات التعقيب في تراثنا الثري(علم التفسير بصفة خاصة) موجودة بمسميات مختلفة كالتذييل، كما توجد شروح غاية في الروعة والدقة للتعقيبات وقضاياها المرتبطة بها، حتى و إن غاب المصطلح . لهذا فالتعقيب مجال خصب يفتح آفاقا جديدة لدراسات مختلفة، تنطلق من دراسات تراثية مهمة، تعين محلل الخطاب في عمله، بحيث يمكن تناوله من عدة نواح: أسلوبية، أو بلاغية أو لغوية أو تداولية.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

1. ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، تح: محمد شرف، نهضة مصر، مصر، دط، دت
2. الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993.
3. ابن الجوزي، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي آمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت
4. ابن عطاء الله السكندري، الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، تحقيق: محمود توفيق الحكيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2002
5. ابن هشام، شرح شذور الذهب في كلام العرب، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 2011
6. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993
7. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، ط1، 1979
8. أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، دط، 1992
9. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان الرباط، ط1، 2010
10. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب المتحدة، بيروت، ط2، 2010

11. أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة، دط، 2005
12. أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، دت
13. أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1، 2015
14. أحمد محمد النمر، الخطاب القرآني، دراسة في معالم واتجاهات النصوص القرآنية، مؤسسة أم القرى، بيروت، ط1، 2003
15. أسامة عبد العزيز جاب الله، أسلوب التعقيب في القرآن مقاربة جمالية، دار الإسراء، الأردن، دط، 2015
16. إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة العراق، د ط، دت
17. إلفي بولان، المقاربة التداولية، ترجمة: محمد تنفو، وليلي أحمياني، دار رؤية، القاهرة، دط، 2018
18. آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني دار الطليعة، لبنان، ط1، 2003.
19. أوستين، نظرية الأفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب،1991.
20. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006.
21. أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006.

22. أبو بكر محمد فوزي البخيت، خصائص الأسلوب القرآني، جامعة الملك السعود، ط1، 1436هـ

23. بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تح: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1992.

24. بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تح: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1992.

25. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، دط، 2006

26. برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995

27. بشرى البستاني، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، مؤسسة السياب للطباعة، لندن، ط1، 2012.

28. بهاء الدين محمد يزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، دار شمس للنشر، القاهرة، ط1، 2010

29. بول ريكور، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006

30. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، دط، 1994

31. التهانوي، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم، مكتبة ناشرون لبنان، ط1، 1996.

32. ج.براون، وج. يول، تحليل الخطاب، مكتبة الملك فهد، السعودية، 1997، دط.

33. جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين، دار سيناترا، تونس، دط، 2010

34. جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003

35. جلال الدين محمد بازي، صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015

36. جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

37. جون سيرفوني، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، دط، 1998.

38. جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2013.

39. أبو الحسن أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997

40. حاتم عبيد في تحليل الخطاب، دار وزد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013

41. حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب (بحوث محكمة)، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2014.

42. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف بيروت، ط1، 2013.
43. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية الشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة، ط1، 2012
44. دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008
45. زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003
46. زكريا بشير إمام، أساليب الحجاج في القرآن الكريم، المركز القومي الانتاج الإعلامي، الخرطوم، دط، 1995
47. الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط.
48. أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.
49. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2006.
50. السمرقندي، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد بن الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
51. سيبويه، الكتاب، تح: هارون عبد السلام، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط3، 1988.

52. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 16، 2002

53. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1982

54. سيرل، الأعمال اللغوية، بحث في فلسفة اللغة، تر: غنيم أميرة، منشورات دار سيناترا، تونس، ط1، 2015.

55. سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.

56. الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، دط، دت.

57. الشريف الرضي، شرح الرضي على الكافية، يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، دت.

58. شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية مراجعات واقتراحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010.

59. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت 1978، دط، دت

60. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، دت

61. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000.

62. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998

63. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ الإعجاز البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف مصر، دط، دت

64. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، ط1، 2001.

65. عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: أحمد بن علي، دار الحديث القاهرة، دط، 2006

66. عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1 ، 2010

67. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الجوزي، مصر، ط1، 2010.

68. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.

69. عبد الهادي بن حسن وهبي، الأسماء الحسنى والصفات العلى، دار الدليل، السعودية، ط1، 2007

70. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004

71. عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2014

72. عرفات فيصل المناع، السياق والمعنى، دراسة في أساليب النحو العربي، منشورات ضفاف لبنان، ط1، 2013

73. علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2000

74. علي بن محمد التنوخي، الأقصى القريب في علم البيان، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1328هـ.

75. علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية في معجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010

76. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998

77. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2003.

78. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011.

79. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، دط، دت

80. فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علواش، مركز الإنماء القومي، الرباط، دط، دت.

81. فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر، ط1، 2003.

82. فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، ط3، 2010.

83. فولفجانج هاينة من ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب، مطابع جامعة، دط، 1999.

84. ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد عز الخطيب، دار المعرفة، لبنان، دط.

85. ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، السعودية، دط، دت.

86. أبو القاسم الزمحشري، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998.

87. أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، دار آزال، بيروت، ط2، 1986.

88. أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995.

89. القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1996.

90. كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات، ترجمة: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت.

91. لطفي فكري محمد الجودى، جمالية الخطاب القرآني في النص القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2014.

92. أبو محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دط، دت.

93. أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2000.

94. ماري آن بافو، وجورج إلياس رفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012.

95. مجيد الماشطة وأمجد الركابي، مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر، عمان، ط1، 2018.

96. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001.

97. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، دط، 1984.

98. محمد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى، آثارها وأسرارها، دار المنار، القاهرة، ط1، 2000.

99. محمد بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت.

100. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2007.

101. محمد بن لطفي الصباع، لمحات في علوم القرآن الكريم واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1990.

102. محمد حسنين صبرة، مرجع الضمير، دار ضريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 2001.

103. محمد عبد الباسط عبد، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009.

104. محمد عبد الله دراز النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة، 1985.

105. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة، 1985.

106. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1364هـ.

107. محمد كريم الكواز، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، منشورات السابع من إبريل، ليبيا، ط 1، 1425هـ.

108. محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، الانتشار العربي، ط1، 2006.

109. محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007.

110. محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004.

111. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992.

112. محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، دط، دت.

113. محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، عظمة القرآن الكريم، دار الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ.

114. محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 2013

115. محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2014.

116. مراد العرابي، التعقيبات القرآنية المفهوم والأشكال والأغراض، دار الإمام مالك، ط1، 2019.

117. مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة لبنان، ط1، 2005.

118. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القران والبلاغة النبوية، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1982.

119. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، دار المسلم، الرياض، ط2، 1996.

120. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، دط، دت.

121. مؤيد آل صونيت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مكتبة الحضارات، بيروت، ط1، 2010.

122. نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنارة، جدة، ط1، 1991.

123. نرجس باديس، المشيرات المقامية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2009.

124. نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012

125. نوار محمد إسماعيل، تأويل الجملة القرآنية، دار الراية، عمان، ط1، 2010.

126. وائل الحربي، التعقيب المصدري ودلالته في القرآن الكريم وأبحاث أخرى، دار الأيام، عمان، ط1، 2016.

127. أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000.

128. يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي الإستراتيجية والإجراء، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2007.

المعاجم

1. إميل يعقوب، المعجم المفصل في علوم اللغة، مجلد 1، دار العلم للملايين، بيروت ط1، 1987.

2. باتريك شارودو، دومنيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، دار سيناترا تونس، د ط، 2008.

3. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد عنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

4. أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

5. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، دط، 1979

6. ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث، بيروت، ط3، 1999

7. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

الدوريات العربية

1. دلخوش جار الله حسين دزه يي، التأشير بين القدماء والمحدثين، مجلة جامعة زاخو (العراق)، المجلد 3، العدد 2، 2015.

2. عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، 2013/02/16.

3. عمر عبيد حسنة، مجلة الأمة، العدد 154، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2013.

4. قويدر شنان، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني المنشأ والمآل اللساني، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17، 2006.

5. قويدر شنان، تحليل الخطاب والتداولية، مجلة ممارسات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ع 2، 2011.

6. مختار درقاري، الآليات التداولية لتحليل الخطاب من وجهتي نظر الأصوليين والتداوليين المحدثين، مجلة الندوة الدولية الثانية (قراءة في التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة)، جامعة الملك سعود، السعودية، 2014.

7. مختار فخاري، مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، العدد 3، 1435هـ.

المراجع الأجنبية

- Benveniste, problemes linguistique génerale. Edition. Galimaed, 1996,
- Dominique Maingueneau, pragmatique pour discours littéraire, Nathan Paris, 2001
- Jean dubois, Et autre dictionnaire de linguistique, libraire larouse, paris
- John. Searle, a classification of illocutionary acts, language in society, vol 5, no 1, 1976
- Stephen.C Levinson, combridge university, New York, 1983
- Yan Huang,pragmatics, Oxford university.New York, 2007

فـهرس
الموضوعات

- **مقدمة.....أ- ط**

الفصل الأول: التداولية وتحليل الخطاب القرآني

توطئة.....11

- **التداولية النشأة والجهاز المفاهيمي.....11**

1. في مصطلح التداولية.....11
2. المرجعيات المعرفية للتداولية.....16
3. التحديد المفهومي للتداولية.....19
4. مجالات التداولية.....26
5. أهمية الدرس التداولي..... 27

- **الحقل المفهومي للخطاب/ تحليل الخطاب.....31**

1. توطئة.....31
2. الخطاب في التراث العربي.....32
3. الخطاب في الدرس اللساني الحديث.....35
4. الجدل المفهومي بين الخطاب والنص.....43
5. أنواع الخطاب..... 47
6. تحليل الخطاب النشأة والمفهوم.....39

- **المبحث الثالث:مفهوم الخطاب القرآني وخصائصه وأنواعه.56**

1. في ماهية الخطاب القرآني 56
2. خصائص الخطاب القرآني.....**57**
3. أنواع الخطاب القرآني ومرونته.....70
4. تداولية الخطاب القرآني.....76

الفصل الثاني: ماهية التعقيب القرآني وأنماطه التعبيرية وخصائصه وأنواعه.

توطئة.....81

- **مفهوم التعقيب القرآني وحدوده الفاصلة**.....65

1. مفهوم التعقيب القرآني.....65
2. الحدود الفاصلة بين التعقيب والتذيل والفاصلة والمثل....89

- الفروق بين التذييل والتعقيب.....95
- الفروق بين التعقيب والفاصلة القرآنية.....74
- الفروق بين المثل والتعقيب.....75

- **البنى اللغوية المشكلة للتعقيب القرآني**.....79

1. التعقيب بأسماء الله الحسنى:.....99

- التعقيب باسم الجلالة(الله).....99
- التعقيب بالرحيم.....101
- التعقيب بالشهيد.....102
- التعقيب بالحسيب.....103
- التعقيب بالولي والنصير.....104
- التعقيب بالعليم.....104
- التعقيب بالوكيل.....104
- **التعقيب باسمين من أسماء الله الحسنى**.....**105**
- السميع والبصير.....105
- السميع العليم 106
- الخبير والبصير.....107

- العليم الحكيم.....108
- العلي العظيم.....108
- العزيز الوهاب.....110
- التواب الرحيم..... 110
- الغفور الرحيم.....111

2. التعقيب بصيغة الثناء (تبارك).....111
3. التعقيب بصيغة الثناء سبحان.....112
4. التعقيب ب (بلى).....113
5. التعقيب بالدعاء.....114
6. التعقيب المُصَدَّر ب(كلا)..... 117
7. التعقيب بالشرط..... 117
8. التعقيب بالنفي..... 118
9. التعقيب بالنهي.....118
10. التعقيب بالتوكيد.....119
11. التعقيب بالاستدراك.....119
12. التعقيب بأساليب الوعيد.....120
13. التعقيب بأساليب الوعد.....121
14. التعقيب بأسلوبي المدح والذم.....122
15. التعقيب بأسماء الإشارة.....123
16. التعقيب بالاستفهام.....124
17. التعقيب بالأمر.....126
18. التعقيب المُصَدَّر ب(بل).....126

19. التعقيب بالتحضيض.....127
20. التعقيب المُصَّدَر ب(قد)..... 127
- **خصائص التعقيب القرآني وأنواعه**.....128
1. خصائصه.....128
2. أنواع التعقيب القرآني.....136
- التعقيب المتكرر.....137
- التعقيب الغالب.....139
- التعقيب المتنوع.....139

الفصل الثالث: دور السياق في الوصول إلى مقاصد التعقيب القرآني

توطئة.....**142**
- **السياق في الدرس التداولي**.....**142**
1. السياق لغة.....142
2. فاعلية السياق في الدرس التداولي.....143
3. تجليات مفهوم السياق في التراث اللساني العربي.....148
4. السياق والخطاب القرآني.....155
- **المبحث الثاني: في مقاصد الخطاب القرآني**.....**160**
1. المقاصد لغة.....160
2. المقاصد في التراث اللساني العربي.....161
3. المقاصد في الدرس التداولي.....163
- **المبحث الثالث: السياق ومقاصد التعقيب القرآني**.....**168**
3. الدلالات السياقية للتعقيب القرآني.....168
4. أنواع التعقيب والسياق.....172

- التعقيب المتنوع.....172
- التعقيب الغالب.....173
- التعقيب المتكرر في سور مختلفة..... 175
- التعقيب المتكرر في السورة الواحدة.....180
- التعقيب والسياق القصصي.....168

الفصل الرابع: تداولية الأفعال الكلامية في التعقيب القرآني

توطئة.....201

- **نشأة الأفعال الكلامية وماهيتها..... 202**

1. نشأة الأفعال الكلامية..... **202**
2. مفهوم الفعل الكلامي وخصائصه.....205
3. مستويات الفعل الكلامي.....207
4. أوستين والأفعال الكلامية.....213
5. سيرل والأفعال الكلامية.....214
6. جذور نظرية الأفعال الكلامية في التراث العربي.....221
7. الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني.....224

- **الإخباريات والتوجيهيات في التعقيب القرآني.....224**

1. الإخباريات (الممثلات).....224
   - التعقيب بأسماء الله الحسنى.....225
   - التعقيب بالحصر.....228
   - التعقيب ب(بل).....228
   - التعقيب ب(بلى).....229
   - التعقيب بالنفي.....231

- التعقيب بالاستدراك.....231
- التعقيب ب(لاجرم).....231

2. التوجيهات في التعقيب القرآني.....235
- الأمر 235
- التعقيب بالتحضيض.....242
- التعقيب بالردع (كلّا).....243
- النهي.....244
- التعقيب بالاستفهام.....246

- **المعبرات والوعديات والإعلانيات.....252**

4. المعبرات (الإفصاحات).....252
- ثناء الله على نفسه.....253
- التعقيب بالمدح.....**255**
- التعقيب بالذم.....257

5. الوعديات (الملزمات).....258
- الوعد القرآني.....259
- الوعيد القرآني.....263

6. الإعلانات (الحكميات).....267
- الدعاء على الكافرين.....268
- الشهادة.....271
- القسم.....272

الفصل الخامس: تداولية الإشاريات في التعقيب القرآني

توطئة.....276

- **الإشاريات في الدرس التداولي.....276**

1. مفهوم الإشاريات.....277
2. فاعلية السياق في فهم الإشاريات.....279
3. الإشاريات والكفاءة التداولية.....283

- **أنواع الإشاريات وإرهاصاتها في التراث اللساني.....288**
- **أنواع الإشاريات**.....288

1. الإشاريات الشخصية.....289
2. الإشاريات المكانية.....292
3. الإشاريات الزمانية.....294

- إرهاصات الإشاريات في التراث اللساني.....296

- **الإشاريات في التعقيب القرآني.....298**

3. الإشاريات الشخصية.....298

- الضمائر.....298
- أسماء الإشارة.....313
- الأسماء الموصولة.....319

4. الإشاريات الزمانية في التعقيب القرآني.....320
5. الإشاريات المكانية في التعقيب القرآني.....323

- **خاتمة.....327**
- **قائمة المراجع والمصادر..... 334**
- **فهرس الموضوعات.....350**

تم بحمد الله

هذا العمل مقاربة تداولية للتعقيب في الخطاب القرآني، والذي يُشَكِل سمة أسلوبية بارزة فيه، ويقصد بالتعقيب ذلك النمط التعبيري الخاص بالقرآن الكريم، إذْ يجسد الحكم الإلهي على قضية من القضايا القرآنية المتنوعة، وينسجم معها انسجاما دلاليا وإيقاعيا. ولقد انطلق البحث من إشكالية رئيسية: ما الأبعاد التداولية للتعقيب قي الخطاب القرآني؟

واقتضت الإجابة عن هذه الإشكالية تقسيم البحث خمسة فصول: الأول خصصناه للحديث عن التداولية وتحليل الخطاب القرآني، والثاني حددنا فيه ماهية التعقيب والبنى اللغوية المكونة له وخصائصه وأنواعه، والثالث خصصناه للحديث الدور الفعال للسياق في الوصول إلى مقاصد التعقيب، وفي الرابع عرضنا تداولية الأفعال الكلامية في التعقيب، والفصل الخامس عرضنا فيه تداولية الإشاريات في التعقيب.

بناء على ما سلف يتضح أن الأبعاد التداولية التي توافقت مع خصوصية التعقيب القرآني هي السياق والمقاصد والأفعال الكلامية والإشاريات. فقد كشف البحث عن فاعلية السياق بنوعيه النصي والخارجي في الوصول إلى مقاصد التعقيب، كما كانت الأفعال الكلامية أكثر تمظهرا في التعقيب بوصفه خطابا قرآنيا يروم التأثير في النفوس وتغير السلوك، كما تجلت الإشاريات التعقيب في سياقات متنوعة، ومما تجدر الإشارة إليه أن التركيب اللغوي في الأفعال الكلامية والإشاريات جاء متنوعا، لهذا تنوعت المقاصد.

وفي الختام، يمكن القول بأن التعقيب القرآني يفتح أفقا جديدا للباحثين بوصفه دراسة لم تنل نصيبها الكافي من البحث.

منشورات كلية الآداب واللغات
جامعة محمد بوضياف –المسيلة–
سنة النشر: 2023

ISBN: 978-9931-251-18-7